

سلسلة الجوامد



أنيس منصور

عاشور في حياتي



الطبعة
المصرية
العاشر
المئة

سلسلة الجهاد

أنيس منصور

عاشور في حياتي



الهيئة
المصرية
للكتاب

مقدمة

سؤال : هل تعرف فلاناً ؟

جواب : نعم أعرفه !

سؤال : هل سافرت معه ؟

.. لا ..

.. إذن أنت لا تعرفه !

• • •

وقال أوسكار وايلد الأنيب الساخر : أنت لا تعرف امرأة ، قبل
أن تعرف جسدها !

• • •

سؤال : هل تعرف فلاناً ؟

جواب : لم أعرفه .. لأنني قريب جداً منه !

• • •

سؤال : هل تعرف فلاناً .

جواب : لا أعرفه .. فأين أنا وأين هو .. إنه بعيد جداً حتى
لا أكاد أراه !

ومن الصعب أن تعرف إنساناً جيداً ، إذا كنت تحبه .. فأنت تراه ولا تراه ..
وإذا كنت تكرهه أيضاً .. فأنت لا تحب أن تراه ، فكيف تعرفه وأنت لا تراه ..
وأنت قد أسقطته من عينيك .. أو مسحته بعينيك .. أو أغمدت في قلبه
رموثك ..

فالذي يحب كالذي يكره : لا يرى بوضوح !

ولكن لابد أن تحب ولا بد أن تكره .. ولذلك فأنت لا تعرف الناس جيداً ..
وإنما تعرفهم بالتقريب .. أو تعرفهم بعض الوقت .. وتحبهم بعض الحب ..
وبعض الكره .. فأنت تعرفهم إلا قليلاً !

والفرد في عين أمه : غزال .. إذا أحبته ! وفي عينيها : فرد إذا كرهته !
ولكل إنسان عدة صور :

صورته كما ترى نفسك .

وصورته كما تحب أن ترى نفسك .

وصورته كما يراها الناس ..

فإن كنت أديباً أو فناناً فأنت تسلوي ما تقدمه للناس . فأنت تسلوي كتبك أو
لوحاتك أو موسيقاك أو تماثيلك ..

ولا توجد وسيلة أخرى لكي يعرفك الناس غير هذا الذي أبدعته ، أو عجزت
عن إبداعه .

ولكنك لست في كل الأحوال فادراً على الإبداع .. فأنت تتعجب وأنت
تضيق .. وأنت تحب .. وأنت تمل .. وأنت على أعصابك كأنياً وقارناً ..
ولذلك فليست لك صورة واضحة لا عن نفسك ولا عن الناس .

وإذا أنت نظرت في المرايا .. فهناك مرآة تجعلك صغيراً ، وأخرى تجعلك
كبيراً .. وثالثة تجعلك مقعراً .. ورابعة تجعلك محمداً .. وخامسة تجعلك أصغر
اللون .. أبيض .. أحمر ..

ورأى الناس مثل هذه المرايا .. فأنت متعبد الأكوان والأحجام والأوزان
والأهمية والقيمة والأثر عند الناس .

وإذا سألت الناس : فأنت مثل الذي يسأل جميع المرايا .. فماذا لو نطق
جميع المرايا معاً ؟

موقف تسمع ضجيجا من التطريبات ، وخصوصا من العواطف .. وترى
قوتنا من الأمزجة .. وكلها هي : أنت في عيون وأذان وأفرب وعقول والقلب
الآخرين !

وأنت لك وجهة نظر ، وأنا أيضا . وأنت على حق ، وأنا أيضا . والذي
بمحبتي فيه ، هو الذي أحبه لنفسي .. والذي لا يحبني فيه ، هو الذي لا أحبه
لنفسي ..

والذي أحبه بالعمل ، أرفضه بالقلب .. والذي أسخرج إليه وحدانياً أنف من
عليا !

قال الفيلسوف الألماني كارل ماركس : أنا أكل ، إذن أنا موجود ..

وقال الفيلسوف الفرنسي ديكارت : أنا أفكر ، إذن أنا موجود .

وقال الشاعر بلزبون : أنا أحب ، إذن أنا موجود !

وقال الطبيب كافكا : أنا خائف ، إذن أنا موجود !

وقال تولستوي : إن أكون حراً ، حتى تموت زوجه !

وكل واحد من هؤلاء يريدك أن تعرفه على هذه القاعدة . فهذا هو مفتاح
الدخول إلى أفكاره وأعماله النفسية .

وفي حياة الواحد منا أقرب الناس .. قريبون ومحبوبون .. يمدون يداً أن
يتحركوا لنا ، كما تمر الرياح على أوراق الشجر ، أو على رجال الصحراء ..
أو يتحركون نورا كما تمر السحابة في الوحد .. أو كما تنفذ أشعة الشمس إلى
الغرفة المظلمة .. أو كأعواد الحديد الساخن على بشرتك .

ولقد يكون أقرب الناس إليك ، أبعدهم عنك .. ويكون أبعدهم عنك أقربهم
إليك ..

وقد يكون الشخص متواضعا ، ولكنه عبق الأثر ، لمي وأنت مثلا !

وقد يكون أكثر ثقافة وأوسع إدراكا : المدرسون مثلا .. ولكن لا أثر لهم .

وقد تقرأ كتابا قديما مهمك .. وتقرأ كتابا حديثا ، كما تقرأ صحيفة يومية
لا تهزك ..

وقد يكون الكاتب الذى نقرأ له حمل العبارة عيق النظرة مساهراً للمعسر ،
ببقى الضوء فى كل مكان .. ولكنه لا يشرك .

فقد يكون قد جاء فى الزحام ، أو يكون قد جاء فى الوقت غير المناسب ..
فنعلمنا كنت مشغولاً بالاستعداد للعقاد ، لم أكن أقرأ لسواه .. لدرجة أنني لم
أعرف أن هناك أبناء آخرين غيره فى مصر .. ولما قرأت مقالاً لمه حسين
بعد سنوات من متابعتي للعقاد ، أدعشتني أن هناك أبناء آخرين .. ولكن طه
حسين جاء فى غير أولته .. جاء بعد أن امتلأ عقلى بالعقاد ، فلم أجد له مكاناً ..
ولم أقل عقلى دونه .. وإنما أجلسه على بابى سنة .. وعشر سنوات ..
وأحزنتني أنني لم أعرف طه حسين والحكيم والمازنى والرافعى وشوقى وابن
المفيع والجامع وابن خلدون والحزيرى وزكى مبارك إلا بعد ذلك بوقت
طويل ! تماماً كما تنوّر كل الظروف المناسبة لنمو بذرة من البذور : الأرض
والماء والهواء والشمس .. وسلامة البذرة ، ولكذلك لبثتها فى غير أولتها ..
وبوم قرأت رواية ، الحب والتسمية ، للشاعر الألمانى شيلر ، لم أكن
أعرف أن هناك قصصاً وروايات مصرية أو عربية ..

وبوم عرفت الأديب الإيطالى المرنو مورافيا ، وقابلته وصادفته وقدمته إلى
اللغة العربية ، لم أكن أعرف نجيب محفوظ ولا قرأت له ..

عندما حفظت القرآن الكريم كنت فى السابعة من عمري ، وأنا لا أعرف
معنى كلمة واحدة مما أقول .. وانتقلت من القرآن الكريم إلى قصائد المتصوفين
وإلى مدائح الرسول .. فحفظت ، اليردة ، تليوصيرى ، وأنا لم أسمع بشوقى
أمير الشعراء ، ولا عرفت قصيدته ، نهج اليردة ، إلا بعد عشرات السنين ..
وقرأت مئات الروايات المترجمة فى سلسلة ، كتاب الجيب ، من ترجمة
الأستاذ عمر عبد العزيز أمين ، ولم أقرأ رواية عربية واحدة ، ولا عرفت أن
هناك روايات عربية ..

عرفت تولستوى ودمتوفسكى وبروست وشيللى وبييرانثالو وكنز
وبلزاك ، قبل أن أعرف أسماء الأدباء المصريين .. وكنت فى الثانية عشرة من
عمري ، هل كنت أعنى ما أقرؤه ؟ لا أعرف .. ولكني أقرأ واستمتع .. وأطلب
المزيد ، وبجبهه المزيد فى صناديق وجوالات .. فقد كانت هذه الروايات
رخيصة الثمن وتباع فى كل مكان ..

وعندما كنت طالبا في المدرسة ، وكنت قوات الإنجليز في مصر ، أثناء الحرب العالمية الثانية .. اشترت عربة عليها ملات من الكتب الصغيرة المعجم التي كانوا يطعمونها للقوات البريطانية في مصر .. وكنت هذه العربة لنجاح سلكة فرش ، كل الحضارة الغربية بهذا المبلغ ثلاثة 1

وعرفت الفيلسوف الألماني أوزفالد شينغلر ، فيلسوف الحضارة الغربية . وقرأت ما كتبه أساتذتنا عبد الرحمن بدوي عنه ، قبل أن أقرأ مطرا واحدا للمؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي ..

وقرأت للمؤرخ الإنجليزي توبنلي ، قبل أن أقرأ لأساتذتنا المؤرخ شفيق غزبال وأساتذتنا علي إبراهيم وأساتذتنا إبراهيم تسمي ..

وعبد الرحمن بدوي أساتذتنا في الفلسفة قد قدم لنا عشرات الأسماء في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى .. وفي زحمة هذه الأسماء الباهرة ، ضاع هو ، فلم نعرف أثره وفكره ، إلا بعد عشرات السنين ..

وقرأت للأديبة الأرجنتينية ميمون دي بوغوار ، قبل أن أقرأ مطرا واحدا للأديبة مي زيادة أو حتى لشخصاء ..

وعندما قدم لي الأستاذ إحسان عبد القدوس على أنلي ، فيلسوف المستقبل ، وأديب الوجودية الشاب في سنة ١٩٥٠ ، لم تكن أقرأ لإحسان عبد القدوس إلا ما كتبه في السياسة ، ولم أقرأ له رواياته إلا بعد تلك السنوات .

وعندما حفظت ديوان ، أعلى الكوخ ، للشاعر الروماني محمود حسن إسماعيل ، لم أعرف مصطفى صادق الرافعي .. مع أنهما من مدرسة واحدة .. هذا روماني في الشعر ، وذلك روماني في الفكر ..

ولا أعرف إن كان الشاعر محمود حسن إسماعيل قد تأثر بما كتبه مصطفى صادق الرافعي في كتبه : السحاب الأحمر وأوراق الورد ورسائل الأحرار .. ولم أعط لمحمود حسن إسماعيل بيتا واحدا من ديوانه الأخرى . وقد أنهله مرة عندما جمعا لقاء أنلي فنتى أسبغته معظم ديوان ..

ولما لم أعرف الشعراء الرومانيين محمود حسن إسماعيل والهنري وصالح جودت إلا عن طريق الشعراء الرومانيين في أوروبا : لورنتوف لروسي ونوقاليس الألماني ولويبردي الإيطالي ودي ميسيه الفرنسي وشبلي

الإنجليزي .. قرأت لهم .. ووجدت عندهم ما أريد ووجدت إليهم من لغتنا العربية .. فحببت الأوربيين .. وأصبحت مثلاً في شئ لمصريين ..

ولم أستطع أن أحب ابن الرومي .. رغم إعجاب العقاد به .. وإنما أحببت وأعجبت بالشاعر العظيم في كل العصور : المتنبي .. فهو عبقريه أفنديها الأخلاقي .. أو قالت الأخلاق .. وهو لا يقل اعتقاراً للناس عن اعتقار أنه حيال التوحيد والحرير .. ونحجظ العيسوف الأماني لمتنبي والشاعر الإيطالي عزازقة والأكيب الفرنسي راسله .. واتحق معي .. فهو أعظم من عصورهم .. وأقرب من سعادتهم :

وبهربي عند من المؤرخين الأعانب .. نهزي الأريب الفرنسي أندريه موزرو .. وفقرته الغدا على تحليل الشخصيات

لأن العقاد أروع منه في معرفة ملامح الشخصية التي سوف تنرسها .. ولكن العقاد يارح في مساعاة مقاييس الشخصية .. إنه بمطوك مقاييس صغيراً جداً .. في عبارة واحدة .. وبسرعة تنجح لك أسرار هذه الشخصية وإلا يك في أعماق أصنافها .. فالعقد مهتس الإلكتروني .. لا يملك على سر اعتدائه في هذا المقاييس .. وهو يفصل أن يهرك .. أن يكون دور .. الماوي .. الذي تعمق له .. لأنه يحب أن يكون شخصاً معزوا .. فبذلك نرا حارفاً للعامة :

ولكن أندريه موزرو يعطيك مقاييس كثيرة .. ومداخل عديدة .. وهو يصطفيك معاً .. ويتوزر حول الشخصية واستمع إليها .. وإلى الناس حولها .. ومن كلام الشخصية وحببت الناس .. وبين محتتم له .. وكراهيته لهم .. وبين للقصص .. والتمائم .. والفرايح تعرف الطريق إلى القلب وإلى العقل ..

وإذا كان العقد مهتساً .. فلتنزيه موزرو قاريه كعبه .. قاريه فنان .. ضارب ودع .. قصاص كثر .. مصر أحلام .. وتلك فالتنزيه موزرو أروع وأجمل وأمتع ..

وشخص آخر أسعنى أن أعرفه إنه الكاتب الأمريكي الترائع : ول نيوراتش ..

فليس في اللغة الانجليزية كلها شخص له عظمة وجمال وسحر هذا الرجل وزوجته .. فقد التزكا معاً في مؤلفاتهما الأخيرة .. وتكن ول نيوراتش الفرد

-الأصغر الثلاثة وحده : قصة الفلسفة الحديثة .. وقصة الحضارة بأجزائها
الأحد عشر .. ومناهج الفلسفة .. ودروس في التاريخ .. ثم ترجمة حياتنا ..
في حينهما الاثنين معا .

فهو رجل ديورانت قد أوتى من العلم والأدب والنزق ما لم يؤته أحد في
عصره .. ولذلك فهو مثل أعلى في الكتابة .. ومثل أعلى في السماع للنظرة
وهي تفتد الغد على الصياغة الأدبية .. فقلت عندما نقرأ لا نعرف إن كان
هذا الذي نقرأه أنبيا أو تاريخاً أو فناً أو رسماً أو موسيقى - إنها جميعاً .

وكثيرون غيره كانوا هداة صانعين بارعين لكل أبواب ودروب وأغوار وفهم
الحضارة الغربية .

وعندما قرأت لمؤرخنا عبد الرحمن الرافعي بعد ذلك ، وجدت أنه رجل
وضئ على خلق . ولكنه ليس أنبيا ولا فناً ولا فيلسوفاً ..

وعندما اتجهت إلى التأليف المسرحي ، لم تكن عندي دراية واضحة بفنون
كتابة المسرحية .. وكان مزاجي أن أكتب المسرحيات الكوميدية .. وكثبت ..
وظهرت مسرحيات على المسرح وعلى الشاشة .. ووجدت أن مزاجي يعمل
في السخرية .. بل هو أقرب إلى الواقع الحديث .. فنحن في عصر
المناقصات .. عصر الانهيارات المنهجية .. عصر الانحلال الحضاري ..
فالإنسان هو الذي يدعو إلى السخرية .. إنه لا يصدق ما يقول .. ولا يؤمن
بما يكتب .. ولا يعمل على إنقاذ نفسه من نفسه .. وهو في كل الأحوال يبحث
عنى الإعجاب : فهو يكتب ببراعة ويصدق بمعقبة .. وهو يخترع وسائل
النمار بكاه ، ووسائل العلاج والحياة بإصرار . فكيف لا نضعه من زماننا ..
من أنفسنا ؟

وقبل أن ألتقى بمؤلف مسرحي واحد قابلت الأدبيين : ديرنمات وفريش ..
ورثتهما في مومسرا ..

وترجمت لديرنمات مسرحيات : زيارة السيدة العجوز .. وزواج السيد
مسيبي .. وهبط الملك في بابل .. والشهاب .. وظهرت كلها على
المسرح ..

وقابلت فريش في بيته وترجمت له مسرحيتين : مشعلو التيران .. وأمير
الأراضي البور .. وظهرت الاثنتان على المسرح ..

وأنا عظماء فقيهم لحظات .. بعضهم كان عميقا .. وكذلك عدد من الجميلات ..

فنعلمنا رأيت مارلين مونرو في هوليوود . وبعد ساعة من الانتظار قلت لي : أتيك يا إنت !

وهي لا تعرف من أنا .. ولا من هو أى أحد .. فهي جميلة فقط . ويوم انتحرت مارلين مونرو ، كتبت عنها وبكيت أيضا . فقد رأيت فيها تمونها معذبا للعذاب الإنسانى .. كيف يكون الجمال نقصة .. كيف يكون البتيم مسكينا .. كيف هي تجارة الرقيق الأبيض .. ويوم تزوجها الأديب آرثر ميلر ، كرهت هذا الرجل .. ويوم ترجمت له مسرحية « بعد السقوط » ، التي بها صفحات عن مارلين مونرو ، ازدت كراهية له ..

وبقيت مارلين مونرو صورة جميلة ذهبية بارقة لامعة أمام عيني ، وهي وغيرها من الشقراوات ، طرقتني إلى دراسة طويلة عن عذاب الجمال ، أو جمال العذاب ، أو عن « جهنم الشقاء » .. ولم أنسها ، ولا تركت كتابا واحدا ظهر عنها .. حتى تجمع لدى مائة كتاب !

ويوم قابلت الرئيس الجزائري هواري بومدين ، وهو رجل رقيق ، هلمس الصوت مهذب ونود قال لي : لو اشتغلت بالسياسة ؟

فقلت : يكون ماذا يا سيادة الرئيس !

قال : تكون السياسة أنها بقروء لنتاس !

ونسيت هذه العبارة ، فلم تكن لها ضرورة أو صدى في نفسي .. فأنا لست سياسيا ، ولا أحب العمل السياسي . وإن كنت قد اشتغلت بالفكر السياسي أو الفلسفة السياسية . وكنت أقوم بتدريسها في الجامعة ، كجزء من تاريخ الحضارة الإنسانية ..

وفوجئت بعد ذلك بسنوت بالرئيس السادات يقول لي : لو كتبت في السياسة !

فقلت : يكون ماذا يا سيادة الرئيس ؟

فأجاب : تكون أكثر إيجابية في عملك الوطنى !

وذارت هذه العبارة وتردنت وتخبطلت في رأسي مترنحة ، فحبا وإيابا :

كثير أكثر إجابته . في العمل الوطني . وهل تشي أقوم به أقل
جدا . هو أكثر سلبية من العمل الوطني ؟

سحرجت إلى الكتبة السياسية ، ولست دائما على ذلك . ولكنها أبعثني عن
ثبية الصحبة الصحيحة ، التي تناسبني .. عن الأدب واللعن والعلمية . أي
إسأل وعلاقته بهمه وبالأخرين ..

وعند ررت الأديب السويسري ملكس هريش في البيت الذي يسكنه عند
سبح احد الجمال ، سأله مؤالا تقليديا : كيف حال صحتك ؟
جيب إجابة غير مأثوفة : أنا في صحة جيدة جداً .

وكأنه لم يقل شيئا غير عادي ، هصبي بترح ذلك : أنا أصغر ثلاثة شهور
في سنه .. وأسافر ونحول بقية السنة . وأسكن هنا .. وقد لعبت الارتدع
نمويجي . فالببت يقع على مستوى ١٨٠ مترا من سطح البحر . والهواء
كثرا وكسحي . ودرجة الحرارة معتدلة .. وفرة الجذب على هذه المنطقة
مطلوبة لتسبب ورني ومضى ..

بأن هناك درجة حرارة وارتفاع وجانبية وأوكسجين لابد أن تكون مناسبة
سعى .. وعلى الأديب أو المفكر أن يحددها . ولم أكن أعرف ذلك .

وبما كنت لا أعرف الحاجة ، فإني أمارس ممارسة المسافات الطويلة
عوض في أعماق الكتب ، أصعب الكتب وأطولها وأصعبها هي تسمى بدت
من البحر ولا تخاف الفرق ..

وعصبي حب البحر ، متعة السهل .. ولذة التعمير .. وجمال الحركة .. أنا
بشيء سهل حصي . من مكان إلى مكان ، من كتاب إلى آخر ، ومن مفكر إلى
سبب آخر موسيقار إلى كاهن إلى راعب إلى فسيح إلى شيخ إلى حاكم إلى
مؤيد ، جورو ، بوي .. وكما يلقب الإنسان الكتب بأصابعه ، هي كتاب
تكون . فليبه بهمي ، أو بعيني .. فلما على بحر دائم .. وأنا أعرف في بلاد
عربية لا انتهت نهشني ، ولا أحسبت بلني قريب لأحد أو من أحد .. وإنما
عريب في كل مكان ورماني ..

و . كبر اسديا أرمطو قد علما : أن النهضة هي بداية المعرفة . وأنا
ك . ك في مرحلة النهضة فلا يهايه للمعرفة .

وهيم، مثل الشاعر الألماني جينه : ما هو الكتاب الذي أثر في حياتك ؟ ..
هز رأسه بأنه لم يهتم
فأعبد السؤال : ما هو الشخص الذي هز حياتك ؟
هز رأسه بأنه يرفض السؤال . فقبل له : ما هي أشد الأشياء التي أثرت أذهنها
ومفكروها في حياتك ؟

ولم يهر رأسه . كأنه لم يسمع شيئا . هيل له . إذن ما هو الشيء أو الأشخاص
في الأدب والموسيقى والشعر الذي تركت أثرا في حياتك .. أي أثر .. وليس
من الضروري أن يكون عميق أو هائلا ؟

عندئذ الشاعر وأسد طهره إلى الحائط ، فمن عنده أن يكتب وأفك لأوجاع
في عصره العليل وقال : أفضّل أن أجيب عن هذا السؤال كذبة !
وكتب جينه يقول : كما أن أحدا لا يعرف نوعية الطعام والشراب الذي
يجعل أظفرك وعينيك لامعة ، فلي أحدا لا يعرف بالصبط ما الذي أثر عليك
أدبياً وفلسفياً !

ولما هيل للشاعر جينه : ما رأيك في هذه العبارة : لا يضر على الوحدة
لا حيوان أو إله ؟
فأجاب بسرعة : أو .. هما معاً !

أي الحيوان الممدح الحلي . أي الإنسان الأدب أو الفن أو تفكير أو
للموسيقى . فقط هو الذي يضيئ أن يضل وحده بسبع كثر مضمت وعصير
لخصرة الإنسان !

وأجاب هرسا ماثرو هو الذي قال . إن للموسيقى لا يعلم الموسيقي من
خريف الحياة .. وإنما من موسيقى الآخرين . والرسم لا يعلم كيف يرسم ،
إذا نظر إلى غروب الشمس وشروقها . وإنما من لوحات الفنانين الآخرين ..
يرى عملية تركيب الألوان ، ويرى حركة الفرشاة .. والأدب لا يعلم
مما يسمعه من قصص وحكايات ومن حكمة الشعوب ، ولكن من الذي يعرفه
للأدباء الآخرين ..

إذن سوف أكتب لك حكاية من عرّف وكيف عرفت .. كثير أو قليلا ..
ولا نهاية للذين عرفت عنهم وقرأت لهم .

ولكنني سوف أكتفي بالذين عرفتهم عن قرب .. بالمعاشرة والمداخلة والحب
والدامل والتأخر ..

ولن أدعي شيئا من الحكمة ، ولكن سوف أدعي حرصا الشديد على أن
عرف وأنهم : والتفيري المظهر لكل من حاول أن يقول جديدا .. أو يعرض
جديدا فكريا قديما .. ويكون ، العرض ، هو الجديد .. أي الأسلوب هو الجديد
والأثبات والحق أسلوب .. وأنت تسولي أسلوبك !

ونحن مسبحا أن أعتا يستطيع أن يرى كل ما حدث وأن يسمع كل ما هي ،
ويلمس كل جسد .. لأنني لا أرى إلا من خلال ، قلب ، في القلب .. هذا القلب
هو ، وجهة نظري ، وهي صلبة ، كما أن هي : ثبات في وجهي .. وهذا
ثباتي صلب ، ولكنهما قفرتان على رؤية ملايين الملايين من التكوينات
المرعبة ، السماء مثلا . ورؤية ملايين النجوم التي تبعد عنا ملايين السنين
الصورية ..

و ، قلب القلب ، لهذا هو مجموع مشاعري حبي وكبري .. ومبالاتي
ولا مبالاتي . وما يعق مع مرآتي .. وما يلبس للقرى . والمجلة التي
سخر لي ما أكتب . والمصلحة الورقية .. والمصلحة الرسمية .. ومدى اهتمام
الداري ، لذلك . ذلك من اهتمام الكتب لهذا !



كل ما يولد في الريف
لا يموت في المدينة

كل ما يولد في الربيع لا يموت في الربيع

صحت مبكرا لأجد جلدنا أبيض مخططا بالأزرق وإلى جوارى حناء
خديد .. إن هو يوم غير عادي سوف يبدأ في حياتي . لقد تقرر أن أذهب إلى
كذب . أي مدرسة القرية . والقرية اسمها « بوب طريف » مركز
سبيلون . جاءها والذي من المصورة لشرف على الأرض الزراعية لعر
سهر بك يكن . وواضح تماما أن والذي مختلف عن بقية الناس . فالببت الذي
حين فيه كبير من طينين وحوله حنيفة وملحق به اصطبل للجوس والأصنام
و الخيول . وله باب حنفي صمم . وأمام الباب يتمدد للحفر وروجه إلى جواره
بهار . أما هي أثيل فهو ينام وراء الباب . وهي كل ساعات الليل والنهار إذا
أد . والذي فانه عجيب . موجود بأحصرة المكنش . أو نعم يا محمد أهدي ..
وقتها بيوم سمعت والذي يقول . لا ادعي لأن تذهب إلى السوق .. هات
نعمار والبردة الجديدة .. لأن صلاح سوف يذهب إلى الكتاب ..
أما « صلاح » فهو اسمي في تلك الوقت ..

وعندما صحت وجدت أنني قد أعنت مديونا من الجبن الأبيض
ونحير .. أما الجبن الأبيض فقد كانت تصمه في البيت . وقد رأيتها كثيرا
صيف سائلا في لون للشاي الحقيقي من رجاجة . وهي الصباح يحول الثمن
بي جبن .. هذا الجبن هو . الذي لم أعرف سواء مدوات طويلة .. أما بقية
أحدث في ذلك اليوم فهي كثيرة وملاحة وجديدة . جاء رجل ورأى وقد
رديت الجلباب الأبيض والحناء الأسود للامع وقرأ آيات من القرآن الكريم .
وجاءت أنني بالبحور ودارت به حولي .. ثم طليت من الحانعة . وهي سيدة
كبيرة في السن . أن أنور حول النار ويقول هي : عين الحسود .. من عين
- رأى ولم يرحم . والذي يظن ولم يصل على النبي .. هي عين فلاة
وفلاة .. وفلان وفلان ..

وحياء وحذب شديد يطمئق تحت هتمي . لقد وسعت عسا من البيص
لأررق لكى أنوسه . فإذا نسخته ذهب معجول الحسد ، والعملات ، إن كلى
أحد العائنين أو الحافنين قد أعجها تمثل ذلك اليوم . ولم يكد البيص يطق حتى
زعزعت العائنة ، أن الله سبحانه وعلمى قد أذهب عني الشر في هذا اليوم ...
وألم الباب وقبب الحمار .. أبيض عال وحشلى الحميز إلى طهره ، وأمسكى
حتى لا أقع .. وسبقت روحته ورلجت نثر الماء يمينا وشمالا وندعو الله أن
يحمى من عيون الحاسدين . وأطى والننى كانت تنظر من الباحة ولابد أنها
هى تكرر الدعوات .. وأيقنا من أمام البيت إلى الطرقات الصيقة المغطاة
بالتراب والطين .. ولتى يتراحم ههنا الناس والجواميس والحميز والأعنام
ويكتب وأن فوق الحمار أرى ماذا يحدث فوق الأسطح .. أطفال كثيرين وأعنام
وكلاب ودواجن . ولا أدرى كم مضي من الوقت لكى أصل إلى ، الكتاب ،
ولابد أنه وقت طويل . فلم أكن أدرى بالصبط ماذا حدث أو موعب يحدث ..
ونكته يوم غير عادى بل أكثر من يوم . فلما أسمع عن هذا اليوم منذ شهر ..
وسمعت الناس يتحدثون إلى والدى ويقولون : أن الأول . أن أبدا حياى
وأقول على الله ..

ولم يكن والدى يمزح .. وإنما هو يستعجل هذا اليوم وكذلك والبنى ..
هل الذى أهر هذا لفرار أن الكتاب به أطفال كثيرين . والمكان سبق .. هل
لأن ، سينا ، أى صاحب الكتاب والمدرس الوحيد مريض . أو هل كان
يروج هو . أو بروح أحد أولاده .. هل كنت أقامر بسا وكان لابد أن نخف
مناعبى . لقد عرفت ههنا بعد أن أحد أصدقائ والدى من الذين يفهمون فى
الطائع والجرم والصفات الطكية هو الذى أبحر هذا اليوم . كما أبحر الأيام
العساية للأرواح . أما هذا الرجل فهو شديد اللباس أرقى العيين . وله لعبة
صغيرة . وهو يحب الصمكة . والناس يحبونه . ولكن لاحظت أنهم
لا يحترمون به بدرجة كافية .

وبعض الناس يصبره فى سطره ويعصهم بئذ لحينه . ولكنه موجود دائما ،
ومعجوج الكلمة . وهم يطلبون إليه أن يحكى الحكايات ويروى التواتر ..
ويقولون تركى .. ويقولون أفعانى .. أبلنى .. لبانى .. طلبسى ..

• ثم جد صغير مكسوف هزفه قتل الذرة والقطر والأرو وسأرح النيوك
حمد وركبته . وقف في الحمار ، ولما حاول أن يزل من على الحمار
• كسى . وقف واحدى في داخل البيت ليعود ويقول لى . أن سبب مريض
يوم . عدا إلى شاء الله ..

• سر - بشيء من الأرباح . وعدا إلى البيت . كان المزارع أعرض
فصر . وكس البيت حارح العريفة .. ورب أصدقائي من الأطفال قد جنسوا
سر حدى الطريق .. وكانوا ينادون . ولكنى لم أكن أرى . أو سمع
ميتون ولا أعرف ماذا يمكن أن يفعل

• بعد ساعات وصليا . لقد كان المشوار قصيرا جدا . ولم يكن في حاجة
سر - ترك الحمار . ولكنه في مثل هذا اليوم لابد من اتخاذ إجراءات غير
عنه

• في اليوم التالي وجدت الجنيات والجرمة والسدوش ومرت وحدى
• من نوابه وجدت الحمار . وقامت أنسى ما كنت قد عرفت الطريق . يجب
• - فب وحدى على مركة انه .. ولم أجد أحدا لا أمام الباب ولا من الدفدة
سر - أنى كان يحدث إلى عند من الفلاحين . لم يلاحظ أنسى في طريقى إلى

• كان من الصعب أن أوقف بين تحفة وأخرى وأمسح حداثى لئلا تلوث
• - وحضرات التهانم - فلا يهايه ذلك ، ولا مصى لشطه . كما أنى عند
سر - بعدها ، فليد أن اعاد على انزها فى حداثى وملابسى .. وكمر مره
صسى كل لك وأنا أكر بالعرف من خاموسه أو بفره !

• ثم تكب وحدث عدا كثيرا من الأطفال .. قد ملأوا جربهم بالبح
• - والخبر السامع وهالك لشكر . وقف جميعا أمام الباب . ولم يجرؤ
• - حدى على السجود . وعصف ساعه وساعة . والباب معوح بور أن يطئ
• - حدى - سحر .. ومظهر مثل وقت لده عدا ..

وعدا إلى بيوتها

• لم اليوم الثالث وهو ساعة منكرا لم أجد أحدا أمام الباب . كل الأطفال
• - حدى البيت وطلعت هوجدهم جالسين على الأرض ابن العصفه ومن

شوح الحمر وابن الفيل وابن الحولي وأطفال أجود . البهت من التامل ككل
 الرزاق .. طير حاف هفه تراب . وفوق الدراب هن .. وس .. وهنه من
 هنا وكذب من هناك . وحمام يطير داخلًا وخارجًا . وكل شيء أسود .. كأنها
 نحتًا في بطن حيوان . نو في قلب هن .. أو أن القللام قد اتحد لمعن الطين
 والوراب .. وجاءت سيدة وشعلت في الأطفال .. ونعت هذا وصرت ملك
 وتكونت في حبس .. ثم أثارب بيدها إلى كل الاتجاهات . وفي كل الاتجاهات
 تفرق الأطفال .. واحد يطفئ الحائر ملقنًا والزمل .. وواحد يعرط كبير
 الكره . وواحد يعلق الصيل على حبل في السحب .. وواحد يمسك المثانة
 ويكسر أديم البهت . وواحد يجمع الحطب ويصه في الكانون . وأن طلبت
 مني أن أفرش الماء بعد أن يفرغ زملائي من الكسر . ولما ألهيت ذهنتي
 أو جهني بذلك . فإنا بها نرعد في بطن وتقول . نعمل كده .. أنت ابن
 مين ؟ فقلت لها .. وكأني ردها : بكرة تتعلم .. كده ..
 وراحت تصرب بيدها في جردل الماء ليخرج الماء هنا وهناك لكي يسكن
 التراب ..

ولا أعرف كم مضى من الوقت ، عندما قالت : عدا .

وخرجنا . وفي اليوم التالي عدا ووقفنا أمام الباب . وجاءت من السجدة
 فيها متوسطه الطول والصغر .. يرتدي هستانًا أسود ومن سجنه قميص أحمر .
 ولها حلحال من القصة . وفي يدها أساور من القصة أيضا . وهي عبيها كحل
 أرقق . ومن أنفها ينثلي شيء مستدير . ولم تكن ترائي حتى قالت : مالك
 ياوك انت بشحق في كده ليه .. عيك في الأرض ياوك حد ..
 وأصغنتي المثقنة . وأثارت إلى داخل البهت إلى جانب من ركن مطلم
 تلتما هما عدا كوة تدخل بهما أشعة الشمس .. وفي هذا الركن نمت جاموسة
 صغيرة . ومطلوب أن أكس نحتها نو أن ألوقطها . ولابد أن بقية الرملة
 لهم مهام أخرى . ولكن عند الجاموسة يوجد مهام كثيرة . وهناك ذهب
 يلعب .. وهناك أكرام من الطين والمخلفات . ومطلوب أن أسوى ذلك كله
 بالأرض بالمثقنة . ثم أن ألقى عليه بالتراب الجاف . وعدا لابد أن أبق ذلك
 في مختلف جوارح البيت .

وقد سمعنا صراخا وبكاء . إنها تصرب ابن شيخ البلاد . وفهم أنه وهو
حب حاعر . وقع معه اثنين في الأرض .. ولم تكن قد رأيت حبيب الحاعر
.. حبيب .. ووقفت وهي تلمح كيف يسحب الحاعر إلى الزوا وكيف
يشي .. في حجره وفي القوعاء العجاء - الطاجين .
وقلت لنا : غدا .

وكذا قد تشجعا قليلا . فحين لا نجلس أمام الباب بالصبي .. ولكن كما نلعب
حب .. وكل هذا اللعب نوعا من التمرد - ومحب هذا التمرد ، أننا عرنا
نصسط .. هو المطلوب وماهي العقوبة إذا لم نعد للمهام اليومية التي نطلبها
به سيد نر زوجته - وحتى الآن لم نر موبدا . ولا حتى عرفت أسمه ..
.. سألني والدي في إحدى المرات : هه .. ماذا فعلت ؟ .. قلت له ..
ور الرجل الألباني أو اللطاني : إنه نوع من الانتصا .. ثامنا
شمسية .. فهم يذهبون في الموعد المحدد ويتلقون التعليمات ..
وكي يحكي حكايات مما عرف هو في طفولته .. وكان الجميع يسمعون
به .. هم فهم شيئا مما قال - ولكنه ، ولكنهم راضون .

وقد جمعونا من الحقول ، فقد ذهبنا لجمع الحول ونكومه . وسمعنا هي
.. عي ظهر حمار . وبنوا . وذهبنا . أنه موبدا قد حصر .. أو قد قام
من سرير أو إلى الدراسة قد بدت .. ونزلنا إلى البيت . فالأرض نهبط
.. وهي جانب لم نره من البيت ، كانت غرفة . صيفة . مظلمة .
.. الأرض معطاء بالقش .. وفيها حشرات تلعب .. والسف اسود قريب جدا .
.. صه .. أن الأمر كذلك . ولكن بعد أيام عرنا أننا إذا وقفا بين السط
.. نحصم حزمونا .. وكانت للغرفة نافذة . والنافذة مرتفعة . وهي ضيقة .
.. وفي أشعة الشمس ما لانهية له من الدورات البيضاء التي
.. راف سح وتنقلب .. بعض الأفعال هم هي أننى : إلى هذه الدورات
..

.. حب نافذة توجد مصطبة . وعلى المصطبة توجد حصيرة . ومعروص
.. بحس سيد فوق الحصيرة ونحن ألمان على الأرض . وكذا نرى المسافة
.. به وبه بعيد . هو فوق .. ونحن تحت .. والصوت في عيوننا . فلا نراه
..

وجاء سيدنا الشهح . سيد الزبلاوى . . . وهو إلى المصطبة . ولا يراه
 بوصوح . . وإنما هو طويل عريض . يمد عا الصوء . وله عمامة
 كبيرة . وهو يهرى جلسته . ولدانا ولحدا واحدا اسمك إيه . . ابوك
 مين . . عدا بتقعون المعلوم . كل واحد يسأل والده . . ويسم عليه . . ويقول
 سيدنا منصور . عدا . . بوكلا على الله . . حافظين القنعة . .
 فقنا جميعا . إيوه . .

قال : سم الله الرحمن الرحيم . . بوكلا على الله . . اللهم ارفع علينا لنا أول
 واسم برشوى ورلى . . فسم الله الرحمن الرحيم . . هولوا . .
 ويعول . .

ويقول : ألف لام ميم . . ذلك الكتاب لا ريب فيه . . ألم . . ذلك الكتاب لا ريب
 فيه . . هدى للمعفين . . قول يالود . . بمعنى صوتك . . قول يالود . . دى اسمها
 سورة البقرة . سورة إيه . . البقرة . . ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه . .
 ومضى اليوم الأول ومن تردد طول الوقت ما حطبا من سيدنا . وفى الليل
 سألنى ولى : إى شاء الله تكور حطبت . كل ما حطبت .
 وقلت : إنها سورة البقرة . .
 ما شاء الله . .
 هه . .

ألم ذلك الكتاب . لا ريب فيه هدى للمعفين الذين يؤمنون بالمعيب ويفهمون
 الصلاة ومما رزقهم يتقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
 وما لا حرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .
 وطلب منى والذى أن أعيدها مرة وثلاث . فلم يكن يطفى سلما . ولا كنت
 اتوقف عند نهاية الآيات . وكان يطلب منى أن أقطع الحروف بوصوح وأن
 أنزل ذلك على مهل يام . لأن لفر أن مختلف عن كلامنا العادى . وأن نرى
 يجب أن يودى ذلك فى هذه وحشوع . .

وبدأنا برى سيدنا أوصح . وفى استطاعه الواحد عا أن ينظر إليه . وأن
 يلتمسه أيضا . كان يصافقه ومثل يده . وأن يشم رائحة المص فى يده . ولكن
 لا تجرؤ على التحنيق . أو رائحة الحطب المحروق . . أو رائحة برع فطيع من

حضر بضعه سينا .. أما موبدا ففس طويلا عريضا . إنه رجل قصير
 لا بد أنه في مثل ارتفاعا عن الأرض . فهو عندما يتحدث إليها يكون
 فيه مزاج بوجوها وفي يده عصا طويلة . وهو يرزى حذاء علي . ثم
 مصطبة قريبة من الأرض . وهو يثقل علي الأيات ويتركها بكرها ..
 يذهب إلى خارج البيت .. وينتفى .. ويظل مع مكر .. هذه أرضها
 .. بأن انصعب أسيوتنا . سمعه يقول أمام البيت : أنت يولد أنت
 هو .. يأولاد للكتب .. أنا ساممكم .

معنى ذلك أن رفع أصواتنا بالآيات .. ونحن . عانه . جالس على
 أرض . ونعطين من التراب ، وبعد أنديا إلى ما تحت ملابسنا بسبب تسع
 سر عث . ونهتز إلى الامام وإلى الخلف ونحن جالسون .. فجأة يظهر موبد
 . يهتف عيب جميع صوبا بالعصا .. جميعا . ويكي ويكرر الآيات والنموع
 في عيوب .. ويهدنا إلى ثم نكث سوف يقطع جلودنا ضربا ورثلا
 . نصف . وينتهي اليوم الدراسي فجأة . ومخرج من الكتاب .. وكأننا خرجنا من
 تدر إلى وجه العباءة ، وهلل . ونصبح . ولا يجرؤ واحد منا أن يروى
 . فبه مدا جئت أو ماذا أصابه .. لا الضرب ولا التشتت . ولا غسل
 . نصق ونشر التعيل والكس أمام البيت ودخله . ولا تعربط كبرن الذرة
 وعصيف الملوحة .. واحد منا فقط هو الذي اجتاز به روعة سينا لكي يعلها .
 . نحن أمامه ونعطيه رأسها بقلب في شعرها ويثقل العشرات !
 ووجد آخر قد حصه سينا بأن يطفئق أصابع قدميه .. وفي نفس الوقت
 بر .. وراه . وإذا عمل لأنه لا يستطيع أن يعمل شيئين في وقت واحد صرعه
 نعض . ليكي ويؤذي الاثنين معا !

• • •

وفي يوم نعلت الصبحات والمصرجات في شوارع القرية .. والناس
 يسعون بلبائيس والحلل التي امتلأت بالماء لإطفاء حريقه الحريقة في
 بيت حر عليه كل يوم . بأنه لونه أصفر وواجهة البيت عليها صور بحل
 . صور . وله عيه من الحجر الأبيض .. والناس يتنافسون داخلين خارجين

ومن الباب يرمون يوزق . يكتف محروقة .. وصدايق حشوية .. ومخاض ..
وحلق وأطباق . إنه بيت تلك الزجول الطليقي .. والبس يطخون لتبرائ وهم
يصحكون .. هي التبت أحنية كبيره . وقهاوب . وهيه زلابيراث .. وطول .
وهيه شبهة . وحفان حشويه . وصور صطفة على الجدران .

وهي ذلك اليوم ملأت حجري بالكفب المحترقة .. بفاب كيب .. جث
كثب . لو كانها حمام أبقت احترق ريشه .. فلم بعد فاذرا على الطيران ..
لم اسمع من أحد بصيرا شيء .. كل الذي أذكره هو أن لأوف الكتب قد
اجترقت . طسها ألوه في ذلك الوقت . وفي الليل يلقون بها خارج البيت .
ولم ينسها أحد إلى عودتي إلى البيت . ولا إلى النموع على حدى .. ولم
أكن فاعما شيء . وإنما هو شعور غريب تولاني في هذه المس الصغيرة ..
هل كانت للكتب أى معنى ؟ هل كان الحريق هو الذى أفرغنى .. هل كنت
أتمنى أن أفتنى كئنا . هوجدنها قد اجترقت .. هل صحيح أن هذا الرجل قد
وعدتى ببعض هذه الكتب أو كلها .. هل صحيح ذلك .. أو شيء تومنت أنه
وعسى يوما .. إلى الكتب هي بسا كثيرة جدا .. ولكنى لم أكن أعرف القراءة
فأنا أقلب فيها وأتوقف عند الصور .. وأحاول أن أفهم .

وصعرت في ذلك اليوم على عيون تطل مايعنى ونقول : بسم الله الرحمن
الرحيم ..

لقد أخرجنى من تحت السرير .. فقد سلكت ومعى الكتب المحروقة .
وغشى النوم . ولم أفر أنهم يبحثون عى في كل مكان .. ولهم عند مصمص
الكيل وجنوس دائما على الأرض ويندى على هذه الكتب التى تونت ملائسى
ووجهى .

وعلمت أن أكنى تحت السرير كثيرا لأنى سبب يعضنى .. وتعلمت أن
أصع رأسى على الكتب . وأن أقام وهيز عومها من فوق صدرى . وقد أمسكت
بها يدي .. ولم أفس هذا المشهد طوال حياتى . وكنت أرى أن إهراق الكتب
هو أشنع جريمة .. ولم أهدأ إلى سبب واحد يجعل إفساد يحرق كئبه . لو كتب
غيره . ولعلنى قد رأيت في ذلك الوقت أن الكتب هي الحياة .. وأن حياة أى
إنسان هي كئبه .. هي القراءة .. وأن الحياة من غير كتب . حياة بلا حياة ..

بعد ذلك يستوي كتيب معاً في حفته كلبه الادب بحيث أن تكون وفاءى
 على هذا النحو . أن تضع وسط الكتب حيا ، ثم يتعلمون الشار هيا جميعا !
 ثم تأتت في هذه الصورة بما يحدث في بلاد الهند ، فهم يحرقون جثث
 موتى ، وكانت التزوجات يحرقن مباشرة بعد أزواجهن . حتى لا تكون لهم
 باب بعد المرحوم . أى بما معناه . يعيش معا ويموت معا . هل تصورت أن
 برسى إذا احترقت كلبه ، فلا حياة له بعدها .. مع أنه يمكن تعريض الكتب
 محترقة . ويمكن إذا احترقت أن تقرأ غيرها في المكتبات العامة .. أو أن
 تحبء قايرون على شراه الكتب واهتمامها ، وأن الكتب عاجزة عن أى شيء ..
 و - أن يكون هذا الشعور هو تدريس للكتب أو وثيقه ورهبة . انه محسن شديد
 كل ما هو مطبوع !

ولما جاءه العلياني إلى بيته لم يكن قد تأثر بما حدث .. فهو يصحك ..
 - من يتسلطون من تصحك .. ويهلقون ويستمعون ويطلبون إليه أن يعنى ..
 كذا يستمدونه على النعمة التي هو غارق فيها .. فلا عمل له .. ولا ساعات
 عمر . وهو ملطآن رمانه يصحو وبهام ويجد الطعام في أى بيت .. وكل
 قصصه وحكاياه غير صحيحة . ولكنهم يستمعون إليه .. إنه طراز من الناس
 حسن على الحكايات وأفضل القصص والبرابر .. انه مثل : أبو الفصح
 وسكندري في مقامات بديع الزمان الهمداني .. أو أبو زيد المرهجى في
 مقامات الحريري .. ومثل الصمغانيك والشعراء المشرقيين في أوروبا .. هي
 سببها أن يثق أى باب في أى وقت .. وأن يجلس هيجي العمام والشراب ،
 حسن من الضروري أن يلغى بأصحاب البيت .. هو اعاد على ذلك .. وهم
 بعد وما علم أنى يكبت ويسعف عن الطعام يوم احرقوا بيته . لا أحد يعرف
 من الذى فعل ذلك . أعصر لى عددا من الكتب .. وهو يقول : عندما اكبر .
 وكنت أسمع هذه الكتب تحب ممضى ، وأنا لا أفهم منها شيئا .. وكنت
 - من ينقله من تحت المجدد كل ليلة ، ويضعها أمام السرير .. فأعود لأقراها
 تحت المجدد ..

في يوم لم أجدنا لا تحت المجدد ولا أمام السرير .. ولا تحت المبرير ..
 من حبيب الخاتمة ووضعها في الكتب المحترقة التي أضعها تحت المبرير ،
 من حرق .

وعرفت بول ، نفس ، في معننى لأسباب عصبية . وهو هـ . الألام
صاحبتى عشرات السنين !

• • •

كان لابد أن يجرى والذى إلى الكذب وكان عاصبا ووقف بحصانه أمام
البيت ودخا على سيدنا .. وسععت صوت والذى ، ويطرت من تحت إلى
هوى .. كى والذى وضعه عند من الحواء .. وكان سيدنا واقف ولسه فمز
فى لى .. والأطفال يرددون نون أن يجرؤ واحد على أن يوقف أو يطر
للحديقة التى أمام الباب . وعندما غادر والذى المكالم بزل عد من لى مع
سيدنا وزاحوا يعفونه .. وهو يحاول أن يقول شيئا .. وفال . وبه الفهم .
ومركوه وعاد هو إلى مكانه من المصطفة .. وتركتا نكر ونكر . لا تكف
الله به لا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت .. ريد لا يؤحب ين سيد
أو أحضنا ريدا ولا نعمل عليها إسرا كما جعلته على الذين من قبله . ريد
ولا نعملها ما لا طرفة لها به ، واضف عا واضع لنا وأرحم أنت هو لا تفسر
على القوم الكافرين . وكانت آخر سورة البقرة . وقد مضى عينا فى الكذب
أكثر من شهر ..

وكان سيد فى حالة صيق شديد .. يطر إلىنا ، ونحن نلذ ذلك . ولا يطق
بكلمة . حتى ألصقا عنما وقمت من فوق المصطفة ، انصص واحد من وكسب
نحب وقمها له . فلم يشأ أن يمد يده . فزكها للطل على المصطفة ..
وفجأة دخلت روجه ود حملت على رأسها طليلة .. ووضعت الطليلة على
المصطفة . إن سيدنا لم يتناول يطر به . ورائحة الطير المثلث المدح
نوح وتشال القدرة على التكرار .. ورائحة القشدة وسيدنا بأكل على مهل
وشهية مصوحة . وأكثرنا عبر فأنر على المص في البلاوة بسبب هذه الروائح
الشهية . ولكن سيدنا مشغول عا نلما . ولعله قد لاحظ ذلك .. فكان يلقى إلينا
بفض من الطير .. وكما يتراحم عليها ، ولتقطها من بين القش .. ونسجها
بأيدينا أو فى ملامينا ..
ولم يقل شيئا .

جـ هـ .. ومن وشكروا ما فعله معنا . فقد صرنا على هامص صرب
مـ حـ .. م على أبنينا .. وظهرت .. وقد رأينا .. لثقتهم .. لأول مرة
دـ حـ .. جلس على الأرض ورفع ساقيه . ولف هو النسيان يحمل ويهين
صـ .. سـ .. يمين . ونحن نضح وهو لا يدرك . جميع

هـ .. حدثت لنا صبيحة أبنينا وأرجلنا بالحناء . كما هي العادة في الزيف
سـ دـ .. راف .. الأبطال يحشرون أنفسهم بين العذبات والسيات ويعطون
رـ صـ .. نداء في أيديهم . ويربطونها بالقمائل حتى الصباح . وكنتك أنظر
دـ سـ .. في الصباح يكون الحناء حمراء فاتحة الألوان .

هـ .. سيد بزي ذلك حتى نهلت عنها صديا وسيم وبس لاث وذهب
ـ يحطو القران وتصعد الحناء .. يأسون بأولاد النسيان !
شـ .. كنت أبايا من هذه القصة في الصرب . لم يسمع من أن يجرى
حـ دـ .. من حين إلى حين

ـ .. شـ .. نعرف كيف يصعد الحناء من أبنينا . وقد حاولت ذلك كثير .
سـ دـ .. الحمار والصابون ..

ـ .. حـ .. أريد جميعا أن يتوصأ قبل أن يقرأ القرآن . وأن يتوصأ إلى
حـ دـ .. بيت واحد يقرأ . وكان الواحد منا يرفع يده ويقول : اربد أن
ـ

ـ .. سـ .. سـ .. يذهب إلى أقرب فيه أو ترعة ويتوصأ .

ـ .. حـ .. سيدنا يهين مرة واحدة ثم يثلب من واحد منا أن يرافقه
شـ .. حـ .. عبد الله لكي يتوصأ .. ولم يكن معهم لماذا هو في حاجة إلى
ـ .. كـ .. يتوصأ من ضرورات الصغار . ولا لماذا من مرة واحدة
حـ دـ بعد تناول الطيور المتشابت كل يوم .

ـ .. سـ .. سـ .. يهين علينا من فوق المصطبة . ولم يجر مرة واحدة
حـ دـ .. سـ .. على . بعد ما سيدنا يوما عبقا . ولكن يجب ألا يتوصأ من
ـ .. كـ .. يهين من واحد منا أن يهين سيدنا ممسكا عصا سيد حتى يرافقه
حـ دـ .. سـ .. لا يثب وكفى عليه هو أيضا أن يرددنا معنا . حتى يصحو
حـ دـ .. سـ .. أن حتى يعود من لحد العثوور ..

وهي إحدى العرات جاء مبدئا هوجد الطفل الذي أمسك العصب بيكي . فُحد
مه العصا ونهال عليها صرعا : أنا عازف أنكم أولاد أباكم . أن عروف أنكم
طلعتوا عيه .. أنا موف أرميكم بالولاد ..

ورحنا بصرخ وبكي . ثم سأله : عملوا هيك ماد ؟

ولم يكن أحد قد ضايقه .. وإنما هو لا يستطيع أن يحلم من زعمه البول
المعاجة !

* * *

كانت الحياة منظمة .. أو رتيبة .. ولكن من حين إلى حين يجرى من إلى
البيت .. ويسهر ويكلمون في أشياء كثيرة .. بعضها فهمه .. وأكثرها
لا أفهمه .. يمتحنون من بلاد بعيدة .. وعن أحداث .. قتل وبيع .. وعن
ثقب التي نهجم القرى وتحطف الأطفال والأصنام .. وعن النية التي
لا تستريح إلا إذا أحدثت بئرها .. فإذا قتلوا زوجها ، طلت تطرد كل الناس
حتى تجد الرجل الذي قتل زوجها ، وعندنا هذه القردة الهائلة على معرفته ..
وكذلك الأفعى التي إذا قتلوا زوجها ، طلت تجازد الذئب حتى يجده وتذعه ..
وتقمع عند رأسه حتى يموت !

وحادث السطر .. التصوص يهينون من بعيد وفي الليل يمدون في
الحقول . وأحيانا يغمرون تحت ماء البرع . وأحيانا يعطون أنفسهم بالبيت
والنعم حتى لا يستطيع أحد أن يمسك بهم . وإذا أمسك بهم فإنهم يفلتون ..
والتصوص الذين سطروا على بيت العمدة نفسه .. وكان موجودا .. وكان معه
البحراء وشيخ الحفر .. والمأمور أيضا . فانتبه التصوص هذا الجمع في
مكان واحد وسرقوا البهائم .. ويحصد البهائم ذبحوها وتزكوها في مكانها ..
وتشاجر التصوص وبعضهم اعترف .. وفي إحدى العرات أمسك البحراء أحد
التصوص ولكنكشوا أنه كان امرأة . خرجت تأخذ ثأر زوجها الذي قتلوه من
سنوات .. وأعجب بها البحراء فأطلقوا سراحها لأنها قالت : رجال بلقون
القبض على امرأة .. عار والله عار !

وعرفت الحروف . وعرف في الزمان مسئولى على الترفيع كله من عروب الشمس . فالتصوص والعتيد والآدمى كلها بمرح بالليل

وعرفت أن القسط بالليل ليست إلا عماريت أو أزواجا واشتد .. وأنه ليست قطعا . وإنما هي إحدى شكل القسط .. ومن يعرف من بها ، فإنها عادية على أن تصبى بالليل ولقدان النطق

وبعد كل ورقة في شجرة بام عريت . وهذه العريت بسقط على السمن كالأمطار ليلا . ولذلك يحب ألا يخرج الطفل وجهه . أم الرجال فهم يحملون السبايت والبدائق حتى لا يسقط عليهم عريت قنوه . وإذا مات عريت وحده ، هربت العماريت كلها !

وبعد منتصف الليل . من كل ليلة يخرج ، انساه . .. وهي امرأة طويلة جدا معنى بين البيوت وسائق الأضواء . ههههه الاطفال من يومهم وتصيح عليهم .. ويهسون وراعا . وينهب نهم إلى الليل ويعرفون وينبش عن عيرهم . والباهة قادرة على أن تشكل كما يريد .. فهي بما وجدت فلاحا يعمل في الحقل . جعلت من نفسها حملا .. ههههه الفلاح هيركيه .. ومن يرتفع ويرفع . وتلقى به من فوق ظهرها هيكسر ذراعه أو ساقه .. ويهرب وهي تصيح !

أو بما مثل واحد من الناس في أهل القيد يمشون عنه طوال الوقت . ويمشون أنه مارت حب . وسكت ذهب البدهة إلى روجه القيد .. ونفرت من ناهيه . ونفاتها بصوت روجه .. ههههه وسطل من الباهة هتجد رجلا مثل روجه بام . ونمشي وراءه لأنه يريد أن يحنث إليها لأخر مرة .. وأنه خرج من انصر لهد العرص . ويطلع النهار عليها هجد نفسها في بلد آخر ! ويعص الاطفال يوكنون منهم مروا على الكتاب ليلا هسمعوا أطفالا ينون القرائ . في بيت سبدا . مكيون ، بالعماريت . ويعص الاطفال يوكنون أن سبدا نفسه من العماريت .. واخرون يقولون . بل هو يمش مع العماريت .. وأنه منزعج من عيريه . وأن روجه هذه ليست إلا عيرته .. ولذلك طمس عندهما أولاد .. ونها تمنعه من معاندة البيت ليلا .. ونها يصوبه وهو يصرح . وأن إناب كثيرين سمعوه يصرح . فمدا نواك السب ليعرفوا ما

يحدث له - خرج لهم هاتنا مسكرا - يقول الناس له : يحاوى ، الحى !
 وأن أبه الأظفر قد شاهدوا مجننا فى المنصورة . وفى دمياط . وعصف
 حاربوا ، ن يعرفوا ، الحقى .. عبيدا من ، أهل الخطوة ، أى يستطيع أن يصع
 رجلا فى القربة ورجلا لخرى فى المركز . وس إيسا كثيرين رأوه فى
 المنصورة . فلما عادوا إلى القربة وحنوه فى البيت . وأن إيسا حزين شاهدوه
 فى منس اليوم فى دمياط . وهو يصلى الفجر فى ، سيدى الدار ، فى دمياط
 وفى مسجد سيدى أبو أحمد الشرنوبى فى منس . وفى سيدى البدوى فى طنطا !
 وفى إحدى الدكاكى وجنت ، والذى والذى والحكمة يستلهمون على السلم ..
 وسمعت الحبيب وزوجته والحرارة .. وكان ذلك بعد منتصف الليل . ولم أجد
 على لى أسأل . وردت كلمة التصحيح وكلمة الحب .. وعزت أن أحد
 الثناب أو أحد الثعلب أو أحد الصباغ .. قد هجم على جاموسة وفتح بطونها ..
 أو على حمار .. أو أنه حطفت طفلا كان نائما بين الحبيب وزوجته . وأبهم
 وجدوا الثعلب قد صلت إلى بيضا وحطفت النجاج من المطبخ ..

هل فى ذلك الوقت تملت أن تلم وقد عطيت رأسى ناعما ؟ ! هل الرعشة
 التى تصبى كل ليلة وليس لها علاج هى بسبب هذا الخوف .. فلا أستريح
 إلا عندما أدم إلى جوار والدنى أو مجيء هى شام إلى جوارى حتى أضع
 فى النوم . هل عرفت فى ذلك الوقت لطباء الثناب تسده وصيفا . يسى حتى
 هذه اللحظة أتمطى بالحقاف والبيضانبة . وباصعافها شاء . ولا أشكو من
 الحرارة ولا أصيب بها . بل يسى عصا أضع إلى أى بلد مستوالى ، يسى
 أطمى أجهزة التكيف وأضمت عن خطاء تغيل . حتى هذه اللحظة !

هل هو من الإصابة بتركام صيفا وشاء ، لهذه الأسباب القديمة ؟ !
 لقد حاولت لى لى تستمع إلى مصيحه طيب من غربنا . بل جعلنى أضع
 على المطاء المعيب بالتدريج ، فكنت أبهم لى العفارت هى التى تعربى كل
 ليلة . ولم أجرو على لى أصارح أحدا بذلك .

وفى تلك الوقت كنت أجد الراحة للكبرى فى رواية قصص المغاربية التى
 رأيتها من القاهرة وفى دورة المياه والى منسى وبين الحائط ، تكون لها حال
 صوت انهواء يصل من تحت الباب . وكيف يسى رأيت القط ينحول إلى زبد

والأرض إلى عصوره والمصنوعة إلى سطره والسطحة إلى نبيه تنحرف من انحنى
ويظهر كل ليلة .. هذا صخرت هفتي لا أجدتها .

وعلمني والذي أن أفكر آيات من القرآن كل ليلة . وأطبل أريد علمي سم .
وعلمني والذي أن الله سبحانه وتعالى يقول حروف الآيات إلى علم . تعرفني
من المعارف ، وكنت أمام تحقيق ولا أرى ولا أنجيل شيئا ، ولكن بقي المعتقد
لغيا جدا جدا وشتاء !



حالة فرح في نصف الليل

مالة فزع في نض الليل

وهي يوم استوقفتي سيدنا قاتلا : سوف أذهب معك إلى والدك !
وتطلعت عيون الأطفال . في رعب . ولكن أحدا لم يستطع أن يفهم . ولا أنا
ونفخمتي سيدنا وسرت وراءه حتى الرأس . وفي الطريق بداعني الرجال
ويقولون : الله يفتح عليك ياسيدنا الشيخ ..

وجاءت سيدنا ودمت في جيبى قطعا من سكر البيات وهي تقول : سلم على
منما .. وكل لها هذه بركة من الشيخ عيسى .. هي تعرف .. ليالك أن تنسى !
ومررت على بيت الطلاني ودق سيدنا الباب . وسمعناه يقول : من الحمار
الذي يرفض الباب .. أطلق بالحمار .. ألا تعرف إنني أمتهم الآن ..

قال سيدنا : أنا لشيخ سيد

وجاء الصوت : إيه ياشيخ زهت ؟

ونظر سيدنا ناحيتي في شيء من الخجل . ثم قال : محمد أفندي في
البيت ..

وجاءه الرد : احطط رجلك إلى بيت محمد أفندي .. ولا أنت على رجلك
الحنة .. ولا شاطر نصرب الحمال عندما يضرعون الحنة على أرجلهم !

إنه يسأل عن والدي ، لا بد أن لديه شيئا هاما .. خطأ قد صدر مني في
الكتاب ، لا بد أنه سوف يشكو أو يظلم ..

ولأمم البيت هربت من سيدنا ، ووقفت وراء الباب أستمع إلى ما سوف
يقوله .

وإذا سيدنا يقول : إن شاء الله نكون مبسوط .. إن « صلاح » يحفظ للقرآن
يربطه على أحسن وجه .. وسوف يكون له مستقبل إن شاء الله .

- إلى شاء الله .

- والله بالحضرة المغترب حدث شيء غريب الشاهد .. وربما يسامحني ..
وصلاح هو السجب .. وأنا طالع لك تتوسط .. وتكون واسطة خير .. بين
الله ..

فذهب معي إلى الكتاب ، مرفص ، زميلي وصاحبي .. وأبوء هو صراف
القرية . ولاحظت حيناً أن مرفص لا يثق للقرآن ولما طلب إليه أن يرفع
صوته لم يفعل .. فهو لم يكن معاً في الكتاب .. ولما كرر الطلب لم يفعل
فنهال عليه صرير .. ووضع قدميه في العلمة .. ولم يجزؤ واحد من يفر
به ليس زميلاً في الكتاب . وثما صريره وأوجعه وبكى أصر سنبها على أن يردد
معهذا بيت القرآن الكريم هذا : كهيعص .. فقط ..

ولما طلب إليه أن يكمل لم يعرف سؤاله - أنت من ياراد أنت ؟

- أنا مرفص

- أنت إليه .

- مرفص .

- بصرائي ياراد .

- أبوء .

- بصرائي .. وفيه للي جليلك هذا .. يانهار أسود ..

فأشهر مرفص إلى أنه جاء معي ، وأتني طلبت منه أن يجيء . فجاء ..
ولم أكن أعرف معنى أن يكون طفل بصرايا يوظف آخر مسلماً ، لم أفهم .
إنه ككل الأطفال بل هو أقرب الأطفال وأحبهم . وأنا أذهب إلى بيته وأجلس
إلى أمه وأحويه وأأكل ونلتب . وهو يجيء إلى بيتي . وأحياناً يبيت عندي ،
ورغم أن بيوتنا متقاربة وأمه تزورنا ، وأمي تزورهم .. وأبوء يجلس معمرذا
مع والدي ويتحدثان ساعات طويلة .

وبدأت أنظر إلى مرفص على أنه إيمان غريب .. مختلف . وكث الذي
اعتدبت إليه في ذلك الوقت أنه لا يستطيع أن يجيء إلى الكتاب لأن والده على
خلاف مع الشيخ سيد - هذا هو الصعب -

هل صحيح ما لاحظته في ذلك الوقت ، أن والده على خلاف مع كل

لأبء .. وإن مرفس لهذا السبب لا يلعب مع واحد منهم ، معى فقط .. هي
لدى أصله على كل الأطفال ، بدأ الأطفال يبتعدون عى وعه ..
ولابد به المصعب الشديد هو الذى جعلنى أحرس على مرفس أكثر من
أى واحد آخر .. ولابد أن أحرس على الاتصال إليه وإلى أسرته . وفى
مواجهة كل الأطفال سوف أحرس عليه أكثر .. هى مواجهة الأطفال قلت
بعم .. سوف أتزوج أمت مرفس .. لتقاً !

وكما فى ذلك الوقت هى السابعة من العمر . وعندما علم والدى راح
بصحك . وكان ينهر فرصة وجود الصبوف ويسألنى : يا صلاح .. هل تكفت
مع نريزة على الزواج ؟

وأقول بكل صدق وسداجة : نعم .

هل تعرف معنى الزواج منها ؟

أنها نجىء إلى هنا ونعيش معنا .

وأين ننام هى .. إن سريرك صغير

مع ملما ..

وهل إذا تزوجت سوف تصعب الحمة فى يدك وفميك ؟

لا .

لماذا ؟

لقد صريما سيدنا .

وكانت نريزة إذا جاءت إلى بيتنا ، كنت أجلس إلى جوارها .. وأتلف
نراعى حول حلقها . وللناس يضحكون وأنا لا أفهم . ولم يكن أحد يعترض
على هذا السلوك من طلع نفسه الحب والإخلاص إلى صديق له أن يذهب إلى
أبعد مما يتصوره أو يتركه ..

هل هى ذلك الوقت انتهتا نحن الاثنين - مرفس وأنا - إلى ملائكة أنباء
العمر ، لكنى يلعب معهم ؟ هل كنت أكثر شجاعة من مرفس .. هل مرفس
لم يكن فى حاجة إلى أن يشد شيئاً عند أنباء العمر ، فهو أيضاً مثل أولاد
العمر .. فلم يكن فى القرية من الأقباط إلا أربع عائلات معروفة .. ليس فيها
طفل واحد يلعب مع مرفس ولاهالة تلعب مع نريزة ؟

إني أنا الذي ذهبت إلى مخيمات العجور .. وكلفت هذه المخيمات بالتقرب من المحطة . محطة الدلتا .. أي الحطوط الحديدية الصيقة .. والحيات الصغيرة منهجرة وجولها عدد كبير من الحسير السوداء .. وللكلاب التي تسبح كل من يقترب منها .. وليس هناك إلا رجال كبار هي البس وأطفال .. أما النساء فهن يذهبن إلى القرية يمس البس والأقمشة ويقرن الطابع للنساء ويصرين الودع .. هكذا قيل لنا .

وكثيرا ما حملت الطعام والسكر والأرز لكي أعطيه لأطفال العجور . إنهم يتعبون ولا يتكلمون ثم يحطون الذي أحمله أنا ومرقس ، وينزلون في التمام .

ولما رويت لأمي أي كنت .. وجدتني قد ارتدت ملابسها بسرعة . وجدت روجة الحسير والمائنة . وطلبت مني أن ألتها على مخيمات العجور . ولما اقتربنا من التمام ، راحت الكلاب تنبح . وتكلمت المائنة نسأل عن : مبروكة .

ومبروكة هي واحدة من التمجريات التي نعرفها القرية . وظهرت مبروكة .. أو واحدة أخرى . وإذا بوللتي تقول لها : هل هذا يصح ؟ وأشارت إليمني . ولم ندرك الفجرية ما تقوله . ولم أكن أدرى بالصبط ما هذا الذي يصح أو لا يصح .

فلما عندما جئت أبعت عن الأطفال العجور لكي ألعب معهم ، جاءت سيده ، وخلصت جلابي وهدائي وأعطيني جلابيا قديما وهذه مهلهلا . وهي تقول : قل لوالدك يشتري لك غيرها .

وهي اليوم التالي جئت وسعي جلابيب أخرى بعثت بها والدتي . وعند تلك اليوم بدأت صلة عميقة بالعجور .. هي مصر وهي فرنسا وأسيافيا ورومانيا .. وتابعت العجور .. والروح الفجرية المشرقة المشرقة على كل أنواع الجنود والقراب .. وتصنيف الناس مذاهب وقوابل !

• • •

حفظت القرآن الكريم بعد سنتين وبضعة أيام . ومشاعري لا توصف فقد كبرت هي عيون الناس كثيرا . وكان لابد أن أمتني على الرئيس . وألا ألعب

مثل الأطفال ثم أن والدتي لم تعد تضرعني .. ولم يعد اسمي صلاح .. وهو
سم متداول .. وأنا أسمى هو الذي جاء في شهادة الميلاد .. ثم إنني أذهب إلى
المسجد في المسجد .. وأنا سمعت للقرآن في المسجد فإني أتبعه بصوت
معي .. ألفت قد حصلت للقرآن مثله ؟

• • •

وكانت الخطوة الثانية أن أذهب إلى المدرسة الابتدائية في التقارب كل يوم .
وأمام العنوم الجديدة الكثيرة ، فأنا واحد مثل كل الطلبة . هما عدد حصّة
التي .. فأنا لست في حاجة إلى حفظ الآيات المطلوبة مع التلاميذ . لقد حفظتها
وكل السور وكل القرآن الكريم ..

وتناهت السموات . لأجدي لا حوائث . كل شيء عادي جدا . وكان ترتيبني
الأول . ولم أستطع أن أنكو إلى والدي أن مدرسي الحساب واسمه هيكال
أهدى .. وهو رجل بكرش أحمر الوجه طويل الطربوش أحضر المينين
يستدعي من حين إلى حين وأذهب إلى حيث يدرس في فصل آخر ويسألني
وأجيب ، بهما لم يفتح واحد من أفترقي في الإجابة . ثم يطلب مني أن أتفهمه
أي أحمله على صدرى . لكني بصريه هيكال أهدى بالقصا .. وبعد ذلك يطلب
منى أن أعود إلى فصلي !

وعرفت أنظمن الثاني في معننى .. عندما طلب منى هيكال أهدى أن أعمل
واحدا من إحوسى لكني بصريه . وحدث ذلك أكثر من مرة !
وفي يوم استدعاني مظهر المدرسة . لأجد والدى هناك . ووجدت هندا من
المدرسين . ووجدت والدى يقول :
« أنت تحفظ سورة هود .

نعم .

اقرأ يا بني .

بسم الله الرحمن الرحيم : الز . كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لسان حكيم
خبير ..

- وسور * مزيم .

- بسم الله الرحمن الرحيم : كهيمص . ذكر رحمته ربك عبده وكرها ..
وقال أحد المدرسين : تحط سورة الطور .

- بسم الله الرحمن الرحيم : والطور وكتاب مسطور في رق مشور .
قال والدي : سورة المساقون .

- بسم الله الرحمن الرحيم : إنا جاعك المساقون قالوا شهد إنك لرسول الله
والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المساقين لكاذبون .

قلت ياخذ المدرسة : ما شاء الله .

ووجدت والدي يقول : ثم إنه يحط الكثير من الشعر .. في هذه المس
لا يعرف معنى الذي يحطه . ولكنه يحط ويطلق منطقاً سليماً . وهو قادر على
أن يحط أية كمية من الكلام الجديد . فبعد أن حط القرآن الكريم لم أعد أحاف
عليه ..

ثم قال والدي : فها بك

قلت :

فها بك من تكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحرم

- هل تعرف من صاحب هذا الشعر ؟

قلت : التميم

قال والدي : امروء التميم . قل : لخولة أطلال

قلت :

لخولة أطلال ببرقة سهمد

طكت بها أنكى وأنكى إلى بعد

- من صاحب هذه القصيدة ؟

- ابن العبد

- طريقة ابن العبد .. قل : لمن أم لؤي ..

قلت :

أمن أم لؤي صنة لم تكلم

بحومانة الدراج قللمنتلم

فانما نسلم من صاحب هذه النفس

رفيع بن عيسى بن عيسى

ابن عيسى بن عيسى

فلن

و من هذا ارجو

في عظيم الله

انك قد جئت به

و قد يد بعث

مختار في عيسى

شعره في مرقى

من اول سلب

نفسه

في نزلت هذه شعره من كند

فان

الذي يصحك فاصنع

الذي يلقى حمو و امر

صاحبه في بعض القه

من هذا انما جديها سجد

ما في الا بعد عبيد

و نظره بغيرك انما

ما في انما انما

و يصير في عجزه انما

ما في انما عيسى عبيد

و انما في عظمه انما

انما انما عيسى عبيد

و انما انما عبيد

فانما هذا انما عيسى و عيسى عبيد

انما عبيد انما عبيد عبيد عبيد

وأقرب مني واحد من المدرسين يقول : أنت أستاذ .. أنت تست تعلمنا ؟
وكأن هذا هو مدرس الانشاء ، وقد أعطاني صفراً في موضوع الانشاء ..
ثم كتب في كراسي أنت سرقت هذا الموضوع من أحد الكتب . صفر ..
ولم أكن قد سرقت الموضوع وإنما كتبه . ثم وضعت فيه بعض أبيات من
الشعر .. بعد كنت أجد لكل مناسبة أبياتاً من الشعر . بل كنت أسرف في وضع
الشعر في كل موضوعات الانشاء .. هل لأنني أعطت الكثير .. هل أرثت أن
أكون محظوظاً من التلاميذ ..

وقبل أن يخرج من غرفة حصرة اللامطر ، التفت والذي يقول لي : قل
لأستاذك أبيات الحريري .. هل تذكرها .. سلّمك أمالك ..

قلت : نعم ..

سلّمك أمالك إذا خلط

منه الإصالة بالعلاط

وتجانب عن نسبه

شكر المصيبة أم غلط

من ذا الذي ما ساء قط

وله المعنى غلط ؟

ثم وضع والذي به علي صفي ليكمل الأبيات :

محمد خير الزوري

من عليه الوحي غلط !

وجنب صحتك اللامطر والمدرسون والذى . ومدرسون آخرون جاءوا مع
أولياء أمور التلاميذ خرجنا .. وعث إلى البيت !

وكانت بداية شعور عميق عذبي لم يدر حتى وأنا طويلاً . أنا إلى مختلف
عن بهية التلاميذ .. ثم بهية للطلبة بعد ذلك . والبس أيضاً !

وعندما تعمق هذا الشعور واستقر ابتداء من الكتاب بالمدرسة والجامعة ،
وجنب في العزلة والانتواء والقراءة الملجأ الوحيد .. المحبب الأيمن من
مشغول جمعية ومحاول وغمية .. ومحاول تضحمت في العزلة وكبرت مع
العزلة ومثلت أمامي مذهب فلسفية بعد ذلك . ووفعت صحبة لأشياء كثيرة :

هلم أعد أعرف إن كان الحرف هو الأصل أو هي الرغبة هي الانطواء . هل
أنا حائفة ولذلك شعرت . أو أنا مطبو بطبعي واضعت على ذلك فأصبحت
محب من أى شكل أهر من أشكال العلاقات الاجتماعية ..
ولم أكل خلتا من شيء محدد .. وإنما أصبح المثلث العام !

• • •

كان يوم الجمعة . وكلفت غرضي قد انصرفت موافقا .. ووجدت حركة غير
عادية في غرضي .. طشت ولوعية من الماء الساخن .. ويحور وسنونات
ودعوات . وجاءت حائتي « مبروكة » المجرية .. ورلمت تنفش رجلي وبدي
وجهتي باللون الأزرق والأسود . وكنت محتسما نعلما . لم أسأل . وكنت
نقول : حالوتك .. أسير والقي !

وعرفت أن « المرحل » من صفتي أيضا .. فلا سألت ولا اعترضت ،
وكأنني أترج على إنسان آخر لو كثفها رغبتي في أن أعرف هي أهم من كل
شيء .

وأجلسني على مقعد ووسعت قنمي في الماء الدافئ الذي راحت تثلو عليه
صبرات وعبارات لا أفهمها ثم مشرب منه وتلقى بالماء من معي . ثم نشره
من معي على وجهي .. ثم نشره في الفرة .. وتلقى به على السرير . وتحرق
ورقا بعد أن وخرته بالذهب .. ثم تلقى بالماء على السرير .. وبالورق
المحروق في كل مكان .. وتطلب مني أن أشرب كوبا قد شربت هي منه ..
ثم وصفت في يدي ورقا محروقا وطليت مني أن أبلعه .. وأبلعه .
وأصنعي قطعا من سكر القهات .. وطليت مني أن أبلعه . لم تملن وإنما
أمرتني بتهديد ووعد .

وبرعت ملائسي .. ورأيت نصب الماء على جسمي .. ثم أتت ملائسي
بطيعة ولتقت عليها الماء .. وأرتدت الملابس المطبوعة . وانفتح الباب بمرعة
ونخلت عجيبة أخرى ومعها عود من الحديد الأحمر .. وأقريت مني وإذا
بى أهر بمرعة . لأجد نفسي على السلالم خارج البيت منعها إلى المسجد
بين صحوف المصلين وأجلس إلى جوار والذي الذي أفرعه منطري ، ولما لم

يجدني فأتوا على أن أروي له ما حدث . إنجه بي إلى جانب من المسجد .
ومأثني . وحكى له . فحسب صارحا : جهله .. مجابئ !

ولما لم يجدني فأتوا على الصلاة من شدة الخوف وكثرة التمعن ، طلب
منى أن أجلس وأهبط دموعي !

وفي الليث سمعت للقصة . فقد شككت والفتي لجارها فبسي أنهض من النوم
في حاله هرع ورعب دون أن يكون هناك سبب لذلك . وأن هذا الفرع يحدث
أول الليل ونصف الليل .

وقبل لها لابد أن يكون قد حدث بعد رياضي الأخيرة للمعلم وحدي لئلا ..
هذه مات أحد أقاربي . وسمعت من الأطفال أن الميت بعد أن يدفعه يفتح القبر
ويطلب شيئا من أي ولد . والذي يحقق له هذا الشيء يدخل الجنة . ولذلك
ذهب . ولم أجد أحدا . ولما لم أعرف كيف أعود إلى البيت بسبب بهاج الكلاب
أو صوت الذئب ، دخلت الصريح وأظلمت الباب وغلبني النوم همت ..

وقبل أيضا أن سبب هذا الفرع يوم سقطت من فوق ، النورج ، ولولا أن
البقرة التي تجره كانت مرهقة ما نوقعت عندما سمعت صراحي . وأن الله قد
كتب لي عمرا ثانيا . ولكن الحصة والسقوط تحت عجالات النورج ، هي التي
أنت إلى نحويف ، القري ، والغري هو أحى الروحي الذي يعيش تحت الأرض
والذي لا يعارضني لئلا ومهارة !

وقال أحد المتقين من أصدقائه والذي إلى هذا الجوف سببه يوم تحت
« طهارتي » فقد كنت نالما .. وخرجت بحائق للصحة . ثم إنهم كانوا ..
ومثل هذه الحالة ، يطارد الأطفال وقتا طويلا !

ولكن المعجزة « مبروكة » هي صاحبة فكرة « الكي » بالنار .. ليدهب
الحواف والأرواح الشريرة . ولم يقل أحد . أين موضع الكي .. هي الراس
أو في كعب القدم أو في الذراع أو هي الكتف . ووجدت شيئا من الحكمة في
هذا الذي كانت تفعله المعجزة . فلكي أعود إلى حياتي الطبيعية بلا خوف ،
لابد من الكي بالنار .. لابد من الحنظل والدار . إنه لمن هزح !

كيفية من الصعب ألا يكون الإنسان طبيعياً - فإذا أراد من يكون هوياً سعيداً
سواء - مثل غيره خلق الله فلا مفر من الأثم - من المرافقة التي تعرف - وتعلم
شرف مدى الحياة

وكثير من النور التي توكها ظلام الرعب وحولته وأثره الصبيحة والشمس
التي تفتح والخور وتغلق التي هي حياتنا وقاوم العلم والمصير - ويظهر في
التكرار أو في الأضلاع أو في المخلوقات الشريفة - فقد منعت إلى أن يكون
سواء جواً وواً وبهراً - ومن حين إلى حين مفر نفسه بحرية بين لها
سواء - ولا تعرف كيف ظهرت ، ولأنها لا تملك - مثلاً كنت في جحر
هوى الله - هي مبطنة - وكنتي الحديل - وأنتظم الأيس كريم في نصف
جيرة الهند - الواحد في حجم الطبيعة وعجاء ومن غير مصفات ولا معنى
ولا خلافة وجنتي أصي .

إن كنت يوم رايح كثر التوار
على التمثال زور أبو حمص
تلاقي محل عليه ضار
فيه التفتيح راحة توفيق

وسقطت هذه العنكبوت في كدس - حول العالم هي ٢٠٠ يوم - ثوب أن تفتدي
بمن يصير - فلا وجه لثيبه بين شر حمص وكثر التوار وهو يولود
ولا وجه لثيبه بين نرجه المصنوعة وشاصه - وكنتي على المحيط الهندي
ولا حول الدج عنيه أيتكني والأيس كريم بجور الهند - إن كانت هوى يوم
هي الجبهه من التوكز أن أبو حمص هي جهنم الحمراء أعتت تلك الغريب

ومره حري كنت في حنبة - نازح محل - بالهند - وعجاء وجنتي القرب
بهم جيرة من الهند
ومركب عليها غلب
نما أعتت منها مصر
والعقل على غلب
بهم .

ولاً لا أعتت - ولا خلافة بين الموز - وبين غلب التفتي وبين هذا

الأثر المعماري الجميل الذي أنعمه السلطان لزوجته الزهبة ، فكل بناؤه تحفة تاريخية !

وهي من أعنات الريف ..

وفي العتكيك كنت أحضر قداسا للبابا يوحنا الثالث والعشرين .. ونعصر ومديده على رأسي وطلع الطاقة ووضعها على رأسي ثم أعادها بركة .. وحفنا من كل الموجودين ..

لم أعرف أهمية الذي فعله صاحب القداسة إلا عندما خرجت من كنيسة القديس بطرس ، وهجم الناس على رأسي وحطفوا الطاقة ومزقوها ملئة قطعة .. وكل واحد احتفظ بقطعة منها .. بركة حتى الموت !

ولم أكد أرى الترابيات وقد خرج من العتكيك .. في ملابس البهائم كالطهارة والصفاء والإيمان . شقراوات جميلات .. خرجن حائبات الرؤوس وبلاشي من الجماهير .. خرجتني أرد ما كان يقلل في أعالي الأفراح هي الريف :

بنوم المازب يانته

ده نومة الكلب أحسن منه

يحط فيهض تحت رأسه

والحمدة بنات رجله

بنوم المازب .. الخ

لاوجه للشبه ولايبر ..

وفي كثير من الأحيان أجد متعة في البحث والمقارنة ، ومطردة السبب القوي الذي جعل شيئا كهذا قريبا بطور على الذاكرة ..

كأنني كنت أصعبها تحت رجلتي عشرات السنين .. ولما رفعت رجلتي ، هربت إلى رأسي .. أو كأنها كلى يجب أن تخرج من اللاشعور ، لتتوت بعد ذلك .. وجاء دورها لتتوت .. أو كأنه العقل يصعب تب من الترامل والصوابط والسلاسل والتفريود والتكلمات لكل أحداث الطفولة ، فأطحت هذه الحادثة هي أن تهرب من عظمي إلى قلبي ، وتجعلني أروح وأفنئ أثرها في كل مكان ..



جاء الحب.. ذهب الحب

جاء الحب .. زهّب الحب

كنت طالبا في السنة الأولى الثانوية .. مجتهد في الابتدائية وكان تربيته لأول .. ولابد أن أكون الأول في السنوات الخمس للثمنه أيضا .. وفي الثانوية العلة .. لابد ربنا سهل ..

وفجأة لاحظت أني في كل مرة أصبح الكتب أجد صوره أمامي .. هي سمراء شعرها أسود .. حبيبتها عظيمي .. ووجهها حزين .. ونبت يدي إلى نوري أمامي أتمنى هذا الوجه لا أجد .. يني من أين تعني هذه الصورة ؟ من نماعي . كيف ؟ لا أعرف . ولم يكن في استطاعتي أن أعرف في تلك الوقت .. يني الصفحات هي الثلثة ونماعي موجود به العلم والمصباح الفويه سي يمكن الصورة . كيف ؟ لم أقاتل نفسي . ولو نامت فليس لا أفهم يني هذا هو الحب

ومعناه يني تظهر صورة من نماعك وسمك من الغرامة ومن التفكير وهذه صورة هذا أعرفها . وهل صحيح أني أعرفها . رأيتها مرة أمم . يمكنه عرويه . نعمتي وحدها . وكنت في مشيها بقرب من المكان الذي لف فيه . هي تمشي وأنا سارح لا أراها ولا أرى غيرها . ولا أعرف ما الذي كان سعلني في تلك الوقت . ولا تمضي تفائق حتى يجيء بقية الزملاء ونمضي عن ليل من أول المصورة إلى آخرها . ولا أعرف أنا كد يرى شيء مما حدث . نحن نكلم في الأتد والطفلة والشجر . والفيل جد في السيلسة ولم كر . الذي نكلم . وإعنا الزملاء الذين يزنون ما يقال في بيوتهم من حوار مر ذك وأصغاه والأهرب . وهذا ما لم أعرفه . هو الذي بعد عدا . ولذلك فس . نصفه كبار . فلا حوار ولا مناقشة في السياسة أو في أنه فسيبة ح . ب . لذلك فكل مشكلتي . معاصرة . من الكتب . ولا أظن أنني في تلك

الوقت كنت أقرأ الصحف أو المجلات . ولكن أراها أحياناً . ولم أشعر
بضرورة قراءتها .. ولا بأن هناك نقصاً لأشئ لأقرأ ما فيها . ولم جد أحداً
من الزملاء يتحدث عن الصحف ، المجلات .

وفي اليوم التالي كنت أرى هذه الغفلة نفسها واعتدت أن أديعها بعيني ولذلك
سُطِيع أن أضعها . تحبها سمراء . طويلة . سوداء الشعر . لها مشية
عريضة . عندما يمر جاني كنتها بطة أو أوزة .. ونهر رأسها بصورة عصبية ،
يتحول شعرها من جانب إلى جانب . ثم لها نظرة ناميبي .. تنظر في عيني .
ولا تقول شيئاً . لا أعرفها ولا وجهها ولا شعرها . ولا شيء . أو كأنها تريد
أن تقول شيئاً .

وفي يوم تحلف الزملاء . وانظرت طويلاً . وفرت أن أعود إلى البيت .
وعندما وجدت الغفلة قد اقتربت في اللحظة التي تحركت أن أقصده .. وتون قصد
وجدت نفسي قريباً منها إلى جوارها .. أمشي وراءها . ولما اقتربت من الناس
تأخرت عنها . ولم ألاحظ أنها قد أسرعت في مشيتها . ربما هي تأخرت
أيضاً . كأنها تريد أن تمشي معاً . وتوقفت حتى تمشي معاً . فتوقفت هي
أيضاً .

وفجأة سألتني : كم الساعة ؟

قلت : لا أعرف .

هبطت في ساعتها وقالت : الساعة .. ولكن ساعتني غير مصبوطة .. أنت
رابع حين ؟

وكان هذا الحديث مفاجئاً . ولربيتك . ولم أزد عليها . ولابد أن يكون
وجهي قد أحمر ثلماً . ثم عادت تقول : أنا أنت هريد .. هو الآن في
القاهرة .. أنت تعرف هريد ؟ قلت : أعرفه ..

وأظن أنها هي التي تكلمت طول الوقت . ثم إذا بها تقول لي أنها جاءت
هي ووالدتها ورايت والدتي من بصعة أيام . هذا كانت مريضة جداً . وكانت
هي ووالدتها في زيارة أقارب لهم في بعض البيت . ثم إنها دخلت غرفتي
ووجدت كتاباً كثيرة على مكتبي . ثم إنها رأت أنه من الضروري أن أفتح كتابك
مكتبي . فالتعرفه رطبة جداً . وهي متدهشة كيف أنسى أذكر فيها . ولكن علمت
من والدتي أني أصعب مطانية على ظهرى وكنتى وطافية من الصوف . إنسى

مر كوم معظم الوقت .. ونسى قُام على المكتب وكثيرا ما سمع للمصباح تحرق
كسبي أو أنسي القزيت منه جدا فأحرق رموش عيني ... وأنسى وحيد بمناء .
ليس لي أصدقاء . ولا أروور أحدا ولا برورسي أحد . ونسى أكثر أحوثي حدان
بامي ونسى . وأنسى إذا مرست فإليها بعضى عنى مرصها حتى لا تعطلى
عن المملكرة . وأنسى إذا توجهت فإليها تصعب رأسها تحت القناب حتى
لا سمع أماتها .. هومى صعب جدا . ويكفى أن أسمعها نقول : أم لا هل
سهرأ حتى الصباح .. ثم قالت إن لى روت لأمها ولها أبها ، كيف لى لم
أذهب إلى المدرسة منذ يومين وظللت أبحث لها عن دواء فى كل الصيدليات ..
فى المنصورة وعلما .. ثم ركبنا اتتظار إلى السبلاب . وأنها لذلك لا تطالب
مى أن أشتري لها أى دواء .

وقالت لى أن أحدا هريد لا يهتم بأحد . لا بألها ولا بأبيها ولا أحوثها .
وإنها عندما شكت له أن الثبال يملكونها فى الشارع ، لم يهتم . حتى عندما
قالت : أن أصدقاء يملكونها ، لم يظهر عليه أى شيء من الاهتمام . وقالت
إنه يملكن أحوث أصدقائه إن لا مانع عنه من أن يملكونها هى ألب . وفى
إحدى المرات طاردها ولحد منهم وأمسك يدها ، وقال لها كلاما لا يلىق . ويكث
وشكت لأحبها .. وكل الذى قاله لها . إقمى الجريمة ولسريه على نماغه ؟
ثم بطرت ملجئتي وقالت لى : ولكم مختلف !

أما كيف انتهى هذا اللقاء . أو هذا السير مما . كل الذى أنكره فى ذلك
الوقت أنا مرعا معظم الطريق الولد وراء الآخر . أنا الذى أمشي وراءها .
ولكن عندما اقتربنا من شارعنا سرنا معا . ووفى أمام بيتنا . وأشارت بيدها
إلى بيتنا ، وكان يبعد بضعة أمتار . ثم قالت : صبيحة .. لنوفد غدا .

فى تلك الليلة كانت صورتها وصوتها على صفحات الكتاب . وفى مصبح
أسمعه أسمى .. وفى الصحف .. وصوتها كان يجرى من أنسى .. إن هذا هو
المحب .. أو بداية الحب .

بها أول فضاء أقرب منها ، أو تقرب منى . جاءت إلى بيتنا . ورأت لى
ورأت غرضي .. وسمعت جكلياتنا . لقد تحدثت هبانا .. وحياتي . هذا الذى
بأمرى قد حدث فى بيتنا ؟

أنى مريضة ؟ لا عربة هى ملك .. ولا عيب . غرضى صغيرة رطبة
محموفة ؟ صحيح . والباقى معلقة وهى لك رطبة .. يتسلط من جناتها
الجير على الأرض .. ثم أنى أصح حصيرة على الحائط ورأى .. وأصع
الأعطية على كتفى . حاسا كأننى واحد من أهل الاسكيمو الذى يصنع بيته من
كثل الجليد .. وكنت تنظر إلى جهنم كثيرا . فى الأحمر فوق حاجبى الأيسر
سببه أنى سميت وأنا أدكر فأحرقى رجاح المصباح ..

هى العذرة رحت نبحث عن أحياها فريد . إنه فى فصل آخر .. وكنت
أنظر إليه من بعد . إنه أبيض وهى سمراء .. إنه مرح محبوب من كل
القلادة .. وهو فوق يدخل فى حنايات ويعمون له قلب حساب .. ثم إنه فى
غريق الجملز وهو يمر إلى العطة والمتواربين .. وهو يندى .. وعصا
يفترت منه ومن زملاكه دون أن أتحدث إليه وجنبه يروى حكايات غريبة ..
عن فتيات ويذكر أسماءهن .. ويكعب عاكس فلامه وعاكسه فلامته .. ويكعب عاد
إلى البيت متأمرا يمشى على أطراف أصابعه .. وأن والدته صبطته ووعدها
بأن تكون هذه هى المرة الأخيرة .. هو علم أبوه لصبره وحرمة من
المصروف .. ولم أهم شيئا من كل هذا الذى قال ..

ولم أعرف هذا الشعور الغريب الذى كان يدفعنى إليه .. هل أريد أن أكون
قريبا منها هى .. أو من أى أحد على صلة بها .. أو أن أعرف شيئا عن حياتها
وعن بيتهم . هل أريد أن أعترف له ؟ .. أعترف بماذا ؟ هل أعترف له ؟
.. ولكنى لا أعرفه . وليس هناك شيء عذى يقال . لقد وجفتنى مشغولا
بالتحدث عن النظر إليه والافتراق منه .. لما هو فمته أستقاء كثيرون . ثم
أنسى لا أخفيه . والقلادة يظفرون بلحيتى على أنسى محتلف . وأن وجودى
ببهم . شيء غير مريح ، فأنا تلميذ فقط . مسجون فقط .. لا ألبس ..
لا أسهر .. لا أعرف أحدا .. وليس عندي ما أقوله .. فلا حياة لى . لا فى
البيت ولا خارجه .. بالضبط نموذج لما لا يجب أن يكون عليه القلمود المرح
الشاب المتفكك حيوية وشغالة . فلما ألبس مثلها هى : حزين الوجه .. بلا كلام
يقال لا على الوجه ولا من العيين .. أنا تمثال بصمى .. من التمسك أن يوضع
فوق ترابيزة أو إلى جوار حائط وتتركى ساعات وأنت على يقين من أنك سوف
تجنى فى مكانى .

وقدأت رجعت فريد يقول لأحد أصحابه : إعد عن ميمى

عنه له : مهمي مين ؟

حمي .. لا أريد مناقشة ..

وبمبافته . أسمع إسمها .. وود ريث أنه جلد في هذا التهنيد .. ولكن
- - - - - سأحدث إلى أخته . هي التي بخبرتي . أي لم أعكسها . وهي التي جاءت
ر بس . وهي التي وعدت بأن ترضي عدا .

وفي المذ لم أخرج . ولم أستطيع أن أذكر . وأدعيت لأني لست قلقا عني
سحبها . وأني أريد أن أنام إلى جوارها واعتزمت أمني . ولكن جلست إلى
ح . ورحلت أسألها عن قلبي رارونا في الأيام الأخيرة . ولم تكن أعرف
- - - - - كثير من هؤلاء ذلك .. حالاني .. وأحس . وكنت غير شقية . ولم أسمعها
قد لا في تلك الوقت ولا في أي وقت . ونسيت أن أبحث أحيى هذه معا .
مكر أمني رخصت . ولم أهتم . وكنت أحتي سمراء طويلة . لونها حمري
رجلها جميل وعينها أيضا . وصوتها أول هذا يقيني على حدي . وتصممي
ر صدرها . كنت أكبر مني بحسن صوت . وكنت تقول : يا أحيى ..
- - - - - حبيبي .. بصدايا .

وكنت وأنا طفل صغير أعرب من التبت وأذهب إليها في بيت جنتها ..
وكانت أراها حتى أصبح رأسي على كتفها أو على صدرها . ويحيى اليوم
- - - - - فكر في معنى ذلك . وكنت هي على استعداد دائم لأن تصنع ذراعها حولي
مركبي أمام . وكان منظرنا يبعث على الصعك وكان للبلد يسكنون عليها .
قد تكاد جنتها ترائي حتى نادى : يا وجنت . اسم أحيى . عريصك وصل ..
حريص جاء بيلم !

وكنت أنخل من الباب وأجه إليها وهي تعلني . وأجلس إلى جوارها .
و عرفت ما الذي أقول . وما الذي تقول وبسرعة أجدني مستغرقا في النوم
وكنت أحيى تصليق من ذلك : اللبس تقول إيه ؟ يقولوا إليك لا تنام في
جنت . إيه لا يوجد حريص .. إنيك تعمل طول الليل .. ولا مكانك لك في
بيت .. بلاش يا أحيى .

وتم أعرف في ذلك الوقت ما الذي يجب أن أستمتع عنه .. حتى هذه اللحظة
- - - - - صورة أحيى تملأ هذه الصفحة .. باهنة .. ثم قلعة . سمراء . سوداء ..
- - - - - صورة .. ثم نفوذ . وتقرب .. حتى لا أستطيع أن أحمي في الكتابة . نسيت
عش هذه الأحمد .. أن نعيش لي .. ولكنها مالت شابه .. مات نفوذ وأعقب

شعور في أعماق أصغافى .. هذا الحب .. الحنان .. الأمان .. ولم أشعر لأية واحدة من أحوالي ، بمثل ما شعرت به لهذه الأخت .. التي كانت أمومتها مبكرة . وكان عطفها وحسنها مما لا ينهى . قط نظرتها .. لمستها .. صوبتها .. الأمان إلى جوارها ومعها .. وكنت إذا وجدت فستانها قد ارتفع عن ساقيها قليلا فسي أسحبها إلى قميصي . وهي إحدى المرات وجدتني تحمل طفلا من أقرنها .. بهمسرة طالت إليها أن ترفع الطفل لكي أسحب فستانها إلى قميصي .. والأقرب بتعجبين لهذا للشعور المجيب بيئنا . وكنت جديتها تقول : سبحان الله . لو لم يكن أباها . لكان أخص روج لها .. ولكنها أكبر منه . مع أنه لم يمش معها في بيت واحد .. ولا راها إلا عندما كبرت ..

وروت جديتها أنها بحثت عن أختي في يوم من الأيام فوجدتني جالسين تحت شجرة من قصباح حتى المساء .. لا نكلم ولا شربنا .. ولا لنهني لنا كلام ..

هل كانت ؟ أ .. صورة أخرى من أختي .. هل هذا صحيح أو أن خيالي هو الذي صورها كذلك .. أو هل هو إحساس بعقد أختي جعلني أتمنى أن أجد تعريضا في أمال .. أحيانا أجد أمال هذه مختلفة عن أختي .. مختلفة تماما . فهذه سمراء وأختي حمراء اللون .. أمال سواد العينين وأختي زرقاء العينين مثل والدها وجديتها وعصاتها وحالاتها وأخواتها وأخواتها غير الأشقاء .. ولكن للصوت واحد .. فأختي كان لها صوت ملهى فيه ، بحة ، كلها تنص كلاما .. وكانت إذا صمكت ترأعت برأسها إلى الوراء .. وظهور على ملامحها طفل برص .. وكانت مثل كل بنات الزيف إذا صمكت وصمت بهذا على منها حتى لا يسمع أحد صمكتها ثم إنها تنحني إلى الأمام كأنها تعفى وجهها أيضا . هل كانت أمال تفعل ذلك .. أو أنني تخيلتها الصورة الجديدة لأختي .. انهلطت للصورتان أمامي - وتداخل الوجهان . وأصبحت أشجع في مقابليتي لأمال .. أذهب للقاتها . وأتحدث إليها . ولتطر إلي وجهها وأتابع أحوال الكلام والمعاني على وجهها وقد تلاشت صورتها أمامي وكذلك صوتها . فلم أعد أشغل بها كثيرا . وإنما أحرص على أن أقبليها . وكنا نلتقي أمام بقال يبيع الحلوى ويبيع الكتب أيضا . وكل اللقاء يمتدح نصف الساعة . وأحيانا الساعة . وفي هذه الساعة نحدث . هي التي تتحدث أكثر - في أي شيء .. وكان عندها موضوعات كثيرة . وحكايات لا تنهى . وكنت لا أعرف كيف أرى حديثا ..

فحكياتها مليئة .. أو عندما هذه القدرة الهائلة على تحويل أى شيء إلى حكاية ورواية .

لأن أختي يرحمها الله كانت أجمل وأقطع . ولكن لم يكن لديها كلام تقوله . كانت مثلى تماماً . أما .. أ ... هذه فتعدها كتب ومجلات وأصيات ثم إني لا أعرف كيف أجيبها على كثير من أسئلتها مثلاً : ما الذى تقوله أنت وزملائك عندما تمشون على القيل ؟ .

ويكون جوابى : عن الكتب .

.. أى كتب ؟

.. لاني يعرفها .

.. هل تعرف أنهم لا يعودون إلى بيوتهم هناك ؟

.. لا أعرف ..

.. واحد منهم يعرف إحدى زميلاتي ويحبها .. وإثنائى خطب إحدى قريبائى .. وإثلاث صوف يزوجه أهله ..

.. لا أعرف .

.. إذن عن أى شيء تتحدثون ..

.....

ولم تكن أعرف ما هو المقصود بكلمة : الحب ، وكل الذى أنكره أنها كلمة ، صفة السمعة ، وهي كل مرة أسمعها هي بيتنا أجدنا مرتبطة بالإهمال في المذاكرة والرسوب .. أو القنصين .. أو السهر أو طلب الكثير من المصروف .. ولكن لم تكن أعرف بوضوح ما هي العلاقة بين كل ذلك والحب ..

وكنت من حينئذى تسألنى هكذا : ولت ؟

.. وأنا ماذا ؟

.. ما رأيك ؟

.. فى أى شيء ؟

.. فى هذا الذى أقول ؟

ويكون الذى تقوله عن الزواج .. وعن المستقبل .. وعن الحب .. وعن

موقف أحبها منها وإيمانه لها .. وقصوته عليها .. أو قصوة أمها .. أو لعمري
والتمز من صديقها الثلاثي رأيتها معي أمام التيهال . ثم ظهور المسرحيات
والاشتغال عليها وعدم قدرتها على التركيز .. وما الذي يعجبها في واحد
مثلي . لا يهش ولا يهش .. ولا يصد ولا يرد .. يمشي ووجهه في الأرض ..
ولم تكن أعرف ما معنى أن يكون لي رأى .. أو تعليق على هذا الذي قالت ..
هي قالت وأنا سمعت . انتهى . ولم يكن من السهل أن أحكم على هذا الذي
سمعت هو سمعني له .. فلما لا أعرب الحوار . لا حوار في بيتنا .. إذ أهم
التصلياً التي سافقتها هي البيت .. أمي تتكلم . وأنا أسمع . هي مريضة .
ولا رأى لي .. جامدا صوب .. أعمل لهم للشاي .. فلا رأى لي .. هل
لصاحب البيت : سددع الإيجار بعد أسبوع . فلا رأى لي .. أنا أذهب إلى
عزتي وأذكر وألم وأصحو .. وأذهب إلى المدرسة ولا رأى لأحد
.. ولا رأى لي ..

مرة واحدة مدتني . هل يرصيك أن أمتشي في الشارع وحدى .. وفجأة أجد
أحد أصدقائي ألقى بقرصني من هنا ..
قلت بسرعة : قلة قلب !

وظهرت عليها السعادة . ولأول مرة وصحت يديها الاثنتين حولي . وكانت
حركة مفاجئة . وبهركة عصبية منحت يدي وأبعدت يديها .. ولم أقهم
ما قلته : أنا سعيدة جداً اليوم !

• • •

وفي يوم كنت للقاء في حديقة « شجرة النر » وأنا الذي اخترت هذا المكان .
لم أعرف لذلك سببا واضحا . هل أنا أمارل أن أؤكد ما يفضل مؤلفو الروايات
الغرامية .. هم يذهبون إلى الحدائق .. أو يجلسون تحت الأشجار .. دائما
هناك حديقة وشجرة ورد .. وعصفر .. ولعلينا مجرى ماء .. نبع ماء ..
ينز .. ودائما تكون قطرات الندى قد غطت أوراق الشجر .. أما السماء فلا بد
أن تكون إما صافية تماما .. ولما مغطاة بالسحب .. والأرض إما متوحشة
أو مسطحة عليها أوراق الشجر .. وهذه الأوراق ذابلة .. ولعلينا نجد ألعلا

يعنبر .. ويمرعة مجيء كرة صغيرة بجري ورائها طعل .. فيحنى عليه
المحور ويقلوبه .. وتتلاقى صيوبهم بما لا نهاية له من المعاني : الحب
ومرواح الأسره وسعادته الأطفال .. قرأت في قصة إسما ، هي غيب القمر ،
لا أعرف من الذي ألها ، في اثنين من العشاق جلسا تحت شجرة .. وكان من
بين أغصانها ، أنثى متعاقب .. ولم تجد لطبور مكانا أدعأ ولا أجمل من هذين
العصيين ..

أما القنى هائل : لأن المصاهير كثيرة ، قد تركت سجلاتها على الأوراق ..
أما القنات هائلت : ما أروع لجمال هذه الأغصان .. وما أئد صبرها .. إنها
تطلى الشعب والمعلم والطعام ، ثم تلقى هذا المصير من المصاهير ..
قال القنى : ليست غوبة .. ولكنها طبيعة الحياة .. فالتى يأكل هو الذى
يترك المغاملات .. وهذه المغاملات هي مواد عسوية تقوى قشرة الشجرة ، إن
المصاهير قد أصطحت الشجرة أعظم ما تحتاج إليه .

قالت القنات لقد أئسنسى صوت المصاهير وشكل المصاهير . وهذا المحور
الأئدى بيها وهذا العناق الدائم يلف رقبتها .. وهاتان المغاملات .. آء لو
تكلمنا تفكر ما الذى يمكن أن نقوله إحداهما للأخرى .. لابد أنهما معا سوف
يطلقان بكلمة الحب هي ومن ولدت ..

وقال المؤلف بطيها على حوار الممثلين طيبى أن يكون القنى العشاق
مهند ورائعا .. وأن تكون القنات للعلاقة رسالة عابدة للأقول .. لموسيقى
الأقوان ..

وفي رواية أخرى عرفت أن هذاب الليلالى ، لا أعرف اسم مؤلفها وجنتنى
قد وصفت خطأ تحت هذه العبارة قالت القنات : لا نقل إنك تحبى .. هنا على
بين من تلك .. الأشجار والأزهار والطبور قد قرأت أفكارك وراحت ترد
هذا القنى ورقة وشجرة وسمة هواء وفي يريق النجوم .. ولكن أجمل لمعان
هو الذى فى جبهتك .. لا نقل شيئا .. لقد قلت .. قلت كثيرا جدا .. إنك خلقت
عابا من حربين ومحيطا بنجى بالأمواج .. لا نقل . وأنا لن أقول ، لئى
أحتس أن تتدخل النجوم والقمر والسحب والرياح فى ملحة للحب الأئدى ..
وأنا لن أقول . لقد قلت . وهذه الدنيا شاهدة عليها 1

هل لهذه العبارات معنى خالص .. لم يكن لها معنى عدى . وإنما تراكيب
الكلام وبحريج المعاني بعضها من بعض هو الذى يثبت على ذهنى فى ذلك
الوقت .

ولما سألتنى : ولماذا حذيفة شجرة الدر ..

كان ردى على ذلك شبهها بمثل هذه الكلمات : للمكان أمل ، والأشجار
الطويلة على الجبالين .. والأعشاب كالحرير .. والأوراق كلب صميرة
تتصرع إلى السماء .. والأزهار ابتهلت ..

هل ألفتها ذلك ؟ هل أعجبها ذلك ؟ هل قلت شيئا يستحق الإعجاب ؟ ولكن
لمادا قلت ؟ لم يكن فى قدرى أن أفكر وأعبر وأعبر وأعبر .. ولكن أحاول
أن استعمل لمشاعر غريبة فى داخلى .. أو لى تشجعت فأكون متحدثا منكما
أو مفكرا ..

وعلى ذلك الوقت عرفت الكتابة .. وكففت كتابتى على شكل منكورات ..
أو على شكل حديث بينى وبين نفسى ..

وسألتنى : ماذا أفعل لو رأنا فريد ؟

ولم أكن فكرت فى ذلك .

ولكنى قلت : إننى أدرج لك النحو والصرف .

قلت : ولكنى ممتازة فى النحو والصرف .

قلت : اللغة الفرنسية .

قلت : ولكنى ممتازة .

قلت : إذن التاريخ .

قلت : ولكن ليس معنا كتاب للتاريخ ..

ولا أذكر كيف انتهى الحديث بعد ذلك ..

ولكننا ذهبنا كثيرا .. وكففت هى أكثر تسلا عن الذى سوف أمله فى
المستقبل . ولم أكن قد فكرت فى ذلك . فلما لا أعرف ماذا سيحدث غدا .. بل
إن هذا المحضر بضمه كلى شيئا . فلم يكن فى حسابى أن أكمل نمطى .
فالظروف صعبة . وكلفت هناك محاولات كثيرة فى أن أتوقف عن الدراسة
وأن أعمل موطئا فى أى مكان . فالظروف قاسية . ولكنها وقننى . وهى تنظر

سبي أفكارها من المحامين والمهندسين والوزراء ، قد أصوت على أن تكون
شيئاً .. فإن تكون تلميذاً هو نتيجة جهود مصدبة قمت بها والدي . لم أعرف
مفاسيلها إلا متأخراً جداً ..

ولم أشعل لحظة واحدة بمقتبلي فكر الذي أعرفه هو أن أذكر وأن
أعوق . أما بعد ذلك فلا أعرف . ولم أشعل نصي . ولكنها كانت تفكر في أشياء
كثيرة لم تحظر لي على يال . هل نحدثت عا ، نحن الإثنى ؟ كنت على
يقين من ذلك . ولكن لاحظت أنها تقول : معن .. والناس يقولون عا .. أمها
قالت .. ورميلتها قل عا ، ولم يكن في استطاعتي ، أن أفهم بعداً وأخرج
عليها نحن الإثنى . وكيف يبدو لمن يولنا من بعد . هي أكثر حيوية ومرحاً
وأكثر كلاماً وأكثر وعياً بمن حولنا من الناس .. وهي ترفع صوته وتصفسه ..
وسوف عي الكلام وأحياناً توارى وجهها .. وفي بعض الوقت لا تحبب عها
كلمة أو لمحة واحدة مما أقول . ولما أتوجه إليها طول الوقت ..
.. قل لي يا ..

ونظفت اسمي .. وأدهشني ذلك . ثم وجدت سارحاً فمكنت وقالت : قل لي
يا .. وكبرت اسمي أيضاً ولمسني ذلك الداء . وسمعت لإسمي ريباً وأداء
محبك ..

وسألتني : هل تحب الأطفال ؟
وأجبت : لا أعرف ..

.. إذا رأيت طفلاً صعباً كالذي رأيت أمس .. فما الذي تشعر به .. أنا أشعر
كأنه ملائكة .. كأنه هابط من الجنة هورا . أنه أجمل مخلوقات الله .. منهي
السعادة أن أرى طفلاً وأن أعاقته وأن أهله .. ولا أمل البصر إليه أو الكلام
أو التمسب معه ..

.. لم أتعجب مع أطفال ..

.. لكن بعد أن رأته لم تشع بأي شيء محو ؟

.. كلني طريف ..

.. فقط ..

وكنت أجد الحديث عن التاريخ والأدب وعن الكتب الجديدة ، هو الحديث
المفضل . ولم تكن هي تجد في ذلك لذة .. وكنت أحنفها عن كل رملاني ..

ولكن لا أعتدّها عن نفسي . ولا أجد ما أقوله عن نفسي وأسرني وأقربني ..

وسألتني : ولت لم تشعر بلحظ نحو أحد ؟ ..

.. والذني .. والذني ..

.. أقصد ليه هناك من أقربك ..

.. لا ..

.. هل توجد عتلات في الأسرة ؟ ..

.. نعم .. ولكن ليسوا في هذه المنطقة ..

.. ولا واحدة جعلتك تشعر أنّها تحبك ..

.. لا ..

.. ولكن بغرض لي ولحظة جاءت وفقت لك : أنّها تحبك .. لماذا تفعل ؟

.. فقه أذب ..

.. أنّها تحبك يكون معنى ذلك أنّها قليلة الأذب ..

.. أعفد ذلك ..

.. هل أنا قليلة الأذب لأنني أخرج معك . وجلس وسألتني .. وتحدثت عن

مستقبلنا .. يعني أنت كنت تحترمني أكثر إذا امتنعت عن الكلام معك .. وإذا

رغبت ففكرتك بأن سجيء إلى هذه الحقيقة .. إذن أنت ترى أنني ماكنت قد

خرجت معك قد فعلت ذلك مع شيا آخري .. ومعنى ذلك أنني كذابة عندما

شكرت من معاملة الشبا لي .. ولابد أن تكون قد خرجت مع واحد منهم ..

ولكنني أقول لك ذلك لكي أعطيك تطباعا أنني أهضلك عنهم .. مع أنني لا أريد

معك أي شيء .. كل ما هناك أنني أعرف أنك تلميذ مجتهد .. كلهم يقولون

ذلك . وأنت مؤدب جود .. وأن والدتك تحبك جدا ، ومعها حق .. لأن عندك

حدا عبقا .. وأنا أجد هناك كل شيء ليس في إخواني .. وأنا أشعر معك بالأمان

والراحة ، أكثر من إخواني .. ومنذ لأم سألتني ماما إذا كنت ما أزال أفتلك .

.. هي تعرف ذلك ؟

.. مملك لم رجعت هكذا .. طبعا تعرف . وأنا لا أخفي عنها شيئا ..

.. ولكنني لم أقل لوالدتي ..

.. وهل يصلحها أن تعرف ؟

.. لا أعرف ..

١٠ هو تحجب في الجلوس معا ، نلثم كل الناس .. وهي تبت كـ
بحر جاني في عيه الأتوب والاحترام ١٢ .

و عصمت الصلوة بيننا فناما ، ولم أفكر في الذي حدث وكأني ورقة سقطت
من كسب . أو كأنها ورقة سقطت من شجرة حتى صورها لم بعد يظهر
معي .. ولا صوبها في أنفي . وهي عندما حاولت أن أستعصي صورتها
وصوبها . لم أجد بصي قادرا على ذلك ..

سحب كمت ، مأخوذا ، .. مطلوبيا .. مغلوبة .. غائبا .. غائظا وف كلها
شبه قد لبسولت على .. فلما لا أرى بوصوح ولا أسمع بوصوح .. ولا صوتي
. صبح . ولا تفكرى .. وإنما أنا أعيش ببصص وبصص وأفكر ببصص وبصص
. ع . و فرح ببصص قلبي .. ونظر إلى لثما بجانب من عبي ، وأصت إليها
شتره 'أمر غير أنفي .. فأى نوع من البشر فأى ذلك الوقت لا أعرف
ولا حبه لى فى ذلك ..

كتب كواحد له أصابع ولكن لا يستطيع أن يصمها ببعضها إلى بعض ..
وسلكه كانت تتسرب من بين أصابعي كل الأشياء . وغير قاتر على التفكير
حول شيء . ولذلك تتسرب من عيني كل الصور .. كواحد اعتاد أن يصعب
مجارا على عينه .. ولحنفى المنظار من سدوت ، فهو يجمع الصور
و لأصوات والمعاني والعلاقات بصعوبة .. ثم لا يكون منها شيء فى النهاية .
وهذه القصة أهى قصة حب ؟ .. أو كائن من الممكن أن تكون ؟ .. كل الكلمات
كل اللصمت .. كل المقدرات .. كلها عناصر للحب الحقيقية فى هذه السن
، وكفى لم أكن قادرا على اتحاد هذا القرار .. لو لم أكن قادرا على الاستسلام
بهذه الإحساسات .. لم أفتح فى أن أبيض على هذه الفرصة ..

بى تاريخ للمصارة الإسلامية كلها ألسنه : أن الإنسان استطاع أن يمسك
بأصابعه المواد الأولية وأن يصنع منها البيت والقلم والسهم والحرية .. ومع
حركات الأصابع ، محرك الجهاز العصبي .. والعمل والفكر والإبداع .. اعتاد
لأيس على أن يمسك غصن الشجرة ويجعل منه سهما ويجعل منه قوسا
وعصا ومقنا .. وكذلك كل المواد الأخرى ..

فكل شيء قد بدأ من لحظة اكتشاف فيها الإنسان قدرته على أن يقبض على
شيء .. على مصي .. على إحساس . وأن يمس به وأن يبنى عليه وأن

بطوره .. وكذلك كل لحظة حب وصدق ..

لم أعد أراها .. وجمعت أمر أمام بيتها ليلا ونهارا .. وأضعل الوقوف لأي سبب .. وصحوت مبكرا لأزأها وهي غي طريقها إلى المدرسة . ورأيتها . ولكنها لم تعدت ألا ترقى .. كأنني لم أعد شيئا . بل أكاد أفس هي نظرتها دقة أحب .. أي أني قليل الأنث .. ولتني مثل كل أصدقاء أحبها . أعكسها . وهي ترفض ذلك ..

وكتت أحب إلى حذيفة ، شجرة الدار ، وحدي . وليس صحيحا أني ذهبت لأقرأ . فالكتاب في يدي وأحاول أن أصفه . ويصح الكتاب ولكن رأسي لا يفتح . فقد اتعد تماما . والصحفت بيساء وصورتها لم تعد تظهر أمامي . رغم محاولاتي ذلك . وكتت فطر إلى الأشجار ، وأنابع العصافير . لقد أخذت معنى الانتهاء .. فالأشجار أغصنها ولصحة ولوراقها بارزة . وعصافيرها عريانة . ثم لي الحديقة مكشوفة صغيرة . وكتت أراها قبل ذلك أحصانا تحبو عليها وتضربا . وتسميت لو أني ، لو أنها أصبحت رأسي إلى صدري أو رأسي إلى صدرها وسمت . فاليوم راحة ، وهو في نص الوقت يفرغ على الكلام الذي لا أجد . وإذا وجدته فإنه ثقيل وهي تجعلني عندما سمعه . أو هكذا كان شعوري ..

وتكرت أني كتبت عليها عندما قلت لها أني رأيت شها بملكن فتاة وهجمت عليه وضربته قلما . ولأن الناس طارده !
ولسعدنا ذلك جدا ..

وسألتني يومها : يعني لو أن ولعنا علكسني الآن ..

قلت : سوف أمزق ملابسها !

قالت : أنت تفعل ذلك مع أية واحدة .

قلت : طبعا ..

قالت : إذن ليس هذا من أجل وحدي ..

قلت : بل أية واحدة ..

قالت : ولكن إذا علكسني ولعد ضوف تعضب أكثر . وتضربه أصعب ..

قلت : طبعا ..

قلت : ولكن لماذا ؟

قلت : لأنها طلة أدب .. وإمالة ..

قلت : إمالة لك طبعاً .. لأننى موجودة معك .. فى حلمك وهو قد أعدنى عليك أنت ..

قلت : صحيح ..

قلت : ولكن لماذا نهتم بى كل هذا الاهتمام .. ما الذى يجعلك تهتم بى أكثر من أية واحدة أخرى ..

قلت : لأنك أجمل واحدة فى الشارع ..

قلت : أنت ترائى هكذا .. منذ متى رأيتنى هكذا جميلة .. أنك لا تنظر إلى وجهى .. وإذا نظرت فأت لا تصطبى هذا الاتطاع .. لماذا تحفى مشاعرك .. لماذا لا تهتفتى عن نفسك .. عن إحسانك بالنسبة لى .. لماذا تتركنى هكذا أنحب وأستنج بصعوبة كل هذه الأحاسيس الجميلة ..

وكنت أتعجب لقدرتها على الكلام والتميز .. وأنا ألبسها « خيبة ثقيلة » . وكأنت تصور ذلك بأن أحدا لا يتحدث معى فى البيت .. ولذلك فلا حوار .. ولا سؤال ولا جواب .. بينما هى تتلقى مع وصلاتها وتجلس معى وتفكر معاً فى كل هذا الذى يدور بهما ويتسامى وينتظرون اليوم التالى للمناقشة من جديد .. ولهاذا وجبتها تقول : أنت تعينى .

قلت : نعم ..

ولم أكن صادقاً . لو كنت صادقاً ولكن لم أعرف معنى هذا الذى قلت .. وقالت : ولكن تبدو حزينا على ذلك كأنك ما كنت تريد أن تحبنى .. لو كأنك أحب على ذلك .. أو كأنك لا تحب أن تنقل لى هذا المعنى ..

بمنتهى الرضوخ لقد هزنتى هذه الفتاة هرا عيفا .. كأنها لمسكت رأسى وصبرته فى الحائط ألف مرة .. ولدى سقط من رأسى ، فقلت بسمه فى الربالة .. والباقي وهو مجموعه من القملير والقلاووظ لمسكته بأصابعها وربطته ربطاً متينا ووضعته فى رأسى .. ثم صبغت لئسى على صوتها ، وعينى على صورتها ، وعطى على وجودها .. أما قلبي فهو « أسجدة » عصرته عصراً .. فنزل منه سائل غريب .. مسحته من الأرض بقدميها ..

لقد صيغنتي عليها تملأ . كيف حدث ذلك لا أعرف .. مع أنها كانت أسمر
مضى سنة .. ولكن تبني هي العشرين رغم أنها هي العائمة عشرة .. وكانت
سهرني ببعضها لكل أنواع السلع والملابس والظهور وأسعار كل شيء في الدنيا ..
وأسماء العائلات والضياف والآزواج والأطفال . وكل ما يحدث في المنصورة
شرقا وغربا إلا أفكر ليلا ونهارا . وأجرب لكي أراها . وإذا لم أراها
لخطلت في صور والأصوات . وأسمع الجزمة وكوي البطون والقميص .
وأصل أصابعي وأطأ في وأنتاني ..

وظهرت مع إحدى صديقتها ودعبا إلى حديقة شجرة الدار لآخر مرة وكنت
أحدث إلى صديقتها . أما هي فكانت لا تتكلم . حدث ذلك عدة مرات .. وكنا
نجلس مما ساعات طويلة .. ولم تكن تبتأ كثيرا لي برأنا الناس معا .. كانت
تبتأ أكثر جمالا : عينها ووجهها وشعرها وصوتها وعبقها وصحكتها ..
ولمصببت ليلة كاملة أكتب لها خطابا حاولت أن أبعثه أنيا . وأسمع فيه
الكثير من أوقات الشعر . وأعطينه لصديقتها . وكنت أقصد أن أنقل لها بصورة
واضحة إيماني نحوها مرة واحدة . كل مشاعري . وفي آخر الخطاب قلت :
يبي أن أعرف رأيك ؟

ولما قرأت صورة الخطاب فكشفت أنني لم أكتب إليها خطابا عاطفيا ، وإنما
مقالا أنيا . فالمطلوب لي أعرف رأيها في الأسلوب ..

وفي حديقة شجرة الدار جاءت صديقتها وحدها منجدة باصني .. وتعلمت
حزنها وقالت : أخشى أن برأنا أحد لقد أعطيتها الخطاب . وقرأته هي .. ثم
أسألتها هي قرأته . وضد عطيتها !

وكلام آخر لم أعرفه .. ولم أتبينه . ولم أفلح في ربط المعلى والكلمات
والأحداث السابقة ..

وبهتت . وصافحتني . ولم أجد مبيبا بجملي أمشي إلى جوارها
أو ورامها . وعدت إلى مكاني من المقعد تحت شجرة . وبسرعة جاء الليل
وأظلمت الدنيا . وانطردت . وفي حالة من الإغماء أو الدحول وجدني أطم
بيننا . هي العرائش إلى جوار والنتي .. ولم أسمع في تلك الليلة أهانها !



تباقيب وموسيقى والمستقبل

قباقب .. وموسيقى .. والمستقبل

وكان من عائلتي في تلك الوقت إنا سمعت عن شخص لا أعرف عنه كثيرا
أن أبحث في القاموس عن حياته وأصله .. أو أن أذهب إلى أحد من المدرسين
أو أقاربى ..

وهي تلك الوقت ظهر كتاب صغير عن « شجرة الدر » ملكة مصر التي
عاشت في مدينة المنصورة .. وكان كل ملوك مصر يتم « سلطنتهم » في
المنصورة لأن القوات الصليبية قد هددت مصر واحتلت دمياط وفريد بن نعر
مها إلى بقية البلاد .. ولذلك كلى الملك ورجاله وجيوشه يحتشدون في
المنصورة وحولها .

ودعيت إلى حديقة « شجرة الدر » ومعى الكتاب الذي أهدى إليه ممدوح كمال الدين
برهبرى . من أقارب والندى .. والكتاب مختصر وليس ممتعا ولا جميلا ..
ولكن به من المعلومات الطريفة ما يفتح شهية القارىء للشئ .. وكل من يقول
عن الملك الكامل ناصر الدين محمد أمين الملك الكامل أبى بكر بن أيوب . أنه
كان يحب الأدب .. وينظم الشعر ويرتجله لهما . ويقال أن الشاعر مطهر الدين
لأعشى قد زاره . فطلب منه الملك الكامل أن يكمل الأبيات التي بطرحها
عليه

قال الملك :

قد بلغ العشق منهاء .

فإن الشاعر :

وما نرى العاشقون ما هو .

1998

from 1990 to 1995

1994

المجلة ١٤٣٤ هـ

في العالم

د. محمد علی محمدی

مَنْ يَدْعُو

وہابیوں نے یہ بھی کہا ہے کہ

Chen, H.

بواسطة الحقن في الجمال

٢٢٠ الفصل الثاني

روضة الجنين في هذا

المجلد ١٠

یہ کہ کلیمہ ونداد :

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26

تصاميم: المصممون

— 1955 —

شبهه كلامی و فلك

٥٦٩ المسألة

مجلس

وقال أيضاً : «سأمر معزباً ، المصنوعاً ، بدم تلك الكائنات ، وعرضي
على : «حد من البحر ، حبيبه ، وحسن ، وعشرب ، نحو ميس ، العبد ، والخبير ،
الطير ، و سواه ، الناجز ، و من قطع شهز ، و قد يسه ، بئما في ربيته
سهم ، و من حنن ميس من تعمرى ، وعى لحبيبه ، و عرف الشين ، من
الناجر ، قد حذعه ، و استولى ، على أمواله

سواء من بيت الصليب خشبته شجرة نادرة قد نكس في حدة إلى سحر
شجرة خشبته هو علم صليبي عظيم (رسم الشجر والجوهر إلى يكون

سعد - هي السمراء هكذا كالتاء - غلبت فتاة بكفي أن يحدث كل ذلك
عبد الناصر ذهب إلى دمشق ومرص ومات سنة ١٨٢٤ م .

كان به الملك المعادل نقبا عنه في مصر ، وسلطوه ، أي جعلوه ملكا على
مصر . ولكن أماء نجم الدين أيوب كلل أكبر سنا وألق بالملك . فحين أماء
سعد ثم قتله بعد ذلك .

وسلطوه ، نجم الدين ملكا على مصر . وهو الذي أنشأ عددا كبيرا من
المدائن وهؤلاء المعاليك طعوا وبغوا وسرقوا ونهبوا فأقام لهم قسمة في
مروسة وتركهم هناك .

وكان علي إمامه قاضي القضاة ، سلطان العلماء ، عز الدين محمد بن عبد
السلام قاضي قضاة الشافعية في الصعيد . ونقله للقاهرة . ولم يكن راضيا
عز الدين . والعر بن عبد السلام هو الذي باع الأمراء في السوق لصالح
سعد .

مرص الملك نجم الدين أيوب . وانتشر المرض في جسمه . وكانوا يلقونه
عزى صفوة إلى المعرك ضد الصليبيين في دمياط . ثم هرب أهل دمياط
حاكمها فأحرق السلطان المنية كلها . ومات الملك نجم الدين أيوب في
بمصر .

وكانت له زوجة اسمها ، شجرة الدر ، تركية جميلة ذكية . كانت تحكم
مصر سرا وكانت هي التي توقع المراسيم بعلها . فقد كان خطها يشبه خطه
دما . ولما مات استطاعت أن تنهي وفاته عن قتلها . وكانت تطلب إلى
الأمراء والصيوف أن يدعوا ويخرجوا كأنه مارق لها حتى لا يؤذي وفاته الملك
في ضعف القوات المصرية ضد التتار وحين جاء ابنه توران شاه وسلطوه .
كان هرج أحرق واستطاعت القوات المصرية أن تلحق الملك لويس التاسع وأن
حسبه في بيت القاصي ابن مملوك . وكان توران شاه ساجدا . هاجمه المعاليك
سلطوا أسابعه . ثم يديه وهرب وطاردوه وأحرقوه في بيت كان يقيم فيه .
هرب إلى البحر فقتلوه بالسهم والنبال . وحكم أوباش يومئذ - وتوفي في
بمصر .

واتفق الأمراء على تزيينه شجرة النر روجه الملك الصالح نجم الدين أيوب .
« وأُم خليل ، ملكة على مصر

وكانت توقع للمراسيم بلسم ، أُم خليل ، وكانوا يحيطون لها في المسجد
ويذبحون لها قتللى . « اللهم احفظ الجهة الصالحة ، ملكة المسلمين . عصمه
للدنيا والدين . مات الحجاب الجليل . والمطر الجميل ولادة المرحوم خليل ،

ولما هاجمها رجال الدين . وجاسة سلطان العلماء لمر بن عيد السلام ،
خلعت نفسها من السلطنة وكانت قد حكمت مصر ثلاثة شهور .

وأشار عليها القضاة بأن سروح الوزير أبيك التركمانى . وسروجه وهو نول
ملك تركى حكم مصر . وهو أيضا مثل شجرة النر كان من مصالبيك للملك نجم
الدين أيوب .

وفي ذلك الوقت هبت عواصف على الكعبة أطاحت بكسوفها . وشاهم
للس .

وجاء هولاكو وهم يمداد وقتل الخليفة المسعصم بالله .. ورالت دولة بني
العباس .

وبدا للحلاف بين شجرة النر . وروجها الملك أبيك التركمانى . وكانت تقول
له : أنا لثنى جملتك ، ملكا !

ثم طلبت إليه أن يطلق روجه ، ثم على ، وطلبها .. ولكنها اكتشفت أنه
طلبها من أجل أن يتزوج امرأة أخرى . فتأسرت على قتله . وفي يوم جاءت
الغنيات وأتبعن عليها ماء الورد والورد .. وهن يتليكنها ومجسليها . وارتدت
أحلى حلها وأجمل ثولها . وذهبت للملك وتحدثت على يده بعملها . وسعد الملك
بذلك . وطى أن هذا همه للعور والمساخ من سيده الملاح .. ونواى الإنسان
فى القرائن .. وخرج الملك إلى الحمام . وخرج من تحت المبرير ومن الحمام
رجل ونساء صربوه وقتلوه بالتباقيب ..

وعرف ابنه الأمير على بما حدث . فأتى القيص على شجرة النر وأسلمها
لأمه . فسكنها بالتباقيب . ونظوها عارية إلى القاهرة بعث للتصومس فى

منسجها ، ويقتلعوا المحوهرات من صعبها وصدرها وساقها . وكانت هي التي
سعدت ب نصيح المرأة عفودا من اللامس حول ساقها .

وكان يقال لنا ونحن صغار أن كل بلغت المصورة هي من شجرة
لنر ' جميلة فائزات على الانتعاش . وكان أبناء المحاطات الأخرى يقولون :
من يخلع المصورة عفود ومن يخرج منها موفود ..
فما من شاب دخلها إلا وجد نفسه مروجاً .. كيف ؟ هم يقولون !

نما أوصاف شجرة الدر . فهي ببهاء ذهبية الشعر ورقاء العبد . مليئة
تسعين طويلة الأنف طويلة العنق . ويقال إن صونها جميل . وكان الملك
يحب أن يسمع إثها وهي تسمى . وكانت تعني عدد قديم . فلما أنجبت له ابنه
حليل تزوجها فكانت تعني له على السرير . ولما أصيب بمرض جلدي كان
يألم وأما طول الليل . لأنه لا يطيق الملابس والأغطية . كانت تعني له وراء
الهاب . فلم يكن يحب أن تراه وهو يهرش ويكي في بعض الوقت . ولم يره
طبيب معربي نصحه بأن يمسح معظم الوقت في حوض من الماء . فكانت
تعني وقد أدبرت ظهرها له .. وكان الملك يحب أعانها للتركية .. وهي التي
اقتربت تعني جسم الملك بالتريدة .. وأحياناً يلبس لشجار الجمير .. وأحياناً يلبس
الجمير والخيل ..

وكانت شجرة الدر تقرأ له الشعر الذي يترجموه عن اللغة العربية ..
وكانت تلم الشعر أيضاً .

وبعض أهل المصورة عندما اعتقاد أن كل واحد اسمها شجرة الدر سوف
تقتل زوجها وسوف يموت قبله أيضاً ولذلك من الدار أن نجد واحدة لها هذا
الاسم ..

وموت كثيرة هي المصورة قبل إنها بيت في نفس المكان الذي به قصر
شجرة الدر ، وظهروا فخصم وشتمات عن ظهور شجرة الدر ليلاً في
ملابس الحديد . ويقال في ملابس للراف . وكانت عندما فخصم ومن أطفال
أن من يرتدي القفاز ليلاً وينحل به الحمام ، يظهر له عريت شجرة الدر ..
ولذلك فأنقل كثيراً يخلعون القفاز هي الليل ..

وفي منكراتي التي كنت أكنيتها في ذلك الوقت جعلت اسم الفتاة « ش » ،
أي شجرة الدر . ورحلت أحد في ملامحها كل ملامح ملكة مصر .. وكأنني
مجنون من الموت وكأنني أعنفها هي أيضا من الموت . وأعجبتني هذا الاكتشاف
الذي كان نوعا من الانتقام أو التعويض من لعنتها .

وفي يوم استمعت إلى محاضرة في « ندى القلندية » لأستاذ من عائلة بور
راح يقرأ بين حشيشوت وعربيتي وكليوباترا وشجرة الدر ..
وكلهن ملكات لمصر ..

حشيشوت عاشت وماتت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد

وعربيتي عاشت وماتت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وكليوباترا عاشت وماتت في القرن الأول قبل الميلاد .

وشجرة الدر عاشت وماتت في القرن الثالث عشر بعد الميلاد .

هل كانت المقارنة واضحة في ذهني ، لم تكن كذلك ولكن بهرمني هذا العلم
لحرير . وكس الرجل لا يتكلم من ورقة . وأكثر للحاصلين من السبحة . هل
كانت هي « ش » أ . بين الحاصلين ، لست على يقين من ذلك . ولكنني في
ذلك الوقت كنت أجد شيئا كبيرا بين كل القينات . لا لأتوهن كذلك ، ولكن لأنني
لا أطمح باهتمام أو بدقة إلى وجه أحد من النساء .

أما حشيشوت فكانت عاتقة .

ويقال أن عترتي زوجة ألبانوس الذي وضعها بالجماز والدلال . كانت تسمى
أنها أجمل مخلوقات الله . والعال الذي صنع لها البعثات النسخي كان ينفرل
في جمالها .. صميح أن زوجها أحسنوا كالي مريضا أو مجنونا أو محتل
الذكور ، مع وجه طويل وأنف طويل وشعر امرأة وكذلك نهذاها وردفاه .
ويقال بل هذا نوع من الكاريكاتير ..

ولكن هذا الكاريكاتير لم يتناول عوبي ..

أما كليوباترة ملكة مصر أيضا ، فهي صاحب واحدة لها هذا الاسم . هي
يونانية . لم تكن جميلة . وإنما كانت ذكية . وكانت شريرة . مصاصة للدماء .
ولو لا أن لها دحلا في تتابع الملوك في بلاد الرومان . لما حدث التاريخ . وقد
دحلته على أنها أخطر عاتقة . وكانوا يصنعونها بأنها « ملك مصر »

.. و بمعونها ، ملكة الملوك ، ... وأما حشيشة الموت فهي ملك الملوك .. وأما
سحرة السر ، فقد أسعدنا الأستاذ نور ، ملكة العبيد .. فهي مملوكة تركية تترك
على عبيدها من العبيد الأتراك ، رجالا ونساء ..

شيء عجب قاله الأستاذ المحاضر ولم يوافقني أحد في ذلك ، أنهم جميعا
يمكن صونا جميلا .. القروش الفروعية تقول أن مغربني كانت سحرة الصوت
، الصورة .. وكليوباترة كلى صونها يدوخ وكذلك شجرة الدر .

ثم هذه العبارة : إن الصوت الجميل يغير نكاه . يهين حمار .. والنكاه
بلا صوت جميل : زئير أمد ..

وما أعرف ما هي العلاقة بين كل ذلك .. ولكن أستخدم أن يكون للملكات
صوت جميل .. ومثلين أم كلثوم بنت النخيلة .. وعبد الله بن عبد الوهاب الذي يقال
أنه من دمياط (قهقريه) ويقال من المصورة .. كأنه لابد أن يكون لكل بنات
المصورة صورة شجرة الدر وصونها أيضا .. حتى إذا كلى موت : فأميت
سوف يذى أجمل صورة ويسمع أجمل صوت !

ولم أكن في ذلك الوقت ، ولا أمد من زملائي التلاميذ شافش مثل هذه
التصايا وإنما نقلها ونصفيها إلى معلوماتنا ، وبحثت عن شيء جديد فهي مرحلة
تحصيل معلومات وجمع أكبر عدد ممكن منها ، أما المعرلة والاختبار والتحليل
والتعليق . سوف تهيج بعد ذلك !

ولابد أن تكون القناعة ش . أ . هي المسلوقة عن التعليل بمنطقى . وأن
يكون المستقبل بعيدا تماما عن القراءة وعن الكتب . فهذه الكتب لم تجعلنى قادرا
على التحور معها .. ولا قادرا على إقناعها أو الاحتفاظ بها . وعندما حاولت
أن أقنع لها نصي . كنت مقالا أو بحثا في موضوع غريب .. لابد لها أن تنتهت
إلى قرار مؤكد وهو أن هذا الشاب مجنون .. أو عبقري يحتاج إلى صبر ليوب
في انتظار قدراته العارفة .

فقد كنت الموضوع : لماذا لا ينجس التلاميذ في بيوت بعيدة عن الأمرة ..
ولماذا لا يعيش في القسم الأدبى بالمدرسة الابتدائية والثانوية والجامعة . حتى
يتفرغ للدراسة والتفوق ، دون أن يشغل بمتاعب الأمرة ، وما يصرفه عن
التفوق .

أى لماذا لا يعيش بلا حب بصرفه عن المذكره . أى أنها قد وصلت حمايتي .
ولريد أن أعرف رأيها في ذلك .

وتذكرت أني كنت قد بعثت لها قبل ذلك خطابا طويلا جدا . إن قرأته سوف
تجد أني تحدث عن « تعاسة كل مطلق له أب وأم .. وتعاسة أن يكون في الدنيا
أعداء وفراء .. ولماذا لا تكون الدولة هي أم كل الناس .. نوع لهم الطعام
والشراب هي بهوت لا يملكها أحد .. بل لا داعي لأن يتعامل الناس
بالطوس .. »

قرأته ش . أ ولم مطلق عليه . ولكن أحابا هو الذي قابلي في القطار وقال
لي : تحت السماوي دواهي .. لم تكن أعرف أنك شيوعي ؟

ولم تكن أعرف معنى أن يكون الإنسان شيوعيا .. وإن كنت سمعت هذه
الكلمة كنوع من الإهانة البالغة والحدير الشديد لبعض الناس . ثم انشغلت
بالبحث عن معنى هذه الكلمة وعن مفارقة هؤلاء الشيوعيين بحيرهم من الناس .
وما هي الفروق في الشكل والتفكير . ولم أعتد إلى شيء . وأقرب الصغات إلى
« هؤلاء » الشيوعيين أنهم لا يصلون قط ولذلك فقد وجدت هذه الصفة
لا تنطبق على .. ولم أفكر فيما بعد ما هو المقصود بهذه التهمة أو هذه
الشتيمة .. ولكن استنجت أن هذه الصفة . أو هذه الشبهة هي التي جعلت أحده
تبعد .. أو تهرب .. أو تروج . وانقضت هذا التوسيه مهلتها ..

ولكن انذكر لهما أنها سألتني : ما الذي قلته لعلان وأنتم هي المكتبة ؟

.. بشأن ماذا ؟

.. بشأن مستهلك ..

.. لا أنكر ..

.. هل قلت له أنك تريد أن تسمى .. ولأن تكون لك حرفة موسيقية ورافضة ..

ولأن تتنقل مع فرقته بين القرى ..

.. أه .. قلت إنني أريد أن أأخذ ..

... بل لست تنهب إلى بيت الميت شح شح .

صحيح . أما لست شح شح فهي السيدة : شجرة قدر الطبخي ، وأنا

د عرفت من هي بالصبيط . ولكن ذهبت مع بعض الزملاء الى القرب من
سبح . امام القبط . وعندنا موسيقى وطول وزمر . ومن اللواتي نستمع الى
الاعلى الشعبية .. واعلى أم كلثوم ومبره الهندية وصالح عبد الحى
رعد التومولى ودونو حسمى .. والاصوات لرجل وبعاء وأطفال . ويقال لى
هذه هبات برهمنى أيضا . أما الصوت العليل الذى يشهد ويظهر فهو ليست
سبح شح . ولم أرها الا مرة واحدة . كذا قد وقف امام الباب متفرج ونستمع من
حب . ولاجرؤ على الاقتراب . ولكنها هي تلك اليوم خرجت ورفد وقالت :
صن ياوالت انت وهو : تعللوا ..

وكنيت لنا لادعى للعوف . ودخلت ووجدنا أناسا جالسين على الأرض .
ومعهم الطيوب والعزمار والصلابات . أما هي فجلست على مقعد وسط كل
هؤلاء . فى بدنها عصا . وقالت . أنت عربد لى تعالى ا

واسهب جدا . ولكن أهد الزملاء قال : أنا نقت لها لى صوتك حلو .. وإيا
سبح نقول للحاصلين . عوا له انت وعزولى ورملى . ولنت تعالى معهم ..
و سرف أسمع صوتك .. لانهول . كلهم كانوا مقلد ..

وكى هذا . هو المستقل . وكأنها هي شجرة للتر التى حكمت للمصورة ..
فبما أن أسمع كلامها والا فالهلية معروفة .. ولم أفكر . وتقررب الزملاء
رجب معنى معا . وهجاء وجنسى وحدى أكمل الاعية . إنها انفتت معهم على
سبح لى على لى يعموا معا . وهى لحظه بنوهول لكنى أمضى وحدى فتعرف
خدمة صوتى وصيرتلى بعصاها وهى تقول كويس يا ولد .. بچى منك ..
روح هات والنك .. عدى كلام معا ا

ثم ذهبت انت شح شح ورلحت سادى بأعلى صوبها : باجمالات .. بلست
بوما .. فلسطينية .. ياتودد ..

وظهرت هبات طويلات وقصيرات وبندبات شقراوب ورققاوت للعبوس
حبا . بمصنعات اللبان جميعا . وبهريرى منها هي نسطار أولامرها . ثم التفت
.. حيسى لتقول واحدة مهن سرف تذهب معك لتعرف البيت وسادى والبك ١٢

وجفت من أن يحدث ذلك . هو عذب لى لى به .
وحديث طويل حدينا على الذى أصلينى . ولم أصارح أحدا بذلك ..

وعرفت ش . أ . كل هذه الحوادث بدقة وتفاصيل عجيب . فالمصورة
مدينة صغيرة . وهي لها علاقات بأشخاص كثيرين . ثم إن زمائتي يتحفظون
كثيرا . ولم تكن أعرف ذلك ..

وعندما عدت إلى البيت وجدت أحد أقراني .. وهو شاب لطيف طريف ليس
حظ . وكان يعيب علينا أنا في حالة حزن دائم . وأنا مدفونين بالحياة وأنه
ما لم نجد شيئا نضحك له أو منه فلا أمل في أن نكون في صحة جيدة . ولا أمل
في أن نكون شيئا .. وأنه سمع من والدته أن أخاها وكان وزيرا يحب
الرفس .. وأنه بطول لأولاده ويجهلهم يرفضون . وأن صوته جميل جدا .
وهو لا يرضى إلا عندما يكون جالسا مع أصدقائه يشربون ..

وسألني قريبي هذا الذي هاجر إلى ألمانيا ومات هناك : عندك بنت ؟

بنت يعني إيه

بنت تحبها

لا ..

بأنه لك لسود .. حتى الآن ؟ متى إلى بناء الله ؟

كلهن مثل شجرة النر

مضى لأهم .

فأثلاث .

ومن هي شجرة النر ؟

لا تعرفها !

لا أعرفها ..

ويعلق على المعلومات التي قلناها له بسرعة : وما دخل شجرة النر هذه
بيدات اليوم .. إنها واحدة قتلت زوجها وصرتها فقتلها .. حكمة قديمة . ولم
أسمع عن واحدة قتلت زوجها .. ثم من قال لك تنزوج .. الخ .

وعرف من أنسى أنتردد أمام بيت الميت شج شج . وأسعد ذلك . وطلب
منى أن تنهب معا .

ولنشرت إلى البيت . ووجدته قد نحل . وتعاملت الصعوبات . وخرج مع

بهدى العيوب وقد علقها . وراح يقبلها أمامي . وهي لم تعرض . وسحبني
وقال لي : اتحل يا عشيبي !

وملأته الست شح شح . لي كان يعزهي . فقال إنه ابن حلقني . وقال إنني
حدم .. لوح .. لينك والارض .. حليك معايا أنا !

وبسرعة عربية وجنته قد لف منديلا حول وسطه . وهات يارغص .. وإذا
به يقول لي : إرجع انت إيلي البيت !

وأصغت هذه للتجربة المسلحة إلى سلسلة القتل في مجالات أخرى كثيرة ..
وأصبح من عاتني أن أفأفش على مهل بعض هذه الأحداث . ولم أجد لها
نوع من القتل . فلا أنا حاولت . ولا أنا صبرت . ولا كان عني أمل في أن
أكون مطربا أو رافضا .. ولكن من حين إلى حين أقرب وأبحث عن أي مكان
يشعلني عن نفسي .. وأصمت أمني تقول جدا .. تقول علي فتمني .. ورأسي
أتل من جسمي . وإذا بنت فلي جنبني يوجمني . كلني لأصحت فيلا .

. أما العلامات السوداء حول عيني فسيبها نقص التوعية والبرم .

ومن غير تفكير ذهبت إلى بيت الست شح شح . ولم أجد قريبي هناك .
ودخلت وجلست ووجدت رجلا يعمي . معمم أعمى . ولم يكن يشعر بأن أحدا
قد دخل حتى يسأل : من ؟

فألقوا : تلميذ .

وسأله : لماذا ؟

فألقوا : عاشق

. عاشق شح شح .. الله ؟ هل هي تركت الرجال واتجهت للعمال .
هاها .. هاها

. عاشق للأن باعم الشيخ حلقني ..

. آه كده .. إسمعك . لا تزيد لي تتكلم .. بالله سيدي .. أريد أن أسلم .. تنلى
وحياة عيبك .. مولاي كن لي ..

وراح يعمي بصوت أجش قوي .. ويشيل يمينًا وشمالا وهم يرددون وراءه
شعرا قال إنه من مسلم الشيخ سيد درويش .. ولكن عرفت هما بعد أنه من نظم
الشاعر المصري : انبهاء زهير .. وحصلت هذه الالهات كما كان يعبها الشيخ

دهليز .. وكنت مكمورة فقد كان يصيب اليها حروفا وكلمات من صعد .

مولاي كن لي وحدي

هذي لك وحدك

وكي بعثك صدى

آه .. يا صبي آه

لي هيك قصد جميل

لا حبيب الله همدك

إلى تنس عهدى إني

والله لم تنس عهدك

أصمت ود محب

منزل يحفظ ذلك ..

.. آه يدهليز آه ..

مالي عليك اعتراف

أنتب كما شئت عندك

آه حبيدك .. واللهي حبيدك ..

مولاي إلى عيت عني

وأ سوء حالي بعدك ..

بالهوني بعدك .. آه ..

بادهوني بعدك .. آه ..

وكانوا يقدمون للشبح دهليز ، شينا يشربه هي الفتنة .. وقالوا .. كودباك ..

وقالوا : بيرة .. وكان صوته جميلا . وكان رجلا لمليفا . وكان بعد أن يفرغ

من العشاء ويطلب من الحاضرين أن يرددوا وراءه يسأل كل واحد منا عن

حاله .. وكان يقول : إبت باليني .. إيه اللي رمالك هنا ؟ إبت إبن مير ؟ ساكني

هين ؟ وتريد أن تترك للعمرة إيه ؟ هل نحفظ شعرا ؟

قلت : جمعت القرآن الكريم والشعر القديم .

قال : ماشاء الله .

- وتريد أن نحكي .. ونسرح مع القمت شج شج ؟

١٠ لا . فقط أنا أحب أن أسمع الأعلى .. ثم إنني لا أجد مكاناً أسمع فيه . وحديث السيدة شبح شبح . وأندمشت للحوار والمودة بيني وبين الشيخ . هير . فقال لها : من شاء الله . حافظ القرآن . وحافظ الشعر القديم كله . حاجة نروح .. الله يفتح عليك .

وحسب السيدة شبح شبح على الكرسي . هي الوحيدة التي تجلس عليه .. مسئلة طويلة عريضة . صندرها بالرر .. وقد تعطى بالذهب والأماور هي من أعينها والحوار والفرط طويلاً على الكتب العريال .. وعندما نسمع ساقاً على ساق نكتفب ساقها . ولكن أهدأ لا يجوز على أن ينظر . ولما لاحظت أن حد السالمين قد نظر إليها صفعه على خده . ثور أن نشرح لهدأ ، ونور ن ينظر . هو أهدأ وهي عاقبه قورا ..

وسألني : حافظ الشعر القديم كله ..

لهم كله .. أحمط شعرا قديما .

مثل ماذا ؟

فقال الشيخ دملير . هل تحفظ قصيدة دعوا الوشاة .. دعوا الوشاة ومقاتلو . وصقلوا .. ياواد يايعنوس .. إئت يآين .. تعالى معي سوف اعني دع الوشاة أب لا أحمطها كلها إذا أحمطت ردي . قلت : حاضر ..

وزيح الشيخ دملير بصوته القوي يقول :

دعوا الوشاة وما قالوا وما نقوا

بينى وبينكم ما ليس بفصل

لكم سرال في قلبي محبأة

لا أكتب نفعي هبها ولا أرسل

رسائل أشوق عدى لوبعت بها

إنيكم لم تسمعها الطرق والسجل

أعسى وأصبح والأشواق تلمسني

هتب والأشواق تلمب بي

قال . . . وكما أحمل كلبي .

قلت : قلبي

وكم أحمل قلبي في محبتكم

مالمس يحمله قلب فاحتل

قال : قضيتي في هواكم مشكلة

قلت : قضيتي في الهوى والله مشكلة

قال : قضيتي في الهوى والله مشكلة

ما تقول ما الرأي ما للتدبير ما العمل ؟

يزداد شعري حسنا حين أنكركم

إن المصلحة فيها وحسن للفرد

يا ضائبين وفي قلبي مسكنكم

قلت :

يا ضائبين وفي قلبي أشاهدم

وكلما اتصلوا من خاطري اتصلوا

أنا الوهي لأجبابي وإن غدروا

أنا العقيم على عهدي وإن رحلوا

فيا ربوني إلى من لا أروح به

إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامي ونعماتي له

قلت :

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له

وفلن الأرض حتى عشنا نصل

بالله عرفه حالي إن غلوت به

ولا تطل فديبي عنده ملل

فانلس بالاناس والدنيا مكافأة

والخير يشكر والأخبار تنقل

قال : وهو يشني ويهتز ويتوجع :

إن المصلحة تمنوها ملاحنها

لاسيما وعطوها الحل والحلل

ثم عقد بعضي - في التلخيص - اذ يلوذ به دغير .. فانه يجمعنا لك باراك .
 سألني في كتاب التصيد في انبثاق قلب - ما قال بها بعض الآيات ..
 قال : قلت الآيات .
 قلب

صعدت عورك فاعزى في هذيت له
 والعمر صوف للبالى سابق عجل
 سابق ومثلك خرفا من ثقله
 فكم غلبت الأيام واليول !

ويجيب البيت شج شج وهي تقول : والسي يبعثك . حده معك . فعدت
 سعي كلمة هو الذي سوف يكتل لك التصيد . خلاوته . حده معك بدغير .
 وعلى الألف يستعيد بدل من يخطبك في التلويح

وقال الشيخ دغير صاحبا : أفر أنت طلفت عش ولاد . أنا عند فريح
 بغولون ' سكين أعني . ولكنهم لا يعرفون السى فريح من الانسيط . ولكن
 عند بعضي واحد وفريح بغولون في سيدنا سكران .. ثم به أين ناس .
 هذيت ! ولما التي ولاد كلب .

قال : معلوم أولاد سعي كلب ايب من التي فاعده عنى الكرسي . ومع
 حب انعط عن الأرض . وحيات كلاب .. لولا الكلام الحق التي بعته كل
 ليه ؟

وفي الطريق إلى بيت الشيخ دغير . وهو قريب جدا من بيت في حي
 الحسينية . به مروج وبسكن عرفة فوق المروج . وروجه نعل ، دية .
 وليس عند أولاد . وهو سعيد بذلك . ويصفه قائلا ان كما نرى .
 وروحي لكثرة الأولاد التي سول عنى بعدها كرهت كل الأولاد ؟

وقال في الشيخ دغير أنه يوصل في الأخرى . وحدى . وإنما في الكون مع
 أخرى . لمجرد أن يكون معا . ومن هنا لميت من أسمع (به تحصيل ،
 فالبنت فريد . ووعدها فكه أعيسى جدا .

وكنت ذهبت إليه أنا وبعض الزملاء . وكان الشيخ دغير بعض له سيد

ترويض والدنمولي وصالح عبد الحي وعبد الوهاب . وكس ينفق بأصابعه على الأتطين .. وأحبنا على ظهر الحنة ..

ولم نعرف أن واحدا من الرملاء يستطيع التعرف على العود .. وأن صاحبه كان سعيداً وجاء صديق له يصطحبه على الثاني .. وكانت زوجته مبددة بطيفة .. ولأن لم تشعر بالصيق من وحدنا ، فكك محسن أنها في حاجة إلى الترحاح .. وكنا سحب الشيخ تفتيز إلى حارح الغرفة ونجلس عند جانب من السطح . حتى يصل شام وللنبح وشيخ آخر والرملاء يعوي ويطنفون . وكان الناس فوق الأسطح المجاورة يصعدون لنا ويطلبون مشاركتهم لنا ..

كل هذه الحوادث تخاصلها كانت عند الامة ، من أ ، يوما بيوم . ولم أسأل كيف كلى لها ذلك ..

وكان الشيخ تفتيز هو الذى أطلق على هذه المجموعة من عشيق الموسيقى ، غرفة عشنا عنيك يارب . وكان يدعونا لتندرب في الغرفة بهار ، عندما تكون زوجته مشغولة . أما عند أعشاء العرفة فهم سبعة . أما الشيخ الجديد واسمه الإسماوى عبد الصبور ، فكان صوته غليظا ليست له طهقت . مثل هيل مشنود .. لا يعلم ولا يسمع .. وإنما هو قوى دائما ، حتى في كلامه العاذي ..

أما الأعبية فقد اختارها الشيخ الإسماوى وهو يعمل الفصائد والموشحات . ونفسا معه في آخر حي ، تورييل ، وهو الحي الأرستقراطي في المدينة . ووقفا أمام البيت ، ثم أشاروا لنا بأن ندخل . ونحلبا غرفة مجاورة للباب وجاء حاتم وقدم لنا ، المعات . وهو الشراب التقليدى عندما يولد طفل . وعلى المعات الساخن يصعدون الجوز واللوز والبنق . ثم أشار الحاتم أنه حال وقت العشاء . وكان المقهى هو للشيخ الإسماوى وطلب أن نترد وراءه ، اللارمة .. وهو الذى سوف يفتحها لنا ..

قال عالى الصوت :

عشب الحبيب ظم أجد ..

آه عشب الحبيب ..

سببا لذلك العتب حادث

ويردد : مبهيا لذلك ..
 واليوم لم يوحى لم أفره
 وهذا اليوم ثالث
 وتردد : اليوم للثالث
 تعجبت كيف تغيرت
 منه حلاكمه الدماث
 ما كنت أعصب أنه
 ممن تعيره الجمال
 وبأد لم العتب الذي
 صدق للوداد عليه باحث
 عتب الحبيب ألد من
 نعم لتفتي والمثالث
 وتردد : عتب الحبيب ألد . ألد .. ألد ..
 لك لا أشك قضية
 أنا سائل عنها وباحث

ويردد : قضية أنا سائل عنها .. قضية أنا سائل عنها .. قضية ..
 وجاء الخاتم وقدم لنا مريدا من « المفات » والخطوى .. ثم قال : سعادتي اليه
 سوف يحضر حالا .. ومعه بسلامته المولود الجديد .. عاشرين هههه . بعم
 الشيخ . إبه ولد على خمس بدات .. ربما يحلى !
 وعادل الشيخ دهليز ليهي قصيدته الجميلة بصوته العريض وببريه الدائمة
 للباكية . ويحلى للشيخ دهليز أنه سوف يهي : غيري على السلوان فادر ..
 ويصحبك الشيخ الإسلامي : كل هذا العرس لأنك لم تر روحك من يوم
 تزوجتها .. والله بالشيخ ربما لطيف بيك .. هاهنا ..
 ولم يصحبك ولا الشيخ دهليز . وعرفت هما بعد أنه كلني عاتق ، معذب ،
 وأن المشوقة هجرته وعذرت به .. ولم يستطع أن يسأها . يقول الشيخ دهليز
 ومن نزل وراه كل بيت :
 غيري على السلوان فادر
 وسواي في الشاق عادر

لن في العرام سريرة
 والله أعلم بالسرائر
 حلو الحديث وإنها
 لعلاوة شقت مرائر
 لشكو وأشكر صله
 فأعجب لشك منه لشكر
 لا تنكروا عطفان قلبي
 والحبيب لدى حاسر
 ما القلب إلا دله
 صريت له فيه البشائر
 بالليل مائه آخر
 أبدا ، ولا للشوق آخر
 يا ليل ظل . يا شوق دم .
 إني على العائين صابر
 .. ويردعا ويمدحا
 ويرج بها ويكي .. نعم ويكي وينظر ..
 لي فبك أجز مجاهد
 إن صبح أن الليل كافر !
 ويرد : كافر والله كافر ..

وكان الشيخ دحلوز يندد دائما بتمثيل بعيا وشمالا . ثم أجلسناه وتناقنا بمسح
 عرقه ودموعه .. عندما جاء الخادم يحزن : أن مسعدة لبيه يريد أن يصفافنا
 ويشكرنا ..

وجاء مسعدة لبيه .. واتبهرونا نحن الثلاثة .. إنه ناظر المدرسة ولكن لم
 يلاحظ الاضطراب الذي ظهر علينا وبيننا ..

ولكن الشيخ دحلوز قال له : أولئك .. تلامذتك في المدرسة الثانوية !
 وانزعج الناظر ومثلنا إلى كل ذلك حقا . فأصرع واحد منا قتل : لا .. نحن
 من مدرسة الرشاد
 وهي مدرسة ثانوية أخرى !



أهلاً أستاذنا دكتور هersh

أهل أستانا دكتور كهرش

شارع مكة الجديدة في المنصورة كل بداية أشياء كثيرة في حياتي .

مجرد صدقة ..

في هذا الشارع كل يوجد محل نصر لبيع اللوريش .. صاحب المحل فلسطيني وروجه من بولندا وعندما ذهبت إليها لأول مرة وجعلها تقرأ رواية «الأبله» لنستوهيسكي وباللغة الروسية .. وحاولت أن تشرح لي عظمة المؤلف والرواية . ولكني لم أفهم .. أو لم تكن قليرا على استيعاب هذا الذي نقول . ثم من هي ؟

وبالتقرب من هذا الشارع يوجد دار ابن لقمان الذي أمرنا به لويس التاسع أيام الحرب الصليبية . وفي داخل هذه الدار وأمامها وفي الطريق إليها أنس من كل شعوب الأرض .. أشكال وألوان وأحجام ولغات . وكانت معهم كتب صغيرة وكبيرة بعد أن يقرأوها يتركونها إلى جوار الحائط .. وكما ذهبت لجمعهم وأحياناً بطلهم .. وفي إحدى المرات عندما نزلنا على هؤلاء السياح متسولين فكسروا عطوراً قرواً وأحياناً بقايا الطعام .. ولم تكن تسمحوا الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، هؤلاء لهم أسلأ يريد إلا الكتب ؟

شيء غريب في ذلك الوقت كما سجد أصحاب أي بيت وأي دكان يجلسون أمامه .. الرجال والنساء والأطفال . ومن السهل أن نتحدث إلى أي أحد في أي شيء .. مثلاً كانت هناك مكتبة للدميري .. يدخل الولد ما يسأل : عنك مؤلفات المصطوفى هبأل : لا .. نحن لا نبيع الكتب .. بيع الكرويش والأفلام ولكن إذا أردت أن تجد هذه الكتب أذهب إلى شارع كذا وإذا لم نجدها في هذا الشارع فسوف نجدها عند ألت حعيدة في شارع كوهين المتعرج من شارع الشيخ حسين .. إنها مبددة مسكينة . حاول نساؤها .. سأذهب معك ..

ويجيء رجل طيب مما ليدنا على مكان بيع الكتب الجديدة والرحيصة .
وفي يوم كنا نبحث عن التوراة لنقرأ مما وصوت مرتفع من شدة
الانشاد ، بسبب ما عرفنا عن هذا المحر ووصف لما فيه من جمال شاعري ،
وموسيقى هائل لما : مرفص الجواهرجي .. له أخ قسيس وصوته جميل
ويمساعد الطليبة . إندهبوا إليه .. ربما نسطلكم ما تزدبون مجانا .. ونو طلبهم
إليه أن يشرح لكم كل شيء فسوف يفعل .. إندهبوا إليه ..

ونذهب . ومجد القسيس هناك . ويطلب إليها أن ترويه في بيته .. ويشرح
ويشرح ويحب فيه قلبه ورقته ومرحه وإخلاصه .. ويطلب إليها أن نذهب
لنسمع موعظته في الكنيسة .. ونذهب . وجلس في آخر الصفوف .

وفي شارع السكة الجديدة ، مريحة ، أي مكان بيع الكتب السراج .
وربوت أخرى واستدراجها من الكتب .. وكان الكتب في ذلك الوقت يذووه
الرجال بأفلامهم المضبوطة الطهفة . وكنا نقف نتفرج وهم يعطوننا من تحت
أقدامهم وبأكل .. ولكننا كنا نذهب نتفرج على : أم أحمد ، أجمل بنات الحي
في ذلك الوقت .. إنها هناك وليس لها ابن اسمه أحمد فهي لم تتزوج .. وقد
نطمعها أن نقول إنها مثل أم درمان ولم تربي وأم الطول .. كانت جميلة
الماثين ..

وقد عرفنا من زوجة عم مصر صاحب محل التوريش أنهم في هولندا
وروسيا ينوسون العيب بالأقدام ليصنعوا منه القبيد . وينوسون الزهور
والزورود والياسمين ، ليصنعوا المطور .. وإلى الكثير من الشعراء كانوا يطلبون
من الجميلات أن يعملن ذلك ثم يجلس تحت أقدامهم يقتصرن الرحيق من
أقدامهم وأصابعهم .. وكان أمير الشعراء الروسي يوشكين يأتي بمائة جمينة
ويصعب على رأسها القبيد ويسرع إلى ارتشائه قطرة قطرة من فحمها .

ولم تكن نعرف ذلك .. ولكن الإحسان الجمالي واحد عند كل الناس .. فكان
برصيا أن يأكل للكتب من تحت فحمها ولما عرف أيوها أنها نجية لسبب آخر
غير شراء القميص ، صنع إهنته من ذلك ؟

واستعنا نحن أيضا دون أن نناقش في هذا الذي حدث ..

ولما عرفنا أن أم أحمد سوف تسافر إلى القاهرة لتكمل تعليمها هناك .. ذهبنا

إلى محطة السكة الحديد قبل موعد قطار ساعات .. وجاءت أم أحمد وكلها كانت متوقع هذا الوداع .. جاءت إليها تصاعدا وسارعا إليها . وعندما اتحت ن كب القطار .. كان جنازها هنيئا . وكان ذلك آخر عهسا بضمها .. ولا أنكر الأنبات التي نطعمها معا هي جمال قديمها وكعبيها وأصابعها .. ولا من الذي وصف أصابعها بأنها شعله ، وأظافرها بأنها عيون ومافها بأنها مياط ورشيد ..

وهي تلك الوقت إتهار بيت هي شارع السكة الجديدة .. سعد نصف البيت . ونفى نصفه الآخر .. هات الأث ولم تمت الأم وماتت البيت ولم يمت الولد ومسا نصفه وم يمت الكلب .. وتحت البيت كان صللون حلاقة .. مات الزبون على المعمد ولم يمت صاحب المعمل . ووقعا يتسامل : ما هذه السكة ؟ ما الحكمة ؟

وتناقضا في هذا الحادث طويلا نديا وطسها واحتلها ولم يتفق على شيء .. ونساملها ودينا لرجال الأثبات الثلاثة . ولم يتفق ..

أما سكة الحكمت هي تلك الوقت أن دعها إلى إحدى الصيدليات .. واكتشعا أن صاحب الصيدلية من أقاربي .. أما روجه فهي مسجية ، وكانت جنتها بهردية .. وجنتها قريبة لأحد الاصدقاء وهي الآن قريبة لصديق أيضا ..

أي أما معنى الثلاثة الخارب . ولهم وفاد وأنا - وظلنا نبحث طويلا كيف حدث ذلك .. وكما نطلق على هذه الصيدلية : صيدلية العائلة المقدسة .. وكان لهذا الاكتشاف أثر كبير في نرسا .. جعلنا أقرب وأكثر حرصا على استمرار هذه العلاقة بيننا .. وكلمة الاطلاع نعهما أمام أنفسنا وأمام المماء ألا تفصل . هائل هذه العلاقة القادرة بهجب أن يبقى .. ولكن لماذا ؟ لم يتسامل . ولكن شينا ما قد هربا بحقي . وقد احترمنا هذه العلاقة حتى دعينا إلى الجامعة معا . ثم نعرفها ..

وفي شارع السكة الجديدة محل ساعتي اسم ، هرش ، ولم يكن بيننا واحد يحمل ساعة هي يده أو هي جيبه . ولا حرها حتى إن كانت هذه الساعة ضرورية . يكفي أن نعرفها في الصباح ، لنكون قبل ريب الجرس في الوصول . وبعد ذلك لا يهم الوقت . نحن في المدرسة وهي التي نصلب مواعيد التحول والخروج .. فلما خرجنا من المدرسة . فالوقت لا يهم .. ولكن محل

هرش كان غريباً .. فهو أسود اللون من الخارج ، وله فتوية صغيرة فيها
الساعات من كل حجم ، ونحن لا نوقف عند هذا العمل ، بل كنا نحينا بنظر
في داخله بعد أن بدأ قد عكسنا على الساعات يصلحونها رجالاً ونساءً وهم جميعاً
من الأثمن ..

وكان لابد لي من علي هذا العمل ذهباً وإليها ، مرة براه ونحن أملكه ،
ومرة براه من الجانب الآخر من الشارع ، وكنا نناس في معرفه المحلات
على الجانبين وفي ترسيبها ، ولم يكن مطلقاً كثيراً ، وفي يوم وجدت رجلاً
هو أمة أمام باب شققنا ، قال لي ، إني أراك كل يوم تمر أمام العمل أنت
وأصحابك .. فما صلح عمل هرش ..

وكني يسأل علي أحد مكال البيت ، ثم طلب مني أن أعيء أن وأصدقني
لنسمع إلى الموسيقى في البيت ، وحدث لنا المكان والساعة ، وذهبنا جميعاً ،
المكان في منطقة مورييل العميلة أحد البيوت ، الدور الأرضي ، البيت به
حديقة ذات أشجار عالية ، الطرقات نظيفة ، ولما صعدت على الجرس خرجت
محنة عجوز ، وظهرت في دهشة وشيء من الفزع ، هلت ، العجاجة هرش
هو الذي دعانا ..

وتغيرت ملامح السيدة ، وتركنا ونحلت لخرج العجاجة هرش منهلل
الوجه مرحباً .. ونحن ورفقه ظهر شبل وشباب في عقل سب ووجههم
صلحكة : تفصلوا .. تفصلوا ..

وبلنا الدرج ، وكلفت قاعة كبيرة ، بها مقاعد وبها رجال كبار السن
وسيدات أيضاً ، وتوسط القاعة مصدرة عليها زهور وأكواب وبسكويت ، وفي
الجانب البعيد من العرفة يوجد ، قوبوغراف ، له بوق كبير ، وبقي جواره
فوجدنا استوديو .. وجلس إلى جواره رجل يخرج المندبل من حبيبه ويسمح
الاستوديو ثبات ورقة بالغة ، ثم يصعبها بعضها فوق بعض بحناية فائقة ، ولصقت
نام .. فالرجال قد مكثوا والنساء قد استعدين ينظرون إلى الأخرى ، ولا ينظرون
إليها ، والتجالي والتجليات في صمت ، وعجلة انبعث صوت الموسيقى ..

وكن هذا أول عهدي بموسيقى عربية لا أعرف ما هي ، ولا أعرف
المعنى ، ولا أعرف كيف يمكن أن يكون لها معنى ، وتنتظر حولي فأجد
الموسيقى قد استولت على كل الذين حولي ، ولا كلمة ، ولا نص ، ولا رغبة

عند أحد في أن يمس أو ينحرك .. ولما جاء طفل صغير تمايلت الأيدي
لاخصامه بل أن يمشى بكلمة .. ثم راحوا ينقلوه من حضن إلى حضن ، في
هوى شديد ..

ولما سئلت : إلى كانت للموسيقى قد أعجبتني .

نظرت إلى زملائي وقلت : جدا !

والحقيقة ، أني لم تكن أعرف ما هذا الذي سمعت . ولا ما اتدى أعجبتني
ولم يعجبني .. فهي المرة الأولى التي أستمع فيها إلى موسيقى ليس فيها غناء
ولا إيقاع ولا طبل ولا عود .. إلى أصوات موسيقية فيها شيء لا أعرفه .
ولا أذكر أحدا من الرملاء قد أسعده أو أمتعته ما سمع . ولكن لدينا رغبة في
أن نعود الاستماع . ونقول له إنه من الممكن أن نجى كل أسدوع !

ثم كانت أول محاضرة للحواجة هرش هي نادي البلدية .. ولم تكن لها أية
علاقة مباشرة بالموسيقى وإنما كانت تتحدث عن الحرب العالمية الثانية التي
أعلن انتهاءها أخيرا وعن الحروب عموما وعن العلاقات الإنسانية
، والأسرة الواحدة ، .. وكان يطرأ علينا نحن الثلاثة . وهما المعنى
المفصود . ثم عاد تحدث عن الأنثى والفن والجمال وحوادث التاريخ الأوروبي
وجاء اسم عراني باشا الزعيم المصري واسم ابن حثوث المؤرخ التونسي .

وفي نهاية المحاضرة بلحظات تحدث عن موسيقى بتهوفن . وكانت هذه
أول مرة أسمع فيها اسم الموسيقار الألماني العظيم . وأول مرة أسمع فيها
تصيرا لهذه الموضوعات الموسيقية التي سمعناها والتي سوف نسمعها بعد ذلك .

وبن مرة أسمع كلمة « سيمفونية » وكلمة « حركة » في داخل السيمفونية وأول
مرة أسمع كلمة « أوركسترا » وقائدا للأوركسترا .. وكانت السيمفونية العاشرة
لبتهوفن .. وكيف أن بذليها هي عبارة عن دقائق للفن .. تحمل الهرمية ..
أو تحمل صراع الإنسان مع الفن .. وأول مرة أسمع هجوما عليه على التجربة
وعلى فن .. ولشيء كثيرة قلها الحواجة هرش . ولم يفهم منها شيئا

ولكن في اليوم التالي عندما جلسنا على سلاطم « المكتبة الفاروقية » جلنا
نسترجع ما قال الحواجة هرش وما المعنى ، ثم من هو هذا الساعاتي الذي
يعرف عشر لغات ويحدثها بطلاقة .. حتى لغته للبرية مريبة هربا عدا اللهجة

الأجنبية . من هذا الذى يستطيع أن يتكلم عن أشياء كثيرة بثقة ويقين ويجدأنا
كثيرين يستمعون إليه . وكان فى بعض الأحيان يقرأ عن ورقة مكتوبة أمامه ..

وفى ركن من لقاعه كان جهاز العود عراف الذى رأيناه من قبل .
أما الموسيقى فى ليبيوسى وهى الميعودية التاسعة .. ولم يعرف واحد ما
ما هى العلاقة بين كل الذى قال وبين هذه الموسيقى التى ليست فيها كلمة واحدة
ولا أصعب ولا جملة يمكن حفظها أو ترديتها .. ولكنها جميلة . مؤثرة ..
وإذا حاول الواحد أن يشرح معنى الجمال ، فإنه لا يستطيع أن يقول شيئاً .
وكأن عند العواجة هرش جوف عن هذه الميزة فهو قال لنا : مثلاً رائحة
الورد كيف يصعب ؟ الفرق بين رائحة الورد ورائحة القرمز كيف يصعب كيف
نحتده . * طعم اللحم وطعم السمك . القمر والنجوم فى السماء .. موج
البحر . كل ذلك كيف يصعب . إن اللغة لا نسمعها فى التعبير . ولكن نحن
نعبر عن هذه المعانى تعبيراً غير دقيق . أما الشيء المؤكد فهو أن نوعاً من
الارتياح للذى رأيناه وسمعناه ونشوقنا .

وكى سدهش لهذا الذى يقوله العواجة هرش . كلام غريب وعجيب
ومسطح . ولا يعرف ما هى العلاقة بين الساعات والموسيقى ولا بين
الموسيقى والفلسفة والتاريخ والحروب ..

وسمعا بعض الناس يقولون للعواجة هرش : يا نكتور هرش .
وكان الرجل يرد ..

وعرضا هما بعد أنه مهتمس كهزما .. وأنه جاء من بولندا أو من ألمانيا .
وإنه هاجر إلى مصر واستقر فى المنصورة . ولم يكن يعرف كلمة عربية
واحدة . ولكنه استطاع أن يتعلم وأن يقرأ وأن يكتب وأن يحاضر وأن يكون
وصفاً . وقيل لنا إنه ألف كتاباً فى الأدب والفن والموسيقى
وكانت له أمة طوبئة بحيلة شقراء تصلحها أحياناً بالعرب على الكمال
لكى يوضح بعض المعانى .

إنه أول من أشار إلى الموسيقى الكلاسيكية .. وإلى علموسيقى الألمانية ..
وينبوهى مالدت .. وإلى أن هناك كتاباً عن الموسيقى وهى الموسيقى وإلى أن
هذه الميعوديات التى سمعناها لها فصوص وخطبة نصية وتاريخية .. وكان ذلك
كلاماً عربياً للذين لم يعرفوا إلا الموسيقى الشرقية وإلا الأعانى ..

وأعتقد أنه بعد شهر من الاستماع إلى هذه الموسيقى الأوروبية بدأت تنوى
وسيطع هذا النوع القمح للسمع من الهندسة الموسيقية أو من التصريح
موسيقية ..

• • •

ومن ذلك هذا الماعاني شارع السكة للجديدة بدأ السلم إلى الموسيقى
العربية .. إلى أروع منعه من منع الحياة .. إلى هذا الطعام اليومي الذي
لا شبع منه ولا يستعني عنه ، ويستحيل الانعاش للروحى من غيره ..
ومن ذلك الحين وأنا أجد نفسي منجها إلى للموسيقى العربية باحثا عنها ،
دارسا لها .. مصعبا في صمت وتأمل عميق لها ..

وعندما دخلت الجامعة انصدمت إلى «جمعية الجراموفون»
- أي الفونوغراف - أي الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية هي إحدى فاعات
فهم اللغة الإنجليزية بكلية أدب القاهرة .. وكلى يرأس هذه الجمعية ويشجع
عليها نكودر لويس عوض وهو أحد أساتذتنا الذين أنشروا في حيننا الأتية
والفكرية أيضا ، بعدا عنه لم يقرأ منه ..

وإذا كانت موسيقى بيتهوفن قد بورتني ، ولي كنت غير قادر على تفسير
هذه للمبصر العاصرة وغير الواضحة ، على حياة هذا المبقري قد أدعشتني
لكثر .. فهو قد ولد سنة ١٧٧٠ مع أمير الشعراء الألماني هيلنرل وأمبر
العلاسة الألمان هيجل ، وكان رجلا عبقيا قاسيا على نفسه مسمى النفس
بالتاس . وكان متناقضا معرا أيضا . عندما ذهب ليرى الموسيقار المبقري
مونسارت ويظلمه على بعض أعماله الموسيقية لندش مونسارت لرويته وقرأ
ما كتبه ثم قال : لا ترفعوا عيونكم عن هذا الشاب ، سوف يكون حديث الدنيا
كلها !

وإلى أن مات بيتهوفن لم يقل كلمة واحدة طيبة عن مونسارت !
وكان معوجها للموسيقى في بيته : البيت قدر . الأوراق على الأرض ونحت
المحذات ، الأطباق والحلل على الميزير .. لمحضرات في هرائه وهي ملبسة :
وكانت أعظم هنية يقمها الأصدقاء له . هي أن يأتوا له بمساحيق نقل

لحميرات هي حلايته وسريه وشعره .. كما كانوا يرفون مائمه القديمه
ويصمون مكانها ملابس خفيه . لأنه لا يصح لا يصر ملايه ؟
وكان يسمى بـ يأكل بـ ... نبي من ... كثيره سبب إلى انطيم .
وبحسب سارحا تم جعل أن يقع الحبيب ، هفت به . ولكنك لم يكن به سببى
الآنذاك ؟

هناك المعلم دون أن يأكل !

وكان كثير الشكوى من الناس ومن أنه لا ينال ما يستحقه من التقدير
الادبي والمادى وكان يبتغى في ذلك والحقبة من أحد لم يلق من الإجلال
ما لديه هذا الموسيقار العظيم . والتقدير المادى به

أصيب بالضم وهو في السنة والثلاثين من عمره . وكان منك حادث
فطيم . فارتجل الذي يصعد على أنبيه ، لم يعد قادرا على ذلك .. فعمل تمام
عن أنفاسه ولم يعد يستمع إلا إلى الموسيقى الحالية في أعضائه إلى نفسه هكذا
هذا الضم منها لمزيد من الإبداع الموسيقي

وقد أدى الضم إلى عدم الثقة بأحد من الناس .. وقد أحس هذه فكرته عن
الناس . وكان يظن أنه سرحان حتى لا يسأله أحد عن الذي قاله به

وفي بيت يدهوون بمدينة دور عاصمة ألمانيا الغربية بعد الأوبرا التي كان
يصغها في أنبيه لكي يسمع بدأت الأوبرا صغيرة ثم زادت تكبر وتكبر حتى
أصبح من الصعب سماعها دور إثارة الضحك

وعلى الرغم من استمرافقه في الإبداع الموسيقي ، كان يشغل نفسه بمصاها
ما أحياه عنها .. مثلا قصبه إلى أخيه مات أخوه وتركه ولدا . وأراد
الموسيقار العظيم أن يصمم هذا الولد إلى حواسيه بدعوى أن فرم له أخيه سيئة
السمعة . ونصب إلى القماء برمح ويصرخ وينق الأرض منوات حتى
حكمت له المحكمة بحضرة إلى أخيه .. وكان إلى أخيه يعونجا للاستهزاء بهمه
العظيم .

فصيه أخرى : أن كل يصر بـ لبته الجميلة يريد أن يرفعها على الرواح
من شاب غير الذي نحوه . ويهتده أهل السماء . أن هو لم يكف عن التدخل فيما
لا يعبه .. وقد تدخل بعض نلامته ويهوه إلى حظوره تلك على حياته
وأعماله الصعبة .

وكان ينفرد القديس في الشوارع . لا يكاد يرى فيه جبهة حتى به عصب
بجسده . وكانت العيال يلقون به ذهباً والعمى حيزاً في مسير
هم . ما هي جزيرة رعب هيبه الخلق . لابد لك جرأه بعد تبنيه في
مراميه .

وكان الموسيقار المعصوم يحب الغربة ويحبها . ولكن في بيته طمعه من
سرجة الأولى . يرفض أن يبيع له لؤلؤه . وإذا جاء من بعد به إلى ورقة
على الأرض . وإذا جاء من بطيل القرباء أكثر من عصبه أو شمس .
وكان شديد الغرور . وعيا طمعه . طلب إليه أحد الأمراء أن يعرف شدة
حموه القوميين من جيش نابليون . هرفض . ههده الأمير . هخرج من بيت
الأمير برناه شوارع المنية حتى وجد عربة مظه إلى منية هيبا . وهناك وهي
به عظم يمثل الأمير ودائه بعدائه وهو يقول ليس بالأمر . يسي لسب
طبع ولا هرجب . . يسي اعظم مطوعات لك آلاف منه نية .
وهو عصبه كذلك . .

هل كان هذا العبقري هعبا . ؟ نعم . هل أراد الاستمرار ؟ لا . أين لمارا
بساطي ٢٢ رجاجة حبوب مهنته في أسبوع واحد حتى مات ؟
من المؤكد انه كان طمع في أن يلقى لمارا أعظم ومالا أكثر . وكان
يصوق في زمن قوت بالمصم الذي أنشاه . ويصوق مبيد القصبه القصبه
المستوطنة . ولكنه لا يعرف جلا ليداء القبت على ما هو عليه . ومطافه نون
أني ينقله أحد .

وهي إحدى ليلي الشتاء وهي عاصفة رعبه نومي أعظم الموسيقيين في كل
المصور هي ٥٦ علما .

وهي القهرة عرفت أحد أغربى وكان عاصفا للموسيقى الكلاسيكية . هذا مصم
في أمهيا . وعنده بيت جميل . ولطوانات . والمعرضت إليه محرماني
عن الموسيقى . هوجد أن لقي إليه أسقف ما عدى . ووجدنا عروسة لكي
بعضي بذلك . هجنى إلى بيته . وسجعت ما أسكني عن الموسيقى نسوي

وكان الحلاق الذي قص لي شعري بالأمس . وذهبت معه إلى النكاح
وحدثت بخلّة وكرامته وتحققا معا .. وكانت هذه أول ناز لأوبرا ترها هي
أوروبا لا تختلف كثيرا عن أوبرا القاهرة . بل أوبرا القاهرة أعمم . ولما كانت
أوبرا ميكلوبورج أسطف وأكثر إتساعا .

وتحلت الأسطوانة والغربوغراف مكسي .. ونكتست الأسطوانة من
أوروبا ومن رومب ههنا أرخص الأسطوانات وأجملها ورثا . وبعد الأسطوانات
تحلت الكاسيتات وأجهزة التسجيل . وبعثت نفسي بالترجيع الموسيقي في
الإذاعة .. أتحدث عن تسجيلات الجبينة للموسيقى الكلاسيكية .

وفي سنة ١٩٥١ وهي مع إحدى الجمعيات الجبينة بالقاهرة أقيمت محاضرة
عنوايتها : مبادئ الموسيقى ، أعجبتني الصور والسمع بين الموسيقى
والمينافريق .. وكان لابد أن أعدد سرعة عن هذا العنوان ، ولأن أبدأ
المصروف التي من الممكن أن يتركها في عرس للمستمعين .. وكان موضوع
المحاضرة عن لحن والانسجام والجمال والجلال في الموسيقى
الكلاسيكية . وصريت أصله لذلك . مع عبارات من موسيقى بدهوي
وموسارت وبرامز .. ولا أدعي أنني كنت مبتكرا نضما . ولكن كانت عددي
شجاعة . وعددي ما أقوله هي الفلسفة أكثر مما أقول في الموسيقى ..

وكن من بين المستمعين الأستاذ أحمد حسن الشجاعي الماستر المعروف
وصديق الأستاذ العقاد والمثرب على الموسيقى في الإذاعة .. وطلب التعليق
على الذي قُب . وكان لطيفا مجاملا .. ثم أضاف معلومات جديدة عن حرفة
الموسيقى والعزف والتأليف ، وهو مالا أستطيع .. ثم طلب من الحاضرين أن
يحرصوا على استدعائي من حين إلى حين ، هي تلك كسب لتلطفة والموسيقى
مع !

واستأنف الأستاذ العقاد الموضوع الذي تحدثت عنه ، وأضاف هو أيضا
الكثير عن مصبة الموسيقى وعن التصوير النصي للعمل الفني والأدبي .. وحذر
بدهوي موحجا لكل ذلك .

وكان لابد أن ألقى محاضرة أخرى وهي من المكان وأقل للأستاذ الحاضرين
ما قاله الأستاذ العقاد وما قاله الأستاذ الشجاعي وما سحنته من الموسيقى نكتور

عمر خنوسا ومن سبأ في بلاد الحبشة مملوكا بخرقة ، وكان مديرا
 في على ألكة في القريه السعوية بالبحر
 ومن سبأ في بلاد الحبشة مملوكا بخرقة ، وكان مديرا
 في على ألكة في القريه السعوية بالبحر
 ومن سبأ في بلاد الحبشة مملوكا بخرقة ، وكان مديرا
 في على ألكة في القريه السعوية بالبحر
 ومن سبأ في بلاد الحبشة مملوكا بخرقة ، وكان مديرا
 في على ألكة في القريه السعوية بالبحر
 ومن سبأ في بلاد الحبشة مملوكا بخرقة ، وكان مديرا
 في على ألكة في القريه السعوية بالبحر



سفرة الدر : ماما وياها

والأيام المنسية

شجرة الدر ماما وبناتها والأيام المنسية

بعد كنت مسلحا على نصي . لماذا ؟ لا يوجد سبب معقول يجعلني طول
الوقت أفكر في الذي أعمله في اليوم السابق . وقد كنت أنام عندما أسمع رأسى
على بعمده فجاء امام وقبأه أجد النهار قد طلع . لا مجهود أبسلكه لكنى بجيء
نوم . وكنت اندعش لئذى أسمع من الرملة بهم يشربون الشاي في السوبر
أو يفرزون حتى بجيء النوم . وأحيانا لا بجيء . ولكن لا أنال أحدا .

.. هي تلك الوقت قد اعصت أن أنقلب على الفراش . ولما أظفر في رأسى
كل ما حدث طوال اليوم . فما الذى كان يحدث ؟ . لاشيء ذهبت إلى
المعترسة . تذاقت بخلقت . ثم سكنت . وجاء المعترس وطلب منى عدم
الاستراك في اللعب الرئيسية قللا : إقرأ لك كتابا أحسن لك . هؤلاء شجائ
بالمطون يحتاجون إلى تربية . أما أنت فأنه يهيج عليك !

وكى الرملة يصعبون من ذلك .. ويصعبون فاصلا ثانيا وثالثا بهي
وبهم . ولم أحاول أن أتيب أو أزيل هذه القوصل .. فلم يبق لي من كل بلاعة
المعترسة سوى ثلاثة .. أحدهم يوناني الأصل والثاني ألماني الأصل والثالث
مصري . من الأربعة أصنف الأصدقاء . ونفق وبغث . ولكن على الصفة
نذور المذعنات من جديد ، لا أجنس سميدا بها قلت أو بما فكرت قدي قلت ..

وعندما أفكر بيسا فرنسي أجنس الوحيد الذى يصر على أن يردى بطلونا
طويلا وضيحا له كم طويل .. ثم إلى العناء له كعب عظيم مرتفع لا يريه
أثناء السير الطويل .. ولكنى أنا الذى فكرت ذلك .. لماذا ؟ لم أعرف لأننى
لم أفكر . ولم أفكر لأن تفكيرى كان في انجاء آخر ثلما .. أو على الاصبح
كان تفكيرى مشغولا .. فلما معلق التفكير . هناك شيء ما ، يعنى من أن
أدعش انشاء كثيرة ، لا مع نصي ولا مع عبرى .

عسى هذا الشعور بالنفس الطمع . مصدر هذا شعور . والذي لم يكن
معنا . فكم مرة جاءت أوراقي من المدرسة ودعوت لاجلتي . وإن سألني أحد
أقول . والذي مضاف . إنه مريض . سوف يجيء . وسيفي . بفتح الفاء
فه مات . ولكن ليس عسى أي دليل على أنه مريض . كنت قد سمعته في
اليوم . وعلقت شوقه . ولا أحد يخبر . إنما كان هذا الشعور هو الذي
جعلني أشعر بأن هناك شيئا ما في حاجة إلى أن أعسى الكلام عنه . وحينه
ولذلك كان حوصلي على أن أجعل البطون أطول والقصير والحداء أعلى
أي لابد أن أصيب شيئا ما . لأن هناك نقص ما . ولم أجد ما أقوله عندما
يذهب الزملاء من الإصرار على أن يكون لكم طويلا والبطون أيضا . مهما
كانت حرارة الجو . وكنت أجد اعتذرا محنته . ولم أنقل من تكبري إلى
أقول : ليس من الضروري أن يكون كل الآباء والأمهات في مكان واحد .
بعض الطلبة تروح أبائهم سيدات عجريات . أو لنهم مائتا ..

وبأنك هذا الشعور ببعض شيء هام في حينه عسا زور بعض الزملاء .
بعض أو تذكر عما هناك اختلاف هائل بين بيت وبيت أخرى . البيوت
الأخرى فيها أصوات كثيرة . والأصوات عالية ولها رنين . البيوت الأخرى
داخلة فيها تات كثير ومطانة بالسجاد .. وأشياء كثيرة معلقة على الجدران
وإذا ولقت أمام بيت من هذه البيوت ، فإن روائح عربية تخرج من تحت الباب
وإذا انفتح الباب خرج الهواء رائحة جميلة بمطور مختلفة رائحة الطعام
والكولونيا والصابون .. وإذا انفتح الباب تطلعت وجوه كثيرة جالسة ، ووجوه
واحدة .. وعيون انتهجت إلى الداخل . وكلهم يتكلمون في وقت واحد . ولا يدي
نمتد والتهلات . وللدعوة إلى الصلوات والشاي والدعوة إلى الغداء . وعندما
هكبات كثيرة يشاركونها جميعا .. وإذا واحد فتة أن يسمع جانب من القصة
طالب الآخرين أن يسمروا حتى يسمعها من أم لها . وكانت القصة لغال عدم
مرات .. بناء على حماس الجميع ورغبتهم . وكل شيء يحدث على الصعك .
أي شيء . كيف ؟ لا أعرف .

أما في بيتنا فتمننى السماعات لا أحد يسمع أحدا . ونجتاز غرف البيت كلها
فلا نجد رائحة أقوى من جبر الجنزلي وزطوية الحمام والمقهور والسباع
والبيسون . وإذا جاء الطعام فإن لهذا لا يدعو أحدا . لذلك . وبمجلس ومعر

من الطعام ولا كلمة واحدة والأصوات ليس لها رنين ولا لها صدى . كل
لأصوات تحتاج إلى فجرة الطعام لكي تنقل بها من مكان إلى مكان . عسل
عندما يجيء أقرب لنا ، فإنهم يجلسون مع والنتي بالساعات . وكل حكاياتهم
عن فلاة بنت العم وبنت فلاة بنت لجال وعن أرض وجاموسة وهرج
وحطوبة فلاة بنت فلاة .. وإذا جاء حالي أو حالتي أو جنتي ، فيكون لي
صعب من الكلام .

هذا إذن هو الفرق بين النبت والمسكن بين الأسرة والعائلة .. بين دماء
الجد والبطنية ودماء الأمومة والأبوة والأخوة .. أما لماذا يصحك الناس
بمناسبة ومن غير مناسبة ، وكيف ، فهذا الذي لم أعتد إليه ..

معها حق ، أ .. ، عندما كنت تكرر دائما : بلأنا قتلى لي .. ولما قالت
لا .. بلأنا قال : أبوه .. كلمة واحدة .. وهو الذي يعطى المصروف .. وهو
الذي ذهب إلى سطر المدرسة .. وهو الذي اشترى .. وهو الذي اختار ..
هل كانت تعرف لي والذي ليس هناك .. ولأنا هذا هو الفرق بيني وبينها ..
أو بين عائلتها وأسرني .. هل أرأيت أن تقول أنها مهما كانت حرة في خروجها
ودخولها ، فلأبد لي تسأل ولأدعها عندما يجد الجد .. وما هو هذا الجد الذي
يجد ؟ أن أنقم أمثل بدها ؟ أنا ؟ ومن الذي فكر في ذلك ؟ هي التي فكرت
هل تسأل أباهما ولأنا تسأل أمي ؟ ولأنا تسأل أمي ؟ كيف .. أخطوا إليها واصطدم
بشريعة عليها مائة علية ورجاجة دواء ولأراها شاحبة وأقول لها : أريد أن
أنتقم .. إنني لا أستطيع أن أكمل هذه العبارة التي لم أسمعها من ، أ .. ، ولم
أجرؤ أن أقولها نفسي ..

فإن كانت تعرف لي والذي ليس موجودا هنا شئنا في ذلك ؟ وأنا لم أر
أباهما .. وأنا أشعر بأن والذي حاصر كل الوقت ، لأن أبوها وسلطانه وبعونه
ويده العظيمة ونزاعه الطويلة وأخوها يشرب للسجائر ويقال يشرب البيرة
ويعرف اللعيات ويسهر ويسقط هي الامتحانات ولا ينف إلى جوار أخته إنها
عاكسها أحد . لي والذي ليس معنا ، ولكن لا أفعل شيئا من هذا الذي يعطه
أخوها . وهي التي قالت عني إنني مختلف عن إخوتها . بل قالت لي كل
ما عدى من صفات جميلة ومن أخلاق « بييلة » - هي التي استخدمت هذه
الكلمة - لا تجد لها نظيرا عند أخوها وبغية إخوتها ؟ إنني ليس من الضروري

لأن يكون الأب هناك لكي يكون الشعور به عسيفا !

ورغم هذه المناقضات هي داخلية ليلا ونهارا ، فهي لم تفتح هي أن تزيل ذلك الشعور الأليم بل أن تلتقي لم يكن هناك معظم الوقت وأنه لذلك محور قصص ونواير ويطولات كلها من احتراعى عندما أواجه المواقف والسلالات التي تقتضي وجوده بيدي .

ولو كان والذي معنا لكان حتى أجمل . لأن خطه جميل . ولحسنت شعرا أكثر ، فأنا لم أصف إلى محفوظاني من الشعر بيدي وأحدا ولكنك صلب العجز حاصرا وشريت البناء بالتمدد . ولذبت معه إلى صلاة الجمعة . ولحصرت حفلات الذكر والمواثيق ودلائل الحبرات .. ولكنه ليس هناك .

وفي كل ليلة أفتح درجا من مكبي وأصع ورفه أو ورقتي وقد كتبت شيئا أحرم على ألا يراه أحد . ولم يكن تلك الأفكار إلا شطحات فلسفية . لا أعرف بالسهل ما هي .

مثلا : لماذا لا تنبت من الأرض ، مثل كل الأشجار .. لماذا لا تنحل الطيور في منافرها بنورا للفتح والمضي .. وينورا أخرى يهرج منها الأطفال والشباب والرجال .. لماذا الأسرة ، لماذا العائلة .. لماذا لا يكون كل نكاح في الحقل ؟ ا ولماذا إذا ولد طفل لا تتركه أمه هي الملجأ . ونقوم موهلات بتربية الطفل . فإذا كبر كان بلا أم ولا أب . لا يرحب إلى وجد أباه ولا يرحب إلى لم يجد أمه .. ولماذا لا ينقل الطفل من مدينة إلى مدينة ومن مدرسة إلى مدرسة . فإذا ولد الطفل في المنصورة فهم ينقلوه إلى القاهرة . وفي القاهرة ينقلونه إلى المنصورة .

أو أفكر أخرى تقول . ولماذا تكون القبيوت أبواب ولماذا أبواب مقفل ومغلق .. لماذا لا تكون القبيوت بلا أبواب .. لا حواجز .. كل شيء لكل أحد ولكل الناس .. لماذا يولد طفل عيبا ويولد طفل آخر عسيفا .. مع أن الطفل العيبى تم يعمل ما يجعله يرث ما تركه والده . والطفل العسير لم يرتكب جريمة حتى يكون محروما .. لماذا هذا الظلم التاريخي .. إنني لا يوجد عدل في الدنيا .. ولا أمل هي أن يكون هناك عدل ، لماذا كل طفل يرث أباه وأمّه .. إنني لا معنى للوراثة ولا معنى لأن يكون لأحد نروة ، ولأحد فقر وثلث واليهوس ..

وفي يوم رر العنوسة وزير المعارف - محمد حسين هيكل بشيا ، كل
 - ، في امريه : كده عرفت السطر مطلق برل ، القرائون
 و بمرسول و لاضر هرسب رعل ، الزرع والنور قد ستر في كل مكان
 ، حساب مسوايه الزيات ، السطر عني غير عديه يصعد ويد عد الصلة
 هنا ريد ، القصور مسعد ، عسلوه ، حده هيكل باب إلى الفصل ومعه
 حصرة للسفر وسجنيات اخرى لا حد فيها و١٠ هيكل ناشا بطلت من كل
 طائب ان يجيب على هذا السؤال :

ما هي اميت ؟ هنا - مرسى طائب صيب عني سيج عنور
 وسأل الوزير صاحكا : من هو الشيخ عاشور ؟
 قال الطيب : عطية مسعد الحمينة .

قال بلاده محمد عبد كوه - صفي باب - نمك الشاوش
 وقلت أنا : أتم

قال الوزير : من هو أتم ؟

فت سينا أتم

قال الوزير لماذا ؟

قلت : لأنه بلا لب ولا أتم !

وحلف ، رقص رسي لأحد السهه عني وجه نورير والياطر
 والعريسين ولا عرمه اشي قوه ، حرج و بر المعارف - ولم أكن أسمع
 شي من دور حولي ولا معنى ان يد - اسمي كبير بين رملاني في تلك
 لحظة ..

وبعد ايه رجعت ، هذا من ادواني ساشو هل صحيح أنك وقت أتم
 ان بر ولف لك معنى ان نص ، الشك تكون بينا بارليك !

ولم أعرف كيف فكرت في ان أكون بم - هذه افكر أتم محط على بالي
 من سك ، وبعده وبت في لحظه بها عد ، كتيه المعاني حلاصة مشعر
 مؤنمه برسم في عيني وبنار - أتمت بها الفرصة ، هطرت على
 ساني أدم الوزير ، السطر - عني ان حرج الأفكار هكذا نون تدخل
 حني ، ان دون تفكير أو تدوير

وجاء والدي وسألني : أنت قلت إنك تريد أن تكون ادم .. أول إنسان
لأبد أن يكون هذا شعورك .. فأنت الأول وسوف تبقى كذلك .. ولكن أدم عاش
وحده في الجنة .. ثم عاش وحده على الأرض .. لأبد أنها حياة موحشة أن
يكون الإنسان وحده .. لا لب له ولا ألم .. حتى زوجته خرجت منه ، كما خرج
لأبد منها .. وبقي هو وحده .. كل الاتيباء كذلك .. كل المعطاة كذلك ..
الله يفتح عليك !

اقترب والدي من كل شخص ، إلا المعصي الذي يعذبني . ولكن بكفي أنه جاء
وأثنى جالست إليه .. وأثنى لسمته . وأثنى فقلت بده وأثني فقلت . وأنه أثناني .
فأنا بعصه . ونحو واحد . وفي لمة واحدة وضمة واحدة ترونت بكل النغم
وكل الراحة وكل الأمان . وقد أستمعي وروائي وعلائي كل ذلك .. وحتى لو
غاب شهرا فالذي نمر ب منه إلى جسمي ونصي كثير جدا . بكفي شهرا
وعاما .. إن والدي لم يره لمد ، ولكن الناس وأنا عرفناه بالمعل والقلب .

ولاحظت بعد ذلك حرصي على أن أعود إلى البيت من المدرسة .
ولا أخرج وأنا الذي أفتح الباب وأنا الذي أزد بصوت مرتفع إذا أزد في
الجرس . وأنا الذي أزد وأتكلم وأهمل للمافضات . وإذا دعاني أحد الأصدقاء
إلى الغداء يكون الرد جاهرا ، ولكن والدي وحدها !

أو أقول : مصروب البيت معي ولأبد أن أعود إلى البيت فوراً !

ونظمت أن أزد عبارة سمعتها من والدي ولم أدرك معناها بوصوح : أما
رجل البيت !

وعندما كنت أذهب إلى المكتبة أجد صورة والدي تضر أمامي على
الصحنات . وعندما أألم وألمم بالوالدي . في شغبا سينا يقع .. كأنه جاء في الحزم
وفي البضطة لكي ينهي إلى ذلك .. وظل هذا حال معي ، سنوات طويلة بعد
موته ..

وقد نصصني والدي أن أصادق أحد سكان البيت .. إنه شاب فظظظي ..
سوري لبناني لا أعرف . وهو أبيض اللون أسود الشعر . أما والدته فهي مثله
نعاما . وإن كل شعرها أطول . وكنا نسمع صوتها من أي مكان في البيت .
فهي تتحدث بصوت مرتفع . وكنا نعرف بالضبط ماذا يدور في شغبا . وهي

• مع صاحب البيت الذي هو مدرس اللغة الإنجليزية في مدرستك .

• قد رأيت في أيام هذه السبحة بوا كثيرًا وعده كتب كثيرًا . . وقد اتفقنا
• ، تحدثت معه فأعجبته . وأتسمى هذا شوجيه فمجان من والذي وبعثت
• له رسالة من كتي شبيه كتاب . وإلى كاتي بيرني وألندا وألندا . ولم يرد
• حصه . وعرفت أنه يقرأ بالروسية أيضاً وأنه متكلم لغة غريبة وعرفت فيما
• هذا أنها لغوية . وأنه ليس له المدرس . وإنما من زوجها الأول . وهو من
• مثل من . لطيف . عرج أيضاً . على سبيل المثال يتحدث في أي وقت وهي
• في موضوع واحد موضوعات كثيرة . وكل شيء به يلعب . تحب الأسود
• لتصبح زوجها وعدها وحداؤه . والتفكير ليس السطون الأزرق أو ليس
• معطر أيضاً

وفي يوم دعاني لأتحدث معه . ونفبت ونفبت فيه معاً . ووضعت أيضاً
• كتيه كثيرة من الطعام . لدى ماضي وهناكين كثيرة وإلى ماضي . وعيشي
• مرسى . ويحيى وأول وجين وحلاوة وريون وهكذا . وأتحدث في أن يكون
• كل ملك في الإطعام . ولم أعرف ما شيء أنا أو ما شيء ليس . وكانت
• هي التي تصنع القدي والحيى والحيى . ومطلب من بينها وأتبعه جمال في
• سامعي قفا في غاية الفجل

• وجاء صوت غليظ من الداخل . برحق وبهذي : رائيل .. رائيل .. أنت
• به بيت الكلب !

• وسألت وجه السيدة وألندا . ووجه الطعام في ضي .. وبعده تفاعلت
• الصيحات والصراخات والأسماء . وخرجت السيدة رائيل من باب الشقة
• مجرى على السلم يهيمس القوم والمدرس وراءها يهيمسون الهجامة وبلا جاكنة
• وبلا مظرة . وقف جمال وألقى رأسه . وبدا به يهجم إلى جمال ويهول :
• وانت يا بيت الكلب إنني عات بيت مني كلب . وإلا فهي طلق !

• وبعده جلس المدرس ووضع المصفا على درابيزة الممر . واستندت يده إلى
• الكبيس والقول والجين . ووجهني في بيتا في مزيجي أعلى من ماضي
• شديد ولم أجد الكتيب في يدي . لقد سبقتها وحطرت لي أن أفسد وألتي من
• الكتيب . ولكن عرفت ما قد يحدث . ولم أعرف ما الذي يمكن عمله . ولم
• أجرد أن أتكلم ما حدث لأحد . ولا حتى لوالدتي .

وفي الصباح الباكر جازني جمال يقول هي لهجة رفيقة غريبة لم أسمع مثلاً
من أحد : آسف لما حدث ، ماما شديدة الأسف !

لاعمري سمعت مثل هذه الكلمات ولا فهمت معنى الاعتذار . ولم يشرح
لي جمال ماذا حدث ولماذا ؟ وكنت قول ذلك أسمع هذه الصيحات ، ولم أكن
أفهم بالسط ماذا هناك فوق هي شقة صاحب البيت .. الآن فهمت أن هذا يحدث
كثيراً جداً . كل يوم .. صرب .. وشتمه ونزول على السلم وتهديد بالطلاق
والعودة .. ولم أعرف السبب ..

وفي يوم سقطت مذام رائيل من السلم ونكسرت مفاصله . وذهبت إليها مع
والدتي في المستشفى ونحدثت هي عن أن زوجها رجل عصبي بحول جداً .
وله معضلة لأنه ظهر فاجر على أن يأتي بأولاد .. ويتهمها بالسبوبة الشديدة بليلها
لوحده وإعماله هو ..

وكانت تقول لوالدتي : ولا يهمك .. إنفعي الإيجار هيا بعد .. ليس الآن ..
لناس لبعضها .. سوف أفضه وأنتي على مهلك !
وكانت أسي ثعباناً ونسجرح إليها ..

ولم أكن أعرف ما هو الفرق بين اليهودي وبين المسلم ولا بين الممنم
والنبطي .. فلما أنظر إلى جمال ونظر إلى ميشيل اليوناني الأرثوذكسي وإلى
وليم النبطي . لافرق .. وليست عندي معلومات عن الفروق بين هذه الأنبياء
الثلاثة .. ولاكنت دخلت كنيسة أو معبداً يهودياً .. ولكن كانت عندي معلومات
كثيرة جداً عن الفوارق بين الأنبياء .. فمن طفولتي أجد في أصدقاء من
المسيحيين واليهود . ولم أشعر بأي نوع من التحالف بيننا .. فلما دخل الدين
في أن نحدث في الأذن أو الشعر أو نمشي معاً في الشارع وأن نصحبك وأن
نلتقي في اليوم التالي .. لم أجد سبباً للتحالفات بينها في أي وقت ..

سألت جمال : أين ولدك ؟

قال : مات !

سألت وليم : أين ولدك ؟

قال : قتلوه .. إنها ممثلة تتر بين عائلات في الصعيد .

سألت ميشيل : وولدك ؟

قال : فى أثناء .. لن يجره إلى مصر ترك البيت منذ عشر سنوات
وهجأة اكتشعت أنا جميعاً بلا آباء .. ولكن أحدا منهم لا يعانى الذى أصابه
والذى بلغت به كثيرا . وكان ذلك أعظم اكتشاف لأسمى تملأ ..

لقد وجدت أن كل أسدقتى بلا آباء .. بنامى ؟ ربما .. وكنت أناعب
لرملاء : إن آدم عليه السلام هو أبو البشرية بلا لب ولا ألم .. نحن جميعا
وإذ رجل يتيم ؟

وعى بيت جمال .. رأيت للتوارة لأول مرة .. فليت فيها وفرت .. التلة
عربية غريبة وأسماء كثيرة . وأثار جمال أن أحد الكتاب معى إذا شئت وقليت
به كثيرا ، ولم أجد منصة عند قراءته لأول مرة .. ولكن كانت لديه معلومات
كثيرة . وناقشنا . وسرنا طويلا . وجلسنا والتمها ولمنت بدى إلى التوراة أقرأ
وأفهم وأستمع ليصا . ولكن أين هذه التوراة من القرآن الكريم . لغة التوراة
عربية ولغة القرآن هي قصة التبار والجمال والموسيقى والحكمة ..

ودعينا معا إلى محل ساعاتى فى شارع السكة الجديدة اسمه (هرش) .
فيه شبه كبير جدا من جمال وولنته . أبيض أسود الشعر والعينين رفيع
العابرة . ووعلى بسمة مختصرة للتوراة ولكن بالفرنسية . فلم أستطع
فراستها . وبعد بأن يهتز على بسمة عربية مختصرة . وبعد أيام وجدتها عندى
فى البيت .. وجاءت كتب صغيرة وكبيرة بالإنجليزية والفرنسية والعربية ..
وكانت نوعيات غير مألوفة .. وأكثرها فى التاريخ العربى واليهودى .. لمؤلفين
ومترجمين لم أقرأ عنهم .. انه عالم جديد غريب ، ولكنه ليس ممتعا .

ولم يشأ جمال وآخرون أن يصموا إلى المجموعة القليلة التى تلتقى كل يوم
على سلم المكتبة العامة فى المنصورة .. هو جاء مرة واحدة . ولم يسترح إلى
أنواع المناقشات .

وجاسى يقول : أسف .. لن أحضر اليوم . فتم لكم موضوعات بعثة عنى
تملأ .. ولكن يكفى أن التفتى بك فى بيتك أو فى بيتنا ..
وفى إحدى التالى دق الباب . وكان جمال .. وقال : أريد أن أتحادث إليك
ههنا .

وحمل . وطلب أن تدخل مكتبي . وهي غرجه صغيرة بجوار الباب ليس
 فيها إلا المكتبة في منتصف الحجرة ومعد . وجلس هو فوق للمكتب وقال
 لي : هناك شيء صائعي أنا وماما .. وهي التي أرسلتني إليك الآن . وهي
 تعرض عليك أن تعيم عندنا الشهر الثلاثه القادمه سوف يكون وحنا ماما !
 لم أفهم . أدهشني هذا الذي قال . وأدهشني أكثر عندما قال : إن أنت
 لا تعرف .. لقد أتعت والنتك مع مدام شيري أن تنتقل إلى شقتها .. إنها تريدك
 أن تعيش عندها بين أولادها . إنها تحبك وتريد أن تعاملك كوحده من أولادها .
 والنتك وافقت أن تكون مثل أمك .. نتيك . حتى تحصل على الثانوية
 وتذهب مع أولادها إلى الجامعة !

حاولت أن ادبر هذه المعاني في دماغي . أن أقبها . لم أفهم . هبطت كلمات
 كثيرة أصددها لأول مرة .. فلم أفهم معنى أن تكون مدام شيري في الدور الثاني
 وحتى في الدور الأول . وأعيش عندها . لماذا ؟ بين أولادها لماذا ؟ كواحد
 من أبنائها لماذا ؟ وأمي وافقت لماذا وكيف ؟ لم أفهم . وقد حدث ذلك من أيام
 ورأيت أمي جلست معها واشترت لها الأدوية ودرت في كل الصيدليات ..
 وجلست إليها وسحدثت معها ولم يقل لي شيئا . وكيف أتركها وحدها
 وما المعنى ؟

وتصر جمال . على أن ألتقي بوالدته هر عدا لأني حضرت جانباً من هذا
 العشاء بين والنتي ودام شيري ..

وقابلتها . وسمعت منها تفاصيل مازار بيديا وبير والنتي ودام شيري
 وبانها وأولادها . أما بانها فقد زلنهن كثيراً في شقبي وماما البيت وعند
 النقال : كاميلو .. متوسط الطول واسمه للعينين مستديرة الوجه صغيرة الشعر
 فيها حيوية .. وحلوتها صغيرة . وإذا مشيت تدفع هولاء . حتى لا يمكن
 هناك أحد أو شيء يستدعي الانتباه ولكنها صغيرة الحركات ..

وعسى .. متوسط الطول سمراء موداه الشعر .. ناعمة الصوت قلقة .
 وهي عادة التي تفتح الباب . وهي التي مشنري وساقض الدعية على السلم .
 وهي التي اذار أنتي بقول : سلم لي على ماما . والأخت الثالثة : بهمي بيصه

ممتلئة واسعة المبين والعم مملوكة . وشعرها مشعوب وعصفا ودرعاها .. ولم
أسمعها نكلم احدا .. وإذا رأيتى نظرت الى عيني ولا تقول شيئا . أما الولدان
فهما يميلان الى المدرسة . أحدهما ممي في نص الفصل .. أن تول الفصل
وهو اخوه .. وطالما كنتك حتى تركنا المدرسة إلى الجلسه ..

أما السيدة شيرى . أو شيرى .. وان كنت رائيل بنائها شجري .
شجريه .. وينعتان الرسمية معا ، ومع البنات الثلاث . هي الام الزوجة
الطوية لصون المرحه ..

وهجت الى والنتى مكتوبة تماما في تعلمنى في هذا الموضوع .
أما الموضوع فهو أن أعمل كنبى وملايى وأعيش مع أسرة السيدة شيرى .
ساد ؟ في المنزل والسلام . من أجل صمى . ولم لده الى أنى أعمل صميا
كثيرة . بسبب برودة الشفة . وان نظرى قد صمى بسبب الإساءة السيئة
و بسبب كثرة المذكره أو سوء النظية . ول هذا الغرار . انتهى .

وبرل جمال . وجمع كنبى وملايى . وانتقلت من قنور الأرض الى
النور الذى فوقه . إلى سرير صمى في غرفة الولدان . أما كنبى فقد لعبت
تحت السرير .. سريرى .. وملايى وصمت في أحد الأتراج . ولم اعرف
ما الذى يجب أن أصله بعد ذلك .. كيف أنام .. كيف أذاكر .. إذا برلت الى
المدرسة هل أمر على والنتى .. وإذا عدت من المدرسة هل أبق الباب ماذا
أقول لها ولماذا أقول لإخوتى ..

هل أستاذان من ملما لكى أرى مدام شيرى .. هي قالت لى : قل لى
يا ملما ..

هل أستاذان من ملما .. وإذا يرضت ملما هل أستاذان من ملما لكى أبيت
عندما . وإذا أرادت ذواء هل أستاذان فى كشوراع أبحث عن القواء وإذا
كل هذا هو ما يحدث كل يوم فى معنى لى أصمى معظم الوقت تحت . ثم ذهب
الى فوق لكى أنام أو أمارل العشاء .. وانام . فما المعنى ؟ وكيف أتحدث وأحد
بورى فى الحمام .. وأيسا ذهبت قميون كثيرة بنظر ناخيتى .. البنات والولدان
وحما .. كل هؤلاء يظطرون ويفهمون ويقولون ، أو لا يقولون ، وأنا لا أعرف
ما الذى يقولون .. ولا كيف أوصح ولا كيف أذاع عن نفسى .. عن موفى

العلمى .. ولا أعرف كيف أبدو وأصغر .. أو كيف اقتنعت بأن
أكون بينهم .. ولا أكون نعت ولا أمارل أن أتعلم عن الدين نعت . ولا إذا
جاء ذكرهم أن أعلق بشيء .. كأنه من السوروس أن أقطع والذى وأمرنى .
لماذا ؟ ما الذى جعل والذى تفعل ذلك .. ماذا حدث ؟ وما سوف يحدث . هل
التفت مع والذى على ذلك .. إنها لم نقل لى شيئا .

وكل الذى قالته السيدة شيرون يوم حملت كبرى وملاهى : أهلا وسهلا ..
بينك ومطرحك .. مع إخوتك .. لعلهم يتعلمون منك المذاكرة والإحلاق
والإنجاح .. ظلمت تتحدثون عنه وكيف يذاكر وكيف ينجح . جاء إليكم بنفسه ..
تعلّموا منه ..

وبعد سنوات سألت واحدا من أبنائها كم يوما مكنت صديقكم . قال : ثلاثة
شهور ..

وقالت والذى : بل بضعة شهور ..
وقال لى جميل : شهرين ..

وقالت لى : أ .. كيف استطعت .. كيف وجدت قلبا يطاوعك بعيدا قريبا
عن لك ولخوتك سنة كاملة .. أين ذهب ملكنت تفرقه من الام وحسن الام ..
ومن الإيمان الذى لا يخل من الواقع .. وكل إنسان له واقع خاص .. تماما
كما أن له إسما وجسما فله واقع .. ولا يصح أن يخل منه . وما هو قصاص
وقدر هو عظيم الاحترام .. هل نسي ما حدث قصاص وقدر ؟ كان هو وسعدك
أن نمنعه .. إنك لست طفلا وصيما .. ولا أنت طوبة يفتونها من عرض
الطريق إلى جوار الحائط إلى بقية الطوب فى أحد الجدران .. ليس قدرا ولذلك
لا هو ولا أنت تستحق الاحترام . كيف حدث ولماذا ؟ هل تريد أن تقول : إنك
أرئت لى تعرف .. أن تجرب .. لى نعم .. لقد جربت فهل فهمت . قل لى
الآن .. فقد وجدت الآن ألف سبب لكى أسخطك نعمة من عيني 11

وكنيت قد لبتحدث عن كل طريق نمتنى به : أ ... وكل مكان .. ولم أعد
أمر أمام بيتها دعابا وإيلا من المدرسة .. وثقليت أن أرى أباها وأصدقائه .
وعندما وجدت صديقها أمام المكتبة حاولت أن تتحدث معى ولكنى أبترت رأسى
بعيدا فأجبتها ذلك .. ولم أعد أراها . ولكن : أ .. لم تطلق صبرا عندما

عرفت هذه الحكاية العربية .. لقد جاءت لزيارة والدتي وبعتت لي واحدا من
لحوتى . وبادلتى . ونزلت . ووجدتها قد جلست إلى مكتبى . وطلبت منى أن
أغلق الباب ورائى . ولم تترك لحظة واحدة أرد بكلمة أو حتى أنصت بصوت
مرتفع .. ولو أصطنتى للفرصة ، ما وجدت شيئا أقوله ...

لقد كنت مأحودا .. مملوبا .. مسحوبا .. من تحت إلى فوق .. فكما كنت
عائبا تحت ، هُنا فوق نُكثِر غيبا ..

كذبت أيام تعلمة - نعم . منتهى التعلمة . فلا أنا فوق . ولا أنا تحت .
ولا أنا طرف فى كل المسافنات . ولا الصمك ، ولا الفسه . ولم أعد لثم تلك
الرائحة التى تخرج من تحت الباب ومن تحت الباب .. وإذا اتجهت إلى النور
العلوى ، لأحاول ألا أنظر إلى شفتى وأعشى أن يفتح الباب فجأة ويرانى أحد ..
فإذا حدث فلا أدرى ما قدى يمكن أن أفعله .. لم أفكر . لم أهدأ إلى حل .
ولا ماهى للمشكلة ..

وفررت بهنى وبين يدي نسي أن أعود إلى تحت .. فرار .. وأحاول أن أجد
صيفة مناسبة لتوديع السيدة شهرين ولولادها .. وفررت لأن أجمع كتبى
وملابسى وأعطى للتلم فى ساعة مبكرة ولترك لهم خطبها أشكرهم على كل
شيء .. هذا فرار ..

وفى يوم دق الباب وتقدموا جميعا يفتحون الباب . وسمعت صوتا أعرفه ..
وسطرت إلى الباب من بعيد .. أعرفه طيما . إنه الشيخ دهليز .

قللوا : تصل .. قلت له أيضا . وصافحته . وكانت مفاجأة مفعلة . فلا أجد
بمعرف أنسى كنت التقى بالشيخ دهليز وأخفى معه .. فلكه قصة خاصة أخفيتها
بين طيات ذكرياتى المتواضعة .

وكان هو الذى بدأ بالكلام . وتسامل بسرعة وبصورة مباشرة وتوجه بعديته
إلى السيدة شيرى قللا : أنت تعرفى فته إبنى .. حبيبى .. فنان .. أنه يفتح
عليه ..

ولم تكن هى تعرف هذه الصلة ..
ومعنى يقول : فخطع عما شهيرا . سألت عنه . قللوا إنه تزوج بيت واحدة
غنية وجنت لائل . صحيح يا ست هاتم .

صعكت السيدة شيرى : فى هذه المس بزوح . الله يصحكتك ياسيد .
الشيخ ..

.. لا تقولى : سيدنا .. فأنت سيدنا لأحد ولا حتى لمرسى أنا أريدى التعامل
ونكى لست سيدا .. أنا رجل على جدا .. لستيه . هاه .. هاه .

وسئلى للسيدة شيرى : من هو ؟

قلت : إنه عم الشيخ دهلير .. بامدام

فالت بمصعب : قل يا ملما

قلت : الشيخ دهلير يا ملما .. معنى ويحفظ الشعر .

فالت : معنى ؟ والله ؟

والسبب قل . معنى .. الله .. لعرف ؟ .. والله فرصة !

وبسرعة عربية ظهرت الطلبة والرقى والعود والتكت اللغات حول الشيخ
دهلير ومعنى إغراق الطلبة . والرقى والعود . لا والتقى بالعبد . والله
يا عبده . 1

وأعجبت أخرى كثيرة . كانت معجأة لى . وغموا للشيخ دهلير الشاى
والقهوة .. وكل سعدا وهم أيضا عندما طلب إليهم أن يشربوا القهوة لأنه يريد
أن يقرأ لهم العجائى ؟

أما زوجته فهي اتنى سحبه إلى باب الشقة على أن يعود بعد ذلك . ولما
عادت قرأت لهم جميعا للفتيان ..

ووعدهم بأن يعود ثم أخرج خطابا من حبيه وقال للسيدة شيرى : حصرتك
أنت شجرة الدر غلام .. أمنت كذلك ؟ !

فالت : مضبوط ..

قل - معنى خطاب من أمنت شج شج .. تمر عليها *

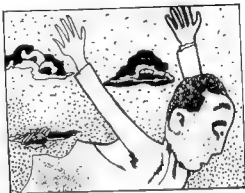
فالت . طبعها هى اتنى فالت برهافى من عشرين عاما كيف هالها .
وحشنى سلم عليها . وقال لها اتنى سوب أكبر سعيدة أنا براتنى ..

قال الشيخ دهلير مودعا . يا سب شجرة الدر لا تعصنى من الذى جاء فى
هذا الخطاب .. لقد جاء زملاؤه فى المدرسة وهاهو بك أزعمت والله على
ن بعيش بينكم .. يقولون إنك نصف ميلما من العمال .. يقولون .. زملاؤه
يقولون .

صديقتك السيدة شجرة الر وهي تقول : أعوذ بالله ما هذا .. به نعيم
 سار صيب . وأن أحب أن يكون بين أولادى . ثم به ليس بعيدا عن والده
 لهم فى القصور لدى سعدا . فقط أن يكون مع الأولاد .. لهم بحبونه هذ
 شرا ما حدث . ولا ان تسويت ولا أمه ناصت . ولا عدى عروسة . ولا هو
 عريس .. أنا مثل والدته .. حلقته .. عنه . وأنا ألاخط له ليس سعيدا .. بل
 ماره قد عشت كلها .. لا هو ذلكر ولا أولادى .. وأنا أوتت أن لسعدته ..
 لكن مادام ليس سعيدا ولا رملأوه وربما والدته . فهو على كيفة بسا
 والجه للشيخ تغدير بالمعنى . ومد يديه حتى وجلى وقال : مبروك بكم ..
 فرح !

كنت لحظة فطيمه . لا أنا شكوت . ولا أنا صغت بالإقامة سعدا . هذه
 معن لا أعرف كيف أحبط بها . ولا كيف أحضها . ولا بالرئيس وبين ونسبى
 أو الشيخ تغدير نو رملتني حديث أو حوار عن هذا الذى أنا فيه .. وأحسبت
 بالحجل للتشديد من السجده وأولادها جميعا . هم يسره لى أحد . لا يكتمه
 ولا همسة ولا إشارة ولا منبهة .. ولكن الإساءات الكثيرة جدا كنت فى
 عمادى .. فى داخلى .. على شكل مظاهرات فى المعده .. ومحسن وتراجع فى
 حشائى بعد كل وجبة . وعند التذكركه وعند شعور العمام . وعند المرور
 أمام شقنا متجها إلى أعلى .

كنت أشعر نسي لا أصدق إلى فوق . وإنما أنا أنحط . أنحط . أنحط إلى
 فرور لا فاع له .. أنحط فى داخلى .. لقد بذلت جهدا كبيرا جدا لكى أسكر تلك
 ذهاب . فقد تماوتت كل قدرائى المظلمة على معو هذه الفترة من عمري .. وكنت
 جدى أعظم وأعظم عنما لسعدتها . وأشعر صحتها ونشكرها وجمعها
 وسجلتها .. إنها الأمل المسبية لوالتى يجب أن تظل مسبية فى طغوسى !



شجرة الدر لأخر مرة
وجاء لطفى السيد

شجرة الدر للأفرمرة وجاء لطفى السيد

فى ذلك الوقت كنت أعضى فى حفلات المدرسة .. وكنت أعضى فى الجلسات الخاصة بين الترملاء .. وكانوا جميعا يمتنون لىبا . أعمل هذه الأصوات كل للرميل جمال أبو ربه .. والذى أصبح بعد ذلك مؤلفا لقصص الأطفال . كان صوته طويلا جميلا .. وكنت أحب الاستماع إليه .. وأتردد فى أن أعضى أعضى .. ولكنه شجسى . وكان أكثر واقعية عى . فقال : عندما يصل إلى القاهرة يهرب من الجامعة وينتزع للعناء والطرب .. ولا دراسة ولا زهت ! أما المقهى الذى أغلقه عليها فهو مساحة من الأرض فرة .. كلها تريب وبعض الصناديق القديمة .. والتهاليسى .. والبنكاك المكسرة .. والسقف مرققا هباب أسود .. وقماش يسطى المكان .. ونخاي للجوزة والشيشة بعد إليها حانقا .. وصوصاء المقهى والرائير .. ولذلك يجب أن تتعالى أصواتنا لى بطلى على كل ذلك ..

وفجأة سكنت كل شىء . لقد ذهب الشيخ مور الذين إلى صاحب المقهى وأعطاه مبلغا من المال ، فأقبل للرائير . ووقت الذين ملئنا إلبا قاتلا : والأن .. نستمع إلى مطربنا المجهول .. صاحب الصوت الجميل : البة ، انطهلاوية السكرة .. إلى ..

وأشار تاحيتى . ولم أوقع ذلك . ولكن لا مفر .. وقال الشيخ دعيلز : آه .. عدى اقراخ يا مبدى .. رغم أنى لا شايه لا اسود ولا احصر . قل يا حبيبى من مقام الحجاز : تنبه على العشاق .. الله بكرمك .. قول .. من اصط على الآخر .. أحب أسمع .. الله بكرمك يا مبدى .. ستوحنا .. الله بلن القلمعة والى بدعها .. ما كنت قاعد معا .. واقتبى ومن بى اللبى ما حد ولعد منها حاجة .. القلمعة تعرف ليه طرس × معه .. هاها .. هاها ..

وجاءت السيدة شح شح .. وجاءت القزاقسة . وأمسك للشيخ بور الدين
بالطبلية .. والتف الرملاء حولي ..
ورحمت أغنى من مقام الصبا .. هم الذين يقولون إسم المعلم . فأنا
لا أعرف .. وكان يساعمني جمال لبورية .. ويهيم في لثمي بأن أرفع
صوتي ..

تنبه على العشاق في حلال خضر
ممككة الأزرار محلوقة الشعر ..
برعق الشيخ دهليز : ممككة الإبه .. محلوقة الإبه .. أه .. فك الرراير
يا سبدي .. فك .. الله يفكها جوك .. تلى ..

تنبه على العشاق في حلال خضر
ممككة الأزرار محلوقة الشعر
فقلت لها : ما الإسم ؟ قالت : أنا لثي
كرويت قلوب الملتصقين على الجمر
شكوت إبهما ما أقاسي من الهوى
فقلت : إني صفر شكوت ولم تدر
فقلت لها : إن كأي قلبك صفرة
فقد أنهب الله قزلال من الصفر

الشيخ دهليز : صفرة والسي صفرة .. بنت الصفرة .. فقد امت
أنك لما الرراير على طرقتي .. القزاقسة يا وادها رهيري يا ابن الصفرة ..
القزاقسة !

وبدأت الأصوات تتلاشي .. فقد نصب الجميع .. ونهرنا .. دون أن نتفق
على موعد .. ودون أن يسألني أحد مني سائفاً . لقد أرهقنا الغناء والرقص
والفرديد .. ولما طلب مني الشيخ بور الدين أن أرافقه عشنا إلى البيت ،
اعتذرت بأنني سوف أصعب للشيخ دهليز .. قال لي الشيخ دهليز : مطلوب
منك مجهود كبير .. فلما دليح على الآخر .. وسوف أجد منحة كبيرى في
الوقوف على الأرمس والندمفة في الوحد .. فلا تتركني .. وإذا كبس على
القوم ، صعدى إلى جوار الحائط .. وتعالى غدا لوطنى .. ولا تنس العطور ..

بصر وجيبة وشأى مسح .. هاها .. هاها .. والى أبى أحرقتك سوده يا ود
يا دغليز .. يا واد يا إلهيز إانت .. آه .. هيك نفس نفسي .. أعصى لى ..
عشا يا نعم عيش
ألعى كالفصين
اليس من شؤم بخنى
أصبحت بعصى يعنى !

وقال : وحياتك لم يحدث شيء من هذا .. لا عشت ولا عاشت .. ولا ألعى
ولا عصنين .. وأبى هو ألعى الذى سوب أحمدها بها بعصى .. هاها .. هاها ..
أهو كلام حلو .. التسميم القلدم من النيل ألعشى .. أبى من الآن ؟
قلت له : أمام قسم البوليس ..
قال : أعرذ باش .. حنى إلى مكان على النيل .. أريد لى أتعحدث إليك ..
أنت صعبان على جدا ..

وجلسا معا .. فى صمت .. وطال صمته .. واستغرق فى النوم ..
وبركته . ومصت دقاتى .. واشعلت بما فى داخلى .. واستحدث ما كان فى
بيتنا . ما دار بينى وبين والدى .. وحاول والدى لى يجلسنى على ركبته ..
هلت : كبرت على هذه الجلسة عشر سنوات ..

فقال : يقى الأبن صعبا فى عيسى والديه حتى لو كان عنده أولاد .. قل
لى : ملنا نريد لى نكون عندما تكبر .
قلت : لا أعرف .
قال : بالتقريب .

قلت : لا أعرف .. منى مشافى إلى القاهرة ؟

قال : سوف أضافر أنا أولا .. وأبعت لك بمن يضافر معك .. عندما بيت
جمعيل فى الزماتك .. أجهل أحياء مصر .. عندما شعة مستقرة .. به قمر له
حبيبة جميلة .. ومن لنا شعة عالية لها سلام وموف يكون فيها معا .. هذا
جاءت والدتك وإخوتك سوف تسكن معا فى مكان آخر أكبر وأوسع ..

وأجبنى أطلع إلى وجه والدى .. أراه هو الآخر بوضوح .. لنا مدينتى
من جاتنى .. فلما أطر إلى الناس .. وأفتح عيني جدا .. كل شيء أصبح يارزأ
منونا .. والذى أبهى الوجه مع إحمرو .. ليمين خضرون .. طويل عريض

يرتدى البذلة والصديري دائما . والكرافة التي تلتف حولها سلسلة ذهبية .
وهناك سلسلة أخرى للساعة بضعها في جيب الصديري . وله سطر ..
وصوته هادئ . وإذا تكلم فإنه يمسك يدي أو يجريني معه ..

ولا بد من هذا السؤال : ماذا نقرأ الآن .. هل أنت في حلقة إلى كتب
قل لي وسوف أبحث بها إليك .. إذا صليتك كتاب ، أي كتاب . لا تستمر في
قراءته .. اقرأ فقط ما يجعلك تستمر بالانسياس . إذا جعلك كتاب ووجدت أنك
لا تستطيع أن تتركه وجاء موعد الطعام لا تأكل . وجاء موعد النوم ،
فلا تنم . فليس سهلا أن تجد مثل هذا الكتاب ، ولست عابرة هذه المنفعة ..
إحرص على هذه المنفعة .. فإنها أروع ما في الثقافة .. عندك كتب ؟
قلت : نعم .

قال : كلها ممتعة ..

قلت : ليست كلها ..

قال : هل لا يزال أصدقائك هم الذين أعرفهم ..

قلت : ربما زاروا اثنين أو ثلاثة ..

قال : أراك حزينا . لماذا ؟

قلت : ألقى بريد مرصها وأنت لست معنا .. ولا تكتب لها خطابات ..
وبدع الإيجار متأخرين وأنا لا أستطيع أن أقوم بأي عمل آخر .. حاولت أن
أعمل في محل في شارع السكة الجديدة .. ولكن نصبي لم يتطوحي .. ثم
وجدت زملائي على استعداد للسفرية معي ..
وبكيت . وسكت والذي طويلا . ووجدته قد أخرج مفديلا من جيبه ومسح
نموحه هو ..

وعدت من هذه القصبة الحزينة إلى قنبيخ دغلير الذي صفا من يومه وجعل
يهرني أنا لكي أهيئ من السرحان الطويل . وقال لي : أنت لا تعجبني لا اليوم
ولا أي يوم .. لماذا هكذا صامت . ما الذي يفتكك .. لك رجلان .. أتعبد بشي
لك عيال .. وأبولن وماجح في المدرسة وسوف تدخل الجامعة .. ألف شكر
لك يا رب .. ما الذي يصابك .. إنك تمكن في النور الأزهي .. ولكن مكان
النور الثاني يحسدون لك عليك .. ثم يطلبوا إليك أن تعيش معهم وتكون
لهم .. وربنا أعطاك قدرة هائلة على الحفظ .. وحفظت القرآن الكريم وحفظ

خوف بيت الشعر . وأصدقائك بحبوك . بصراحة أنت متشدد .. وأنا
 حر جيل .. كنت أريد أن ألقى بعضي في الليل القليلة . ولكن لا أمل أنك
 سترى . أعرف أنك سوف تحكي ما حدث .. هل سميت كيف جنت تروى
 ما حدث لصالحك هوى مع أبيه وأمه .. كيف تشاهرا وكيف أن هوى
 كـ يكي صول الوقت .. وكنت أحب أن أستر صديقك .. ولذلك أن ألقى بعضي
 في الليل .. ثم لك متشدد .. وحبك هذه البيت أمال . إسعها أمال ..
 لا سمها فاطمة .. أمال كانت محطوة لصالحك بصرى .. هل قالت لك ذلك ؟
 قلت . لم نقل شيئا .

قال : جارك كلامي .. كذبت عليك .. وتلقى أمال هذه لم تعطك يدها ..
 بينما كانت كلها هي أحسن بصرى الناس مطاهر .. لنا أعرف ذلك تماما ..
 لا لم أفقد بصرى إلا منذ سبع سنوات .. لقد كنت أرى وألعب وأستمع ولكن
 حدث ما حدث .. مظهر كلها كذب .. وعيك أنك تصنع كل شيء .. صيب ..
 عبط . وحرى على إيه متشاهم ؟ عارف الشيخ نور الدين كان عاشقا للفت
 شيخ شيخ وطلب الزواج منها وهو صغير .. فرفضت طبعاً .. وضرته .. وكف
 صبرها .. ولكن الشيخ نور الدين أصاح للكثير من ماله عند قدمي شيخ شيخ ..
 ولا يزال يحميها . ويحب أن يكون بالقرب منها .. ولا يزال هو الذي يبنى لها
 بالزر والسكر والتوالج .. كل أسبوع وحياتك ..
 قلت مدهش : لا أصدق ..

فني : إني شاء الله ما صدقت .. لكن هذا هو الذي يحدث .. هل سألت نفسك
 ماذا الرجل صاحب البيت يصر ب روحته اليهودية .. لا تعرف .. هذا الرجل
 عجز جسيما .. وروحته هذه شريفة كريمة .. وهي تجمع الغفراء ونقم لهم
 الطعام لوجه الله .. وهو رجل بخيل .. وقد لجولي على غلوسها وأملكها ..
 وكل يوم يهددها بالطرود .. وأنا أعرف أنها سوف يهرب من مصر . أنا
 عزمي .. لعاداً لأني أواد « شولجان » الذي يسميه شولج من أفقرها .. وهو
 سوف يهرب .. ولكن لا أعرف متى .. ويوم تحدثت أنت ولينا جمال صبرها
 وصر ب جمال وطريقتها .. لأنه لا يحب أن يدخل بيته أحد .. وهذه السيدة قد
 نسجت هي ولينا من أربع سنوات .. فهي سيدة صالحة وهو رجل صغير
 شريد .. أنت متشدد جداً .. أصبح .. إليك أن سلام .. هل تعرف كاترينا ..

قلت : من هي ؟

قال : صديقة أُمِّي .. كانت معطوبة لصابط بونيس .. تركها ونروح
حاضمتها .. فما كالي منها إلا أن عاكست صابطاً آخر يكرهه .. ومرب تترج
هذا الصابط انتقاماً منه . فرف .. وأنا لا أعرف لماذا مصحت بك .. لا أنت
أحببت .. ولا خطبت ولا وعدت بالزواج .. ولا أي شيء .. ولا لمست
بدها .. وأنصحت لك بتكلم عن أحبيب حب شهنه المنصورة .. وبصراحة
أنت لم تجد أحداً يملك .. لا أهلك ولا أكتب .. هل من المعقول أن يحب
الإنسان امرأة .. المرأة لم يخلقها الله لأن يحبها . يا أخي ربنا يقول : ولقد
كرما بني آدم .. ولم يقل كرما بنت حواء .. ويقول إن كيدهم عظيم .. وقال
إن كيد الشيطان كالضعف .. ومعنى ذلك أن الرجل أضعف من الشيطان
والشيطان أضعف من المرأة .. وفي هذه الس تحب له وتقبل له .. يا شوح
بكاً فرف .. اسمع

- نعم ..

- أصبح وكلمني كريس .. هل قبلها ؟

- لا

- هل عاقتها ؟

- لا

- هل وعنتها بالزواج كده وكده ؟

- لا .

- هل اضطجعت بها .. اضعلت إنك نطرت في طوبة ثم القيت بصلك على

صخرها .. حركة يعني ؟

قلت : لا ..

قال : عندما أرادت الست شح شح أن تزوجها .. كنت لم أفسها .. ففعلت
والقيت بهمى عليها .. ووجدت أنها مجموعة سحذات وبطانية .. لحم وشحم
عظيم .. لو ألقت بهمى فوقى لكنت نهائى .. ورهصت للزواج بعد هذه
العملية . التي لم استخدم بها همى !

وبهصب .. وسجبت الشيخ دغليز هي طريق السمكة الجديدة المطلة
الباردة . وقال لي : لا تصدق عينيك .. كل ما تراه كذب .. للرجال يكذبون

والسقاء يكذب أكثر .. والمرأة عندما غريبة .. فهي طول عمرها محسوبة بالجرعة .. ولذلك فهي تمجد الرجل الذى تصوبه بالشيشب .. ثم تيكى لأنها لا تجد الرجل الذى لا يصوبها ولا يعذبها .. أقم نكلك .. أ ... ، اصربى قلما انشط فى .. اطردنى .. ألم يحدث .. لا ..

إن أنت لم تعطها فرصة لكى تتظاهر أملك بالكبرياء لكى تنلها وتعذبها ونحتقرها .. شج شج هذه الجبهة فى ليلة من ليلالى الأس .. وجنتها نيكى .. قلت لها : ملك .. قالت : ليس هى حيلتى رجل .. بشحط وينظر ويصرب ويطرود ويحمنى ألام كل ليلة ونموعى على خدى .. فعدت يدى إلى الأرض وأمسكت للشيشب ورجعت أصربها .. وهى تصرخ وأقول لك الحقيقة : تولاى العرب لأنها تسلط على لمسقى .. وهجأة وجنتها هجمت على يدى نفلها . من يومها وأنا أحتقر هذا الإنسان الذى لسمه المرأة .. أنا أعرف لك لى تأخذ بما أقول ولكن تذكر ذلك عندما تنهب إلى القاهرة . لا فرق بين بات المصورة وبات القاهرة .. فالمرأة واحدة ولئ تغيرت فضائيتها وشبابها .. لا تزعج إذا قلت لك : إنى كاهر .. ملحد .. وهذه قصة أخرى .. إذا جلسنا معا سوف أحدثك كيف أنسى كثرت بكل أحد ويكل شيء .. ليس الآن .

ولم بدر الشيخ تحليل له حزنى بحف وصحنى فى كل حائط وفى كل عمود نور .. ثم ألقى بي على الأرض وراح ينوسى بأفكاره الجريئة .. ثم يقلى بالطين على رأسى .. قلم أكى أنصور لى هذا الرجل ، الهجاس ، ثبته هذه الأصابع .. أو صده هذا العيس من المرأة ..

إن كل الناس يهرون حكائى - وهى ليست حكمة فلا هيأ شخصيات ولا فيها أحدث .. ولكن مشكلة كبرى أن يكون لأى إنسان هذا القصد من الأصفاء الذين يحبون الكلام ونقل الكلام .. إهم إناعة متعددة الموجات .. وكلهم يريد أن يكون مدرسا ومحليا وأديبا وشاعرا ومطربا . جميعا صباغتهم الكلام .. قراءة الكلام وكتابته وألؤه .. وأنا أحدث الوحيد الذى يستحق كل هذا الاهتمام .. أنا الطوبى التى سقطت فى هذه البحيرة الهائلة .. أنا الجنة التى طعت على سطح هذا المستنقع للركد .. محفل .. أنا بهذه الصفة ولكن لا أرى . وكذاب أيضا .. أى يرونى كذابا . فلا أحد ينصور أن حزنى هذا لأسباب كثيرة

نصبة عائلته اجتماعيه . فهم لا يجدون مجدا لهذا الحرث : فلما طُلب متفوق ..
 وأعيش مع أمي ، وأني حي .. وهي تطرحني إلى التلمعة .. ابن لا معنى
 للحرث .. فلما كان حرث أو أمي أو شجن غلبت هو هذه القصه العرابية .
 والحقيقة غير ذلك .. ولكن الناس لا يصدقون إلا ما يقع عليه عيونهم .. فهم
 إذن لا يعرفون الحقيقة . لأن الحقيقة ليست ما يرون . وليس عند الناس وقت
 لكي يبحثوا ويحللوا ويصفوا . ولذلك عائلتي طالمون وعيونهم مصللة . وليس
 بها من الناس أن يبحثوا عنى .. ولا أمي صاحب بطولات حارقة . ولا أنا
 قيس وهي ليلي .. وإنما الناس يسلون بظلم الناس ويفسحون الناس وبهيلة الناس
 وتشويه الناس . واستعمال الناس . فهم يعلموننى بشكل ، ويبحثون ورائى
 بشكل آخر . وأنا لا أصدق إلا الذى أرى . والذى أراه كتب . ولكنى
 أصدق .. معك حق يا شيخ دعليز . هو أين أنتك كل هذه الحكمة .. أنت الذى
 لا ترى وأنا الذى أرى ؟ وكيف أنك جاد هكذا وهارث فى نفس الوقت ..
 فلا الهزل حبيبك ولا الحد .. أو أنك هارث حقا حرث حقا . هي وقت الهزل
 منتهى المسعرة ، وهي ساعة الجد هي منتهى الصديق . ولكلك لا تعرف كم عدد
 السكاكين التى أعصبتها فى أملكى مختلفة من جسمى وعن نصي .. حتى .. أ ..
 هي الأخرى .. بسى لم أعد أرى وجهها .. فقط حشيتها .. التى هي لمر ..
 لا أعرف كيف أصعبها .. موسيقى من الإيقاع والإغراء والاتعاب والالتفات ..
 نمشى ونطير .. بعضها يمشى وبعضها ياتى يحاول الطيران .. نحب أن أراها
 داهية وأى أراها قلعة .. تسميت أن أفق هي منتصف دائرة وهي ثلث حولى
 حتى الموت . كرهت هذا أيضا . لما أنا أصبحت لأرى كل شيء بوضوح .. إلا
 هي .. أهنا هو الحب ؟؟

وفاجأتى الشيخ دعليز : إنه مجرم ذلك الذى اخترع كلمة الحب .. لا شيء
 اسمه الحب .. إنها لحظة جمود .. رجل يريد أن يبعد عنه . وامرأة تريد أن
 تلعب بهذا العقل . معمل مثل حضرتك بنوه .. بنوخ .. وبعد لعله ويقول
 لها : أحبك . ولكنها لا ترد مع أنها تموت عليك ومن أمثلك .. ولكنها تلعب
 حروفاً ومسخدمت فى كلامها معك كل الحروف إلا الحاء والباء . كيف
 لا أعرف .. من الذى علمها ؟ لا أعرف .. ونحن الرجال بمنتهى العبط لا نجد
 فى كل حروف اللغة إلا هذين الحرفين .. هل تعرف زوجتى .. أنت رأيتها ..

هي التي قلت لي : أفسك .. وبعد أسبوع من الزواج قلت : أنا أحبك لأنك
مرح فتي .. أي أنها أحببتني من باب التسلية .. طبعي هذا رجل أعشى ..
و لاحظ أنفاسي أنها تسرف في وضع الأبيض والأحمر .. ليس إذا كان زوجها
أعشى ؟ ومن شهر بعد الزواج قلت لي : إني أنا بمرود .. فلم أكد أتمكن منها
حتى بدأت أجزى من التبت .. فهل معقول أنني أنا أتمكن منها .. كيف .. نريد
.. تقول أنني أنا أقوى ، وأنها أضعف .. ولنا استطعت أن نستغل عطشها لكي
نر إيمانها .. كتب عليها .. وبعد سنة من الزواج قلت : أنني صحت عليها
حتى جعلتها تقول : أنها تحبني .. أي أنها لم تقل ذلك .. ولا وجدت سببا
معولا .. وإنما هي أرادت أن تمكنني فقالت إنها تحبني .. والآن أنت تعرف
البدى .. مع نسي لا سطر ولا مصعب ولا أي شيء .. ولا يوجد عدى لذة
وسيلة التصفيط عليها .. إن هي قتي مصطت على لكي تنزوجني ، وأنهمنى
أنها تنزوجني لأنى رجل طيب .. كله كذب .. أبدا حيلتك في محو بشكل
حر .. عفا الله عما سلف .. وكذلك لا رأيت بدات ولا جلست إليهم ولا تخيفت
ولا تميمت .. اهزب بعلتك .. اهزب يا سيدي .. اهزب يا حبيبي .. وسوف
جرب .. ولن أقول لك كيف تهرب .. وكل واحد له طريقته في الهرب ..
وسوف تهرب .. اذهب بي إلى بيتنا .. ربما لأحر مرة وسوف نصل قريباً
وسرعاً إلى شاء الله ..

قلت : وأين ستذهب بعد ذلك ؟

قال : أين ؟ إلى حيث بدأت .. إلى تذهب التبت شح شح .. هاها .. هاها ..
و دام بيته و جنت بعض الرماله في انتظارنا .. عريية ..
وقائوا معا : إنا في انتظاركم من ساعين ..

وقال الشيخ نعيم : أهو .. استنوه .. الآن أحس من أي وقت عصي ..
شده الله بعد الكلام للعارخ .. وإن شاء الله سوف يتم شعوره عندما يذهب إلى
شاهرة ولن يرى أحدا منكم يا كتابين يا أولاد الكذابين .. أسجروا كك أسجروا
ص رحت ا

وصحكوا .. وصحكت أنا بصورة عصبية .. وإذا الشيخ نعيم يقول :
.. الله .. أسمعها تلقى .. إصمك والى بالقوى .. الله .. إصمك
.. سيدي .. عدى لكم جميعاً معجزة كبرى .. عدا تجيتون وسول معا ..

وترتدون أحسن ملابسكم .. متعجأة كبرى .. أنا الذى سوف أفوتكم فيها
العميلان .. عدا ..

ما هى المتعجأة . لم يقل .. ولكنه كان جادا .. وانقربت منه أسأته فهمس
فى أذنى : لطفي السيد .. سنحلب إليه هى بيت أقاربه .. الساعة العاشرة
صباحا . 1

لطفي السيد ؟؟ لقد رارنا هذا الرجل الأعشى الأعرج الهجائن الجاد ،
المعتهر المتكسف الكافر الهلوس الذى لا يضى إلا شعرا جيدا .. وبكره النعة
العامية هى السماء .. أنا لا أصدق .. ولكنه يتظاهر بذلك .. فهو عندما يتسم
بانه يقول : عندما أقسم بالله فلنا لا تكذب .

إس كعب يفتى ما يكر به .. إنه هو الآخر يكذب .. ويريد أن يهرى
بصبي .. وهو قد وعد بأن يلتقى بالأمثك لطفي السيد ، الذى هو من أقاربه ،
وقد وفى بالوعد .. ورغم الهيصه والتوصي لفتى حوله والذى يردى ههنا كل
ليلة ، فهو لم يمس .. ورغم أننا نراه معظم الوقت ههنا لا نعلم من الذى كتمه
بالاتصال بلطفي السيد ونحدد موعد لنا قبل أن يرى الرجل الذى هو معجزة
الدقهلية منى على باننا مبارك .. وحسين هيكى باننا والشاعر على محمود طه
والشاعر الهمشوى ولم نكنوم ..

• • •

بيت له حنيفة على النيل . ومولانا الصمت والاحترام الحاصر لطفى السيد .
ولكن أحدا منا لا يعرف من هو بالمنبط لطفى السيد .. مانا كتب مانا قال .
ولماد هذا الاحترام العظيم له .. فكل حديث عنه يجب أن يكون بحساب
وباحترام بالغ .. همنما اقربنا من البيت .. وجننا بوابا جالسا على مقعد أمام
الباب .. اقربنا منه لم ينهس . قال له الشيخ دهليز أنه على موعد مع التيه
الكبير .. وقام البواب منكسلا وهو يزمتا جميعا بما لا سنحقه من الاحتقار ..
وطلب منا الشيخ دهليز أن نصف له البواب هصتك وقال : أعور ؟ ..

وإذا يدهليز بطلق كالمتقع : أنت يا ولد يا عبد الرمولى يا بواب يا أعور ..
تعالى .. إلى هذا البواب كل يعمل فى القهى المجاور لبيت لست شج شج ..
وهو يعرفى جيدا . وإلى كلى يتجاهلى الآن .. ولكن لابد أن يعرف مقامه ..
لايد ..

وجاء الباب . وقال : فصلوا في الصلوات بالنور الأرحم .. وسعادة الله
سوف يجيء إليكم بعد شرب القهوة ..
وقطعته دهليز : يا عبد الرسول ..
قال الباب : نعم ..

- طبعاً نعرف .. أنا الذي كنت أضع لك البقشيش .. تمام ؟
- تمام يا سيدنا الشيخ .
- كذاب .. أنت تعرف أنني لم أكن سيدنا الشيخ .. هل تعرف أن سعادة
الله يبقى ابن خالتي .
- أعرف ..

- هل تصب أن ترى سعادة الله وهو يقول بندي .. لا .. من صحيح .. هذا
عشر ، من عتدي .. هاهنا .. هاهنا ..

وجدت القهوة وجاء لطفي السيد . وقد ارتدى عباءة هـ : حجاب .
وصاحبها وعندما جاء الشيخ دهليز قال له : ولنت يا إيليز كيف حالك ..
لا تزال تسهر ونسهر ونعبر هؤلاء الأطفال .. أخرج من بينهم أبها
لشيطان .. كم عمره يا إيليز ..
لم يرد دهليز ..

قال لطفي السيد : أنت في سن عبد الكريم .. إن أنت في الثامنة والعشرين
آن .. ولي كنت تبدو أصغر من ذلك كثيراً .. قل لي آخر ما نظمت من
الشعر .

دهليز لا يرد .. لكن وجهه قد امتنع .. وجلس قبل أن يجلس وقبل أن
يطلب إليها أن تسريح ..

وقال لطفي السيد الذي بدأ شمعي لوجه مشدود المعالم يتحدث باللغة العربية
بطريقة غير مأثورة .. كان نحننا وكنته يحط في اجتماع سياسي كبير ..
كانه لا يرى أننا ستة أشخاص .. ستة طلبة جامعا للفرجة عليه ، لأنهم
لا يعرفون من هو .. وإنما فقط ليروا من هذه الشخصية العظيمة الاجترار في
بلدنا .. ولم يتكلم دهليز .. ويبدو أن لطفي السيد قد اعتاد أن يتكلم دون أن
يرفع ردا من أحد .. ولذلك لم يحرم على أن يطلب إلى دهليز أن يتكلم ..
ولابد أنه لا يعرفه جيدا .. فهو كالي يعرف أن دهليز غلبوى لأعشه هذا

الصمت . ولكنه لم يدهش إِنْ هو لا يعرفه هي جلسات الهلس والعربة ' وأخيراً تكلم : الصبا دول .. أَرَأَيْتُمْ أَنْ يجلسوا إِلَيْكَ قُلْ سهرهم إلى
الجمعة !!

ولا أعرف ولا أفكر شيئاً مما قاله لطفي السيد : قال كثيراً في موضوعات
شني .. ووجدتها هرة لكي أشرح وأستحضر أشياء كثيرة قالها دهليز .
ومما قلت ومما قال غبري .. هي الماصي البعيد وأخيراً وما قال والذي ..
وما قالت لُمي .. وما قلت .. أُر ما تعيلت لُمي قلت .

وراح الكلام ومعالقه .. وصداه . وتداخلت الصور .. ولم تبق إلا صورة
' مشيها ' بعيداً . وكلما لمحت عادت ووجدت للتلاشي .. فهي
لا تمضي إلا لكي تظهر .. ولا تظهر إلا لكي تختفي .. وكذلك كل الأصوات
والعبارات ونُبهات الضمر والموسيقى . وثقات الطبول .. وثورة الكمال
وتهاويح اللود ، وحفان الطلبة .. وشهقات الشيخ دهليز ..

انتهى .. ما الذي انتهى .. لا أعرف كل شيء انتهى .. المنصورة
انتهت .. المدرسة .. هي .. وأنا انتهيت .. وتحيلت لُمي أصعد فوق الكتب .
سلمة سلمة .. أصعد .. وعجأة أترحلقي ثم أقع من فوق .. طائراً
بعيداً .. كُنتي سحابة .. لا تعني ولا هوقى .. ولا أنا أي شيء .. انتهى ..
انتهيت !

وهي محطة مصر ووجدت والذي هي انتظاري .. لا أعرف ما الذي قاله ..
ولا أدري من شوارع القاهرة شيئاً .. ووقف للتاكسي أمام بيت ..
وقال والذي : حمد الله على السلامة .. نعلم للعنوان ٣٩ شارع شجرة
الدر ..

وانتمت لأحر شجرة در في حوالتى .. ولم أقل ، ولا هو قال شيئاً !



شجرة الدر : اخر العنقود

شجرة الدر آخر الفقد

لم أعد أجد كتاباً أفروء في المكتبة الماروقية ، ولذلك تحدثت كتباً معي . وجلست إلى جوار الباعة المطلة على النيل . ولأول مرة أنظر إلى النيل . مع أنه هناك كل يوم . ولكن بدأت أنقل عيني بين النيل والسماح .. وأضلت الكتاب اعتدت أن أطوى الكتاب . دون أن أفكر في شيء ، وأل أنظر إلى الجلسون معي في المكتبة . أكثرهم من طلبة المدارس . ولاحظت أنهم يتقنون الكتب بحرف . الورق في أيديهم يصرخ . أيديهم غليظة . الورق يتكرمش . إنهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع الكتب .. لماذا جامعا ؟

اقرب معي أمين المكتبة وسألني : مالك ؟

قلت : لا شيء .

قال : أنت لا تعجبني . أنت شخص آخر غير الذي عرفته . لا تفراً . لا نكلم . لم تعد الكتب الموجودة هنا تعجبك . صحيح أنك قرأت أكثر الكتب هنا . ولكن ما تزال هنا كتب تستحق القراءة . كتب نفيسة ولكنها قديمة .

ثم أشار إلى جانب من المكتبة . واتجهت عيني إلى حيث أشار . ولم أثنأ أن أقول له أن هذه الكتب عتيق في البيت . ولها من أحب الكتب إلى والدي . وأنسى قذات فيها كثيراً . ولكن لم أقدر على استعمالها .. حاولت ولكن لم أستطع إنها : التناوي للكبرى ، لاين نومة . إذا كان من الضروري أن أفقد على متعدد لكي تصنها أصابعي ، فإن عظمي يحتاج إلى سلام طويلة لكي يبلعها ويحيط بها . حاولت ويكيني هذه الآن .. ومن المؤكد أنني سوف أعود إليها عندما تكبر ..

ولكن الذي لاحظته أمين المكتبة صحيح . وأنا أيضاً قد لاحظت على نفسي أنني مريحان .. مأخوذ .. شيء ما يمسحني إلى مكان ما بعيد .. ما هو هذا الشيء . لا أعرف . هل هناك ما يصلقني ؟ هل هناك ما يشغلي ؟ لا شيء ؟

لا أحد . ولكنى غير قادر على التركيز .. عتلى مثل أصابع مشدودة معدونة ..
لا تمنع بشيء - بل كل شيء - بساطتوني أن أجد القدرة أو الرغبة فى المشي
به .

وتعلمت أن أنظر لنفسي فى المرآة . ومطرت وتوكرت عيناى على عيسى .
النظرة حريصة . الحين سائرة .. للمرآة على شفتى . الشعر قصير جدا . لأول
مرة ألاحظ ذلك . وأعود مرة أخرى أنظر إلى وجهى . شيء ما أعجبى فى
نظرتى . إنى أفكر . ويتكررت كيف بهرسى صورة الفيلسوف الأثينى هيجل .
للجبهة العالية واسعة . والراس كبير . والعيال وسعتان قد امتلأت بالكتب .
والشعاع مثلثان . حتى لثم يندو وكأنه هو الآخر قد امتلأ بكل ما فى الدنيا ..
ولم أر بغية جسم الفيلسوف ولكن هذا الذى رأيت يكفى .. ورأيت صورة الشاعر
الأثينى جيته .. وصورة للموسيقار بتهوفن .. وتداخلت كل هذه الصور ..
ولا أعرب ما هو الفرق بين كل هؤلاء .. ولا ما هى القيمة الحقيقية . وأل
أعرف عن الفيلسوف . والمثقل عن الشاعر ، ولم أستمع إلا مرة واحدة
للموسيقار .. وكان ذلك فى إحدى حفلات السيد هرش ووسط هذه التمايلة
اليهودية فى المصورة .. ولكن هذه الوجوه الرائعة تطل من كل الصفحات ..
حتى عندما نظرت إلى نفسي فى المرآة كنت أحاول أن أقتد أى واحد من
هؤلاء .. فكنت أضح عيني وأطبق تسمى وأندو كما لو كنت كبير الرأس معننى
القم . ولكن ليس عدى ما هو أكثر من ذلك ..

ولما قرأت ما كتبه فى مذكراتى التى أصدرت لها عنوانا عربيا عجيبا ، قال
لى القدر قل . فقلت ، ولا أدرى من أين جئت بهذا العنوان ولا بهذا العنوان
ولا بال يكون العنوان على هذا المستوى الرابع . ولو سألت نفسي فى ذلك
الوقت عن معنى القدر ، ما وجدت مبررا لذلك .

وقرأت فى المذكرات : لا أعرب أين أنير وجهى . لا أعرف أين أهدد
مسار عيني . لا أعرف ما الذى أقوله لزملاي لو قبلتهم . لم يعد عدى كلام .
ولا عندهم أيضا . هم يقولون ولا لا أسمع . هم يصحكون وأنا لا أرى سببا
لذلك . إذا ماروا تقدمتهم أو ملحت عنهم . كئسى لا أريد أن تكون هناك
علاقة .. أو إذا كانت علاقة ، فأنا حريص على تبديدها .. تمريرها ..
إعدادها .. لماذا ؟ كل شيء حمل : لسواهم .. وجوههم .. الطريق .

الباس .. للكتب .. كلامي عمل - تفكيري عمل .. للمرأة معلقة .. أو الوجه القدي
خطمى منها هيه إلحاح كثير - فقد رأيتك أمس ، وأول أمس .. ولا معنى لأن
أراه اليوم أو غدا .. عمل .. الدنيا معلقة .. هذه الكتابة .. هذا الورق هذا القلم ..
هذا الحبر ..

إن هذا هو الذى أصابنى بصورة والصحة : إنه المال !

عندما وجئتني محباجا إلى أن أعير الوجوه والطريق ومواعيد الخروج
والعودة إلى البيت ، ذهبت إلى حديقة ، شجرة للدر .. الخسفت الأتولى هي
عيني .. أوراق الشجر صغراء .. الأوراق أكف تتسول الاهتمام بها ..
الأعشاب على الأرض جافة . المقاعد صافت .. صغيرة تهتز عندما جلسنا
عسيها .. لم أجد شيئا من كل هذا الذى كنت أجدته قبل ذلك .. أين اللون الأحمر
وأين الأحمر والأصفر والأبيض .. وأين رقة السماء .. وأين القصة في
فرض العمر ..

شيء عجيب .. كأن العالم الخارجى ليست له قلوب . وأن هذه الأتولى
يخرج من عيوننا . فالسعيد يجعل الدنيا حوله سعيدة .. والشقى يجعلها كذلك .
والذى لا يستطيع شيد تفك الدنيا كلها هي جلته . أو نقط من عسيه أو تنهار
من أنديه . فالدنيا كلها تخرج منا وتتشكل وتتلون وتغرب وتبعد كما نريد .. فهذا
المقدس جلسنا عليه وكنت وسعيت . وتحيلت . وكان يتسع لثلاثة معا .. وضاق
بى وحدى .. شيء عجيب . والكتب التى كنت أجدتها من نعم هذه الحياة . لم
تعد من هذه الحياة ولا حنى لها حياة . وكنت أنا قلبها الذى يثق كل يوم ومنذ
سنوات .. فلا أنا قلبها ولا القلب يثق .. مرض أصاب الدنيا .. شلل .. ولكنه
أصاب نيمائى أنا .. هالباس كما هم . والرملاء يبيتون في بعض الموعد .
ويشربون معا ويساقضون ويضحكون . لم تتغير دنياهم . لأنهم لم يتغيروا . إنى
أنا مريض . ولزمت البيت ..

وجامسى الرملاء يضحكون واسعدت شيئا من الانعاش . وقال واحد منهم :
هل من المعقول أن تجلس بالأساعات أمام ملجأ الأطفال ثم تريد أن تكون سعيدا ؟
وكنت قد سبت تماما أسمى مررت بملجأ الأطفال . وتوقفت عدة طويلا
ورأيت السيارة تنقلهم وترميهم أمام الباب . وتهالوى الأيدي والأرجل تدفع
الأطفال إلى داخل الملجأ .

وجئت بهذا الملجأ معلما .. وظللت أياما أتردد على بابي . وأقف عنده .. وأرقبه من بعيد . فقد تصورت يوما أن السعيد من لا أب له ولا أم .. السعيد : طفل ولد في الطريق . وألقي به . ثم استندت يد رحيمته ونقلته إلى ملجأ . وكبر في الملجأ ليأكل لكل الناس . فربما منهم . فإذا خرج من الملجأ لمستطاع أن يختار لنفسه من يشاء من الإخوة والآباء والأمهات . لا شيء معروف عن عيبه . إذا تعذب فهو الذي اختار وإذا أسعدته الأيام فهو أيضا الذي احتار . وأما الذين يقومون بتربيته والعناية به فهم موطؤون . الأب مدرس والأم مدرسة . وإخوته كل الأطفال النشطاء .

إن ملجأ اللقطاء مثل ه مثل الورد .. فالورد يتقوى شجرته من الأرض إلى أوعية فخارية هي الممثل .. هي البيوت الصغيرة الزجاجية .. ويبدو الورد في الوعاء الفخاري .. ثم يتقوى إلى الحقيقة .. فهو ينقل من مكان إلى مكان .. كل يوم هو في أرض .. ليس مرتبطا بأرض ولا بأحد .. ويلقى العناية من الجميع .. إنه التقيط مثل الطيور في المراعي .. يتقونها من بيوت الفلاحين إلى حظائر الدواجن .. فالمحظائر أرحم كثيرا من البيوت .. والأوعية الفخارية أكثر حنانا وحفاوة من الأرض الناعسة .. .

ولكن لم أر المساعدة على زحف الأطفال ولم أفهم . ووجدت أنه لا بد أن ينلمهم أحد على هذه النعمة التي هم فيها ولا يعرفونها .. لا بد أن يكون من واجب المدرسة أن تقول لهؤلاء الأطفال .. أنهم لا ينتظرون عودة الأبيوشعاه الأم .. إنهم لا ينتظرون في الشوارع يبحثون عن النواء .. ولا يقفون أمام الأفواه يبحثون عن الحبر .. ثم إن أحدا لا يصر ولا يلح إذا تأخروا عن دفع الإيجار .. وعندما ينلم الواحد منهم فإنه يفرق في النوم .. فلا يسمع أهة مريض ولا سعال أطفال .. ويكون هذا المريض أباه أو أمه ويكون الطفل أياه .. إنه ليس مسئولاً عن أحد .. فكل الناس مسئولون عنه .. نعمة .

ولكن لم أشهد إلا الحرى في عيون الأطفال . وأنا أحب الأطفال . أو أحب أن أكون على مقربة منهم . هل لأنني لم أجد أطفالا في بيبي . هل إذا زارنا أطفال فالغزة قصيرة ؟ ربما .

ولابد أنني كنت سارحا تماما عندما استنكر أحد الرملاء أنني أتردد على ملجأ اللقطاء القريب ..

ثم قال زميل آخر : لقد رأيتك منذ أيام وقد وضعت ثورك الملبس على الأطفال أمام باب المدرسة .. من ذلك يقول أن الله أحمأ أو أحمأ .. هاها .. هاها ..
فعلا حدث . فقد طست أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى بعض التحلويات . واشترى بس . وذهبت . ولكن الأطفال حطوا الملبس . وكثفت أصابعهم مثل مدافير النجاش حطفت حبات الصمغ ونهروا نوى أن يبتو عليها المساعدة بذلك . ليسوا سعداء . ووجههم هى للحرر القنص . وعيونهم دموع جافة . والمترمون فى غيبة القصة . ووجههم مجرمة . وعيونهم كرايح لا الأطفال سعداء ولا المدرسات . ليس ملجأ . وإنما هو سجن للأطفال . وكل هؤلاء الأطفال محرومين . لابد أن ياتوا جرائمهم . مع أن الأطفال صعبة .

وتشاء المسددة وحدها أن أروى صديقا من أعباء المسورة . كبريا فى النس . أنيق الملبس . يميز ويندل فى ملبسه وقمصانه وكراغاته كل يوم كيف ؟ إنه كذلك . إنه خير بقية الناس .. وفى بيته وجنت إحدى المجلات لأنيية .. وكثت ووجنت مقالا لمسطفى صادق الرافعى عن عربة القضاة .. فقد رأى عربة تنقل القضاة إلى التلاليه .. وعربة يجرها حصانان . ولحصانان فى حوار حول هؤلاء الأطفال المسكين . وفرت مقاربة بين هذه العربة وعربة الكلاب .. وأنكر له وصفا لهؤلاء الأطفال فقال : بهم أولاد تجرأة على الله . وانمدى على الناس والاستعجاب بالشرائع . والاستهزاء بالمسائل . وهم لكراهية المارحة من الحب . والوقاحة الآنية من الخجل . والامتنان الصاغر عن القذلية .

وما أسدفته عندما قال : ليسم الأطفال يرجوه بتيمة !

وكرهت الأستاذ الرافعى فقد كان قلبها . ومن أدراه أنه ليس إننا خير شرعى . كيف عرف أنه ابن والديه ؟ من الذى قال له ذلك .. ومن هذا الذى على يقين من أنه إن حلال ؟ ثم ما نسب هؤلاء الأطفال ؟ .. إنهم صعبا .. ولكمهم بشر . مسكين . والذى ينظروهم فى الدنيا أكثر فسة وتعنسة من كل ذلك .. إنهم يعلمون كل يوم .. إننا لم نطرح فى إلقاء اللبص على المجرم فحبسنا لتقبل .. وكان التقبل طعنا ولم يكن يتقبلنا ولكننا نقولى قتله بالنظام كل يوم !
هو الذى أكرمتى ؟ ما الذى ضلصنى ما الذى أكرمتى ؟

فقط انهارت أملى - وانهارت بي أيضا : أفكار كثيرة كنت أقمتها في
الصمت وحدى . وهى أن أسعد الناس : للقطاء ..

وما دام اللقطاء ليسوا سعداء ، إن فلا سعادة هي هذه الدنيا ؟
وكان من بين الرملاء شاب لطيف رقيق . كلى أكثرنا هدوءا . أما أبوه فهو
خطيب مسجد الحسينية . وهو من أحب الناس إلى الناس . وأكثرهم فصاحة
وبلاغة . وكل صوتة قريباً علينا . وقتت للرميل : أريد أن ترى والدك وحدى ..
ممكس !

قال : طبعا . متى ؟

قلت : اليوم ..

قال : هل ترك الرملاء ؟

قلت : أرجوك ..

وهى الطريق سائلى : إن كان شيء قد أصاب والدتى .

قلت : لا شيء .

قال : والدك ؟

قلت : لا شيء .

قال : إن أنت تريد معه أن يقرأ لك سورة ، يس ، شعف عك الأثم . أو
يريد أن يكتبك لك حجابا ..

قلت : لا ..

قال : إن أنا عرفت .. وكل يودى أن نصحك . ولكن لم أنشأ أن أنحل
في شفتيك . تريد أن تشكو له ابنة أخيه ؟

قلت : مين ؟

قال : آ ..

ولم تكن أعرف ذلك . ولم يكن عدى سيف واحد فكى أشكوها . أو أشكو
أحدا من الناس .. عدى إحسان أسمى ، صعبت ، حساى مع النيب كلها .. فليس
لى حق العياء . لتنتهى . لاهى البيت ولاهى للشارع .. وكل صور السعدنة قد
انهارت أمام لقطاء .. ثم إنه ليس هناك أحد يعنيه لمرى ، ولا يعينى
أمره . كل الحبيوط تملحت . والأرض تحت قدمى بئر عميقة مطمئنه برده

وما أهبط .. فلا شيء أراه ولا شيء أسمع .. ولا أرض تحت قدمي ..
ولكني أهبط .. أهبط ..

هت عذري مشكلة أريد أن أعرف وفيه فيها ..

قال : مشكلة الشيخ صغير .. يريد أن يترك المدرسة وتحترف العماء ..
لا يؤمنني إذا كنت تحول أن أسلك .. بالطريق أماما طويلا ..
قلت : لا ..

قال - إن هل صحيح ما يقال من أن جمال ابن صاحب البيت يريد أن
يعمل معه في مكان للوريش .. مكان للوريش في شارع السكة الجديدة .. لي
أقربه يملكون هذا المكان وهو يتردد عليه بالنظام ..
قلت : لم أكن أعرف ذلك ..

وأعتقد أنه سأكون كثيرا ولكني لم أجد ما أقوله .. ووقفت أمام البيت ..
وقال : في الدور الرابع .. والسلام مطمئة ومثمنة ومكسرة .. ويجب أن يساند
على الجدران

وقد تولاني شعور غريب .. لي السلام هي أيضا بنز مقبوه .. إنني
أصدها نور وعي مني .. فأنا لا أصدق وإنما أنا أهبط .. وإن ممضي لحظات
حتى لقلب السلام ونكون بنرا .. وأهبطها على رأسي .. نوحه .. من المؤكد
سي دانيخ وأسي الذي أنور حول بصي .. أما الدنيا فهي على حالها ، مشكلة
مستقيمة عريضة .. وتساءف نشاطها اليومي كما هي .. ولكني .. نعم ولكني
ب الذي ارتبكت كل خيوطة . ونصصمت كل عتده .. وأصبحت مثل عكبوت
فرر كل هذا النسيج ثم سقط صحبة لكل ذلك . فأنا الذي أهرت خيوطة
وعتدها .. وتملقت فيها مشوقا .. وأنا الذي شفت بصي وأنا الذي أدبت بصي
وأنا الذي حكمت بإعدامي - منهي الظلم !

ووجدني أمام الشيخ محمود عبد الله أعطت خطباء المنصورة . وحده
وعد رتدي جنابا أبيض وطنفية بيضاء . وأهزب علاء قديمي إليه وهمس في
نيه فقال للشيخ محمود : تفصل يا إني أملا وسهلا .. أخرج أنت يا علاء !
حيرا يا إني .. كيف حال الأسرة الكريمة ؟

- الحمد لله يا أستاذ

- وصحتك

- الحمد لله .

- إن خير يا إني !

- لم أعد قادرا على القراءة يا أستاذ ..

- سدرج يا إني . أنا أيضا معزى لي لهم لا أضع كتاب . وأحاول ويكنى

لا أستطيع .. المعقل تعب . العين تعب .. العين تسد . قال رسول الله ﷺ :

« إن لعينك عليك حفا » ! أنا أعرف لك نورا كثيرا !

- ولا حتى كتب المدرسة .

- إنها جميعا كتب . كتب المدرسة وكتب المكتبة . ولكن منذ متى

يا وادي ؟

- منذ شهر ..

- هل سام حيدا ؟

- نعم .

- وماكل ؟

- نعم ..

- لم أعد أراه في المسجد ..

- صحيح . إني لا أذهب .

- لماذا ؟

- فالمسجد هو الآخر أصبح مثل الكتب .

- أه . أنت جئت مع الشيخ دهلير . إن هذا الرجل معقد . لقد كان خطيبا

للمسجد في نيمات . وطرده لأنه طلب من المصلين ألا يدخلوا المسجد لأنهم

جميعا كتابون مراهقون . وفي يوم وقف على باب المسجد . جعلنا ألى الذي كتب

أمن لا يدخل . وحاول منع الناس من الصلوة وخطبة الجمعة ثم

طرحوه ..

هلت : ولكنه لم يتغير يا بشي من ذلك . إنه يعني ونحن كنا نعنى وراءه .

ولم أعد أراه منذ شهر ..

قال إنه هو .. لنا أعرفه .. هو .. لا أحد سواه ذلك الشيطان اللعين
قلت . ولكنه ليس شيطاناً .. إنه رجل لطيف رقيق ..

وجاءت هاجين القرفة . وطلب منى أن تُدرب . وكنت القرفة مساعدة جداً
والسعى وصرت صرخة مكتومة . وصحك وقال : مدد هذه قلحطه من
«عرف عظم القرفة . فاللهي المنسوع لا يتنوق شيئاً . هما الذي لمسك
بـ وندى ؟ حتى لم يعد شيء طعم على لسانك . أهى .. ١ .. ٢ .. ٣ .. أنت صغير
وهي صغيرة يا وندى . وأفكار كما صغيرة .. والطريق أمامك طويل .
ولا تجعل على كتابك شيئاً الآن .. سوف تعمل الكثير على رأسك وقتك ..
العمل الشغبي يقول : عنها نعيم .. أى أبعد الأحمال من فوق المركب هكوب
حقيقة نعيم بسهولة .. والمثل حكيم . ولما لم أفكر في الزواج إلا بعد أن
سحرت في «أزهر» وإلا بعد أن استعرت الدنيا ثماماً . ولما تزوجت انحزرت
وحدة بحرف بالصيغ ما هي طيبه على . فزوجني زوجها إمام مسجد سينى
شمس الدين الشريبي .. وهي كريمة من أسرة كريمة . والحمد لله .

هل صحك لترجل . هل أغشى عليه . هل سقط من فوق المقعد . هل تحطم
محبس القرفة في يده هل جاءت زوجته هل جاء كل الأولاد ؟ هل تفتحت الأبواب
ورأيت كل الجيران حولي يصحكون عندما قلت له : يا أستاذ إن أريد من
حسرتك حزمة

قال : بكل سرور يا وندى .

قلت . أريد أن أرحل أى ملجأ للقطاة ؟

ووجدت نفسى أتعثر في الشارع علداً إلى البيت !

وهي اليوم أنفالى لحسنت بشيء من الإرتياح . فلم يقل التمتع محمود شيئاً .
ولكنه استقبلنى وحشياً وسألنى . وحاول . فما لم أقل شيئاً هنا لم أعرف ما هذا
مضى أشكو منه . وهو حاول . ولم يهتد إلى حل لأنه لا يعرف المشكلة .
يكفى أنه كان أباً .. أو هي لحظة كلى ليا .. وإذا كان قد أشجكه الذي قلت .
ولم أنه شيء مصحك . فهو لا يعرف التاريخ للتويل لهذا المعنى . ولا العناء

اليوم الذي أزيح عنه . ولكن لا أجد نفسي مسحاً . وإنما هي المعجزة التي
أصحبك . ولو جلس معي واستطعت أن أحكى له كل ما أكل مسحاً . بل لعله
يكنى .. كما يكنى للناس وهم يستمعون إلى خطبته في المسجد . إن الشيخ
ذهليز نفسه هو الذي لم يكف عن الصمت عندما قلت له : ومنذ لا تدخل
تغير .. انزى الملائكة كيف يحسبوننا ؟

فقال صاحبنا : أما أنا فلي يحسبني أحد .. إننا جاء الملائكة فصوروا أقول
أنا لا أعرفكم . أنا أعني .. فتجروا لي عيني ثم يحسبوني .. ولو هموا عيني
لهربت منهم هاها .. هاها .

وكانت أعجب بأفكار الشيخ ذهليز . فو علي الأصح كانت تعجبني فيه أنه
يوافقي على أفكارى . وكان يقول : والله ملجأ اللطفاء أحسن من القرب الذي
يعيشه مع الميت شح شح .. علي الأقل نعمتي وبرفص علي مرأنا .. ليس
بالعرة ولا بالكرياج والتعط والتطر .. تعرف أول أمر كل عدى معص
بمرفقي ومع ذلك كنت أعني : إفرح باقتني لأم كلنوم .. وعيت البهر
بمصفك ليه وأنا بارله انلح املا القلل .. والله حصل .. قرب .. مغزة .. يمكن
لأني أعني محتاج لمن يجر جرسى ها وهناك . ولكن أنت ما للذي
يجر جرك .. الدنيا واسعة أمامك .. إفضل ما بذالك .. فالملجأ للمعيا فقط !

قلت : ولكني لم أجد لرى

قال : إنهب لطبيب حيون !

قلت : ليس هذا ما أقصده

فقال صاحبنا : والله هذا ما أهتمه .. إليك تحدثت أعني عن جمال الدنيا .. أو
بها لم تعد جميله . فكيف تتغير رأبي .. فمن لا رؤية له لا رأى له !
معقول ولكنه ليس مريحا . وإن كان لم يرفص مثل هذه الأفكار الجبونية ..
ووجدت بالشيخ ذهليز علي باب بيتنا ..

وقال : قل لي أدخل ..

قلت : لتصل لأجل ..

قال : أين عرفتك ؟

قلت : تصل ..

قال : إقبل الباب .. أنت أعطيني فكرة كانت غائبة عني تمام .. وأنا جئت

مطلب مساعدتك بأى شكل . أنا تعبان مع زوجتي . وهي بعيثة . وهي بعيت
وأنا كما تعلم . وأريد أن أطلقها . لا بد . هي قد حصلت الكثير من مشاكل .
ولا بد أن تكون مبددة طيبة القلب . وإلا كيف بزوجتي مصيبة مثلي . اما الحنمة
التي اطلبها منك فهي أن تنهب مما إلى قريبك المحلى ..
فلت : لماذا ؟

قال : موضوع خالص ..

ودعيا معا . وفاتحه النبح بغير قتلا : يا صاحب السعادة .. جئت أطلب
حنمة إسمانية لرجل أعشى . الله يمشرك لا تصحني . أريد أن أرحل السجن .
فصحك المحلى كثيرا . وسأله : لماذا ؟

قال : لأنى فى سجن . كما ترى . ودعولى أى معجز لا يصعب لى شيئا
جديدا . ولكن فى داخل السجن سوب أهد حزيني . لا شغل . لا إكراه فى
العناء . لا بحث عن الطعام لا روجة من علك بالطعام وشراب والعبء
معا . الله يمشرك إسجنى أنا معى الآن قطعة حشيش . وأرجو أن تبعث
الحامد يطلب التوليس لإلقاء القبض على .. الله يحليك يا معلى اليه .. ربما
بكرمك كما أكرمنى . إذا لم يكن السجن .. إن أقدم لك بطلب آخر لى
وتقريبك هذا .. أخلص معا ملجأ للقضاء 1

وعندما عدت إلى البيت وجدت جنتى لأنى ..

وهي ملتحها كل للذى برهق الأعصاب . ولأبد أنها جاءت لأسباب
قهرية . فلما لا أراها كثيرا ولا أحب .. فهي طويلة عجيبة مشدودة العود ..
مشدودة الوجه رفقاء المصير . تنهاى بأنها فرسية لوربية . ثم أراها جالسة
قط . وإنما كانت دائما واقفة لأن الوقوف يعطياها هذا الشكل الذى يأمر ويهين
وبدوعد . وقد صرسي كثيرا . وتؤكد من حين إلى حين أنها على استعداد أن
تفعل ذلك لأى سبب .. دون وجل تؤكد هذه المعنى . وتون أن تلحظ
سحريتي منها ولستكاري لهذا الذى تقوله . ولا تسمع ما يقال لها من أنسى
كبرت .. وأنه ليس من شأنها أن يوجه لى نقدا أو توجيهها .

ولم تذكر لرائى حتى قالت : عندك إيه يا كلب ؟!

وكل الناس عندها كلاب صغيرة وكبيرة . وهي تدلل الناس بهذه الصفة .

لم يبعه الحبيب أنت فهي للإلهانة . ولكن الكتب دليل على المودة والرفقة والتلطف
ومح أبواب الكلام . هلت : لست كنا ؟

محاو لا أن أقبل باب الكلام . أو أي باب يمني وبنيها . ثم قالت : اليوم مسافر
معي إلى بيت جندك . لبصمة أيام لكي تعود كئيبا فويا وفي صحة جيدة وبذلا
من أن تبيع جندك فيبتك نعصها وتكفل ذراعها ..
أين ولذك ؟

آه . هذا هو للسكين العظيم ، الذي كانت تعتمد في قلبي ويحرج دائما ويترجح
عليه لتمدني في مكالي آخر .. من أجل ذلك كرهتها .. ولم أمتش في جدارتها
ولم أترجم عليها لحظة واحدة . ومن أجل ذلك كتبت أنني بالقراب والقي به في
جلك العظيم .. ومن أجل ذلك حاولت إشعال النار في ملابسها !

وفي القرية .. اتجهت إلى بيت صديق تركنا ودخل الأثر هو أما النور
فوجهه ، وأما الهدوء فكل جسمه . وأما الراحة والسعادة فهي كل الناس
حولها . كيف استطاع ذلك ؟ كيف صار هكذا مختلفا عا .. ثم إنه راض تمام
الرضا ..

قلت له : كيف .

قال : القرآن ..

قلت : أي شيء في القرآن ؟

قال : نحن حفظنا القرآن معا . ولكنني استعملت به أكثر وعلمت كيف أواصل
إلى كنوزه وكيف أحسني عليها وأحرص .. وأصلي وأصوم وأتوب .. هذه هي
السعادة الحقيقية .. وادع الله في كل الأهل .

وفي كل مرة أردت راحة وتفتح أمامي نوافذ الأمل .. شيء ما يصاء في
لدخلي .. أنساني .. لا أعرف ما هو ..

وخرجنا معا . ونحت شجرة على نرعة صليبا . وأخرج من كيس كتاب .
وقال سوف أقرأ لك :
وقرأ :

قَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا .. »
 وَقَالَ تَعَالَى : « وَشَلَّوْكُمْ بُشًى مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَبُشًى مِّنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ » .
 وَقَالَ تَعَالَى : « وَاصْبِرُوا لِلصَّيْرِ وَالصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ »
 وَقَالَ تَعَالَى : « وَلَيُؤْتِيَكُمْ جُنْدٍ نَّعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالتَّصَابِرِينَ »
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّهَوْرُ شُحْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى
 الْمَعِيرِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .
 وَالصَّلَاةُ : بَوْرٌ وَالصَّغْفَةُ : بَرْهَلٌ .. وَالصَّيْرُ : صَيَاءٌ ، وَالتَّغْرَانُ : حُجَّةٌ لَكَ وَ
 عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَعُدُّونَ : هَيَاتَ نَفْسٍ ، هَمَلْتُهَا أَوْ مَوْبِقِي ..
 وَقَالَ أَنَّى لِرَسُولٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ أُنْسًا هَلَّوْهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ .
 فَقَالَ لَهُمْ : مَا يَكُنْ مِنْ حَبِيرٍ ، هَلْ تُنَحِرُهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يَمْنَحْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ
 يَسْتَعِزْ يُمْنَحْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ . وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً حَبِيرٌ ، مِنْ
 التَّصَبُّرِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ لَمْ يَحْبِرْ وَلَيْسَ
 بِشَيْءٍ لِأَحَدٍ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، إِنْ أَسْأَلَهُ سِرَاءَ شُكْرٍ فَكَانَ حَبِيرًا لَهُ ، وَإِنْ أَسْأَلَهُ
 سِرَاءَ صَبْرٍ فَكَانَ خَبِيرًا لَهُ .

وَنَحْنُ نَقُولُ لِلْمُحْرَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَاتَّكَبَ
 سَاءً . فَقَالَ عَنْهُ السَّلَامُ : لَيْسَ عَلَيْكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ .
 فَلَمَّا مَاتَ قُلْتُ فَاطِمَةُ : يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبِّي دَعَاءَهُ . يَا أَبَتَاهُ جَمَّةُ الْغُرَبَاءِ
 مِمَّا هُوَ . يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَمَنَاءٌ .. فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
 مَطَابَاتُ أُنْعَمُ أَنْ دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْتَرَابُ ؟
 مَرَّ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمُجَاهِدِ هُوَ جَدُّ لِمَرْأَةٍ يُكْنَى فَطَالُهَا : إِنْغَى اللَّهُ
 وَاصْبِرِي . فَقَالَ : إِلَيْكَ عَيْشِي ، إِنَّكَ لَمْ تَنْصَبْ بِمَعْصِيَتِي .
 فَكُنْ لَهَا : إِنَّهُ النَّفْسُ ﷺ .

فَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَدَّ عَنْهُ حَرَّاسًا فَقَالَ لَهُ : ثُمَّ أَعْرَضَكَ .
 فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلصَّبْرِ عِنْدَ الصَّغْبَةِ الْأُولَى .

مَاتَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الطَّاعُونَ فَقَالَ كُنْ عَذَابًا يَبْعَثُهُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَهَبَسَ مِنْ عِنْدِ بَعِيعٍ
فِي الطَّاعُونَ - هَيَمَكْتُ فِي بَلَدِهِ صَبَارًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِيْبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ
لَهُ ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ ..

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا بَلَغْتَ عِدَّتِي فَهَبِرْ ، عَوَصَهُ
الْحَبَّةُ ..

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَرِيضًا - فَقِيلَ لَهُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ مَرِيضٌ وَعَكَا شَدِيدًا .
فَعَالَ : أَجَلٌ لِي أَوْعَكَ كَمَا يُوَعِّدُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ - هَبِيلٌ لَهُ ، ذَلِكَ أَلَى لَكَ أَجْرَيْنِ ؟
قَالَ : الرَّسُولُ أَجَلٌ لَكَ كَذَلِكَ - هَذَا مِنْ مَسْأَلَةِ يَصِيْبُهُ أُنْفَى شَوْكَةٍ مِنْ مَرَقِهَا -
إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنِ سَيِّئَاتِهِ وَحَطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لَا يَتَمَيِّزُ أَحَدُكُمْ لِمَوْتِ لَوْحِ أَصَابِهِ ، فَمَنْ كَانَ لِأَبَدٍ فَاعْمَلْ
فَهَلْ لَكَ : أَتَلْهُمُ أَحَدِي مَا كَانَتْ لِحَبَابَةِ حَيْرٍ أَلِي ، وَمَوْهِي إِذَا كَانَتْ ثَوَاقِفُ حَيْرٍ أَلِي .
ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ حَاطِبٌ إِلَى جِوَارِ
الْكُتَيْبَةِ فَتَقَالُوا : أَلَا نَدْعُو لَهَا ؟

قَالَ : فَكَانَ مِنْ هَلِكُمْ يَزُحِدُ الرَّجُلُ فِيهِمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيَجْعَلُ فِيهَا ..
ثُمَّ يُوْتَى بِالْمَشْرِ هَبِيعٌ عَلَى رَأْسِهِ - فَيَجْعَلُ يَصْبِرُ وَيَمْشُطُ بِشَاطِئِ الْحَبِيدِ
مَا تَوْبَ لَحْمِهِ وَعَظْمُهُ هَذَا بِصُورَةِ تِلْكَ عَنِ ذَنْبِهِ ، وَاللَّهُ لَنْ يَنْتَهِيَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى
يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَمَاءٍ إِلَى حَضَرِ مَوْتٍ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالتَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ .
وَلَكُمْكُمْ تَسْمَعُونَ !

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ نَسَمَهُ حَتَّى يَوَاقِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَقَالَ أَنَسُ : إِنَّ عَظِيمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظِيمِ الْإِثْلَامِ - وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا أَحَبَّ
فَوَمَا يَنْتَلَاهِم - هُوَ رَضِيَ لَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَحَطَ لَهُ السَّحَطُ ..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَنْ كَتَمَ غَيْظًا وَهُوَ فَاتِرٌ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَا اللَّهَ سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَتَّخِذَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ .
قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُ : لَا تَعْصِبْ .

وَمَنْ يَأْخُذْ الْعُرْوَاتِ قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلَانِهِ بَعْدَ أَنْ غُرِبَتْ

سمس : يا أيها الناس لا تنصروا لقاء العدو ، ولسألو الله العافية ، فإنا نجمعوهم
 نصبروا ، وأعلموا أن النجاة تحت ظلال الشجر
 ثم قال عليه السلام : اللهم يا منور الكنف ، ومجزي السحاب ، وهارم
 الآحزاب ، إفرهمهم ونصرونا عليهم ..

كم لمصيها من الوقت . لم تهر بشيء من العكان أو الزمان .. وبعنا كل
 لدى أنكره هي ذلك الوقت أن استردت الدنيا كل أولها . الزرع أحضر
 والأشجار .. والقفوات . واسطقت عطور من كل شيء . والعراشات كأنها
 ملائكة .. أو كأنها كلمات طائفة .. أو كأنها دعوات صالحة .. وهجاء طاهر
 لأطفال والأخبار والجواميس والأغنام . وكل شيء له لون وله صوت وله
 حجم .. وكل أصواء الدنيا انعكست على وجه رميلي للشبح نور الدين . كيف
 هرا .. كيف كان صوته .. كيف كل سحره .. هما الذي فعله كل ذلك بهنسي ..
 لقد أصبحت أحب وزرا .. أطول أعرض .. ووجدتني قد شئت ذراعي
 ومددت يدي . واقطع وأقطعت أعواد الترميم ولصقتها في فمي .. كأنني
 أريد أن أعيد الدنيا كلها إلى أصافي .. كأنني أستطيع أن أحنو كل شيء ..
 وكنت قد رحت ورحتني كل شيء ..
 نعم : لا تعصب ..

قلها رسول الله : لا تعصب من أحد .. لا تعصب على أحد .. لا تعصب
 من نفسك .. لا تكن حسبا عليها . لا تعصب .. لا تسخط لا ترفض .
 أمسك نفسك ، نعل الدنيا أمامك . إذا اسطقت العصب على نفسك ، ففدتها ،
 ولم تعد ما بعوضك عنها .. صدق رسول الله . ما أعظمه ما أحكمه . إن
 لابد أن أصالح نفسي على نفسي . فهذا هو .. وهذا قضاء وقدر . وهذا
 مستحسب . وهذا صعب . والطريق طويل .. ولابد من الصبر على الطريق
 وويلات الطريق . وأكثر ويلات الطريق : الناس !

وعندما بهنش لشبح نور الدين وهو يتسند على الشجرة قال :
 قیل لرسول الله : يا رسول الله من هو أكرم الناس ؟
 قال : أنقاهم .
 فقالوا : ليس من هذا نمائك ؟



سجرة الدر للأخرمة

سجوة الدر للاخرمة

مضى وقت طويل قبل أن يعصم الموكب في رأسى وفى أنسى وفى عيسى ..
وسدعت خطوط كثيرة كانت تربطنى بالآخرين .. ووجدتني وحدي مرة
أخرى .. ولكن أكثر عزلة من أى وقت .. ولعب وزنا وحركة وأميل إلى
المرح نور سبب وأصح .. ولكن شيئاً ما تقبلا كل هذا على رأسى .. كل هذا
فى فحصى .. كان هناك فى قلبي ..

فى الصباح الباكر دلت يوم وقفت على كرمى فى غرضي لأنظر إلى
الشارع .. لم أجد شارعاً .. إنها حارة صيقة .. وفى مواجهة البيت توجد
حربة .. وفى البيت المجاور وجدت هانة صغيرة تنظر هي الأخرى من
الدافعة .. وجدتني نصبتك .. طبعاً نمرضى وكنت أناعبها عندما كانت تنحب وفى
حجم الكرة .. وكما ندمت فى حملها إلى البيت .. إنها لتعوية الشارع كله ..
ولم أجدتها كما كنت أراها قبل ذلك ..

وخرجت من البيت .. وأمام الباب بطرت يميناً وشمالاً .. ثم إلى عناء
البيت .. إنها متأكدة منهارة .. وإلى منزل البيت إنه كتيب كالح .. والمسلم
سراء فتر .. ولم تكن قد رأيت ذلك بوصوح قبل ذلك ..

وقررت أن أنجبه يسيراً .. ولئى أمر أسلم بيت .. آ ... ، ولا أوفى .
ولا أحاول أن أستمع إلى شيء يجرى من لفافة . فلم تعد تهمنى : لا بينها
ولا صوبها ولا صورتها .. ولكن إذا كانت لا تهمنى فما لدى يجلنى هكنا
س جهنا خارقاً على نغادى تكرها .. ولا أرى أفاها وصديققتها .. ولكن
.. يجب أفعل ذلك ، فهي إذن ما تزال تهمنى .. نعم تهمنى . ولكن أقل من دى
هـ . فهل يا ترى لو رأيتها الآن .. هل تمرى الكهرياء هي جسمي .. وأجندى
سمرت إليها وسألها .. وانتظرت أن ترد .. أو أجهت إليها لكى أرميها بظرة
عب ثم لا أنطق بكلمة .. أو أسك يدنا وأقول لها : أنت فصحى ..

وقيل أن نرد مسوومه معنى ذلك لانه يقول : نعم أنت مصحنى فى
المنصورة كلها .. وأنت تعرفين السبب ؟

ولكن ماذا يحدث لو فُتت هى بل من الذى اصحبنى وأنت تعرف ماذا
جرى فى المعنى المسخرة الذى يطلبون عيه .. أنت هالك لماذا تتعمد أن
تسويه إلى سمعتك .. ما علاقتك بهؤلاء العاطلين الذين ينعون ويرقصون .
لماذا لا تتفرع لزوجك .. ما الذى أصابك ؟ بر الكذب ؟ أين الطسفة ؟ أين
ما كنت تعلم به ؟ كل ذلك يندد مع الطلبة والمعلم ؟ وأين ما كنت تقوله عن
المكان المسمى الذى يجنله وأنتك من حياتك * وبربى إلى أصفك بعد
ذلك ؟ .. إننى لم أصفك .. أنت كذبت خطبا وبعثت به ، وفراغ صديقتى ..
وهى مسودع أمرارى وهى حكمت كل ما هربا نصنفت أحرقات أقل
تحصلا وانتشرت قصدا فى البلد ولكن لا يلقى .. هالداى يعرفون أنك
جورل .. ويعرفون أننى على خلق .. ولم بحث ما أحجل معه ولا أنت
أبدا .. فأنى هى التصحبه ؟

أو فُتت : إننى الآن محطوبة فبعد عن طريقى ..

ووجدت أن الحوار فى دلخلى يدينى .. يتهمنى . واقتربت من بيتها
ودفعت الباب . وتصح ونخلت . لا أعرف كيف . وكنت هى التى يفتح الباب .
وقالت : أهلا . تعصل .

ونخلت وعيبت لعطشات . وعذب يقول : شكرا أن كنت متوقعة أنك
سوف نجيه نساء من صحة لما .. الحمد لله .. اليوم أحسن !

ولم أكن أعرف أن أمها مريضة . وإنما لما هربت أن أراها . والحقيقة أننى
لم أفرر وإنما صدر فرار من جهة ما فى جسمى ، فامنت يدي إلى الباب
تدفعه ..

الشيء الوحيد الذى يعبر هو أننى الآن أزلها بوضوح ، لم أعرفه من قبل ..
لا بهم أن اسفك نك البيت والصالون . ولكن هى ..

وإذا ارتكبت غلطة فى أول لحظه فقلت لها : يا فاطمة ..

فألت : الحمد لله فاطمة أحسن .. هى التى كنت مع لما . لما سقطت على
السلم . فتركناها أحنى فاطمة . وقد أصيبت بجروح بسيطة الحمد لله ..

الحمد لله .. إنها لم تنبه إلى نسي إعطأت . والعجيب حقاً أنني لا أعرف
هذا بهذا الاسم ، ولكن لابد أن رعه قوية هي داخلني أوفطنتني في هذا الحظاً
لكني أصعب مشكلة تنهني هذه العلاقة

دعني أصعبها لك . فلم أرها قبل اليوم بهذا الوضوح : سمراء حمرة ..
موسطة القصة .. ولكن في تكوينها عجائب العشاء فصلت أما بمنسجها
فدربصة مصبلة .. دعوة هجرة لكي يكون أكثر قوما . أما عيها . هوناولي
جعبتل لامعالي . مثلث غلغل .. سجان في رعدة دائمة . كأنهما
جانزبان .. كأنهما لإنسان آخر غيرها . ولدت بقوله نهماها بكرة عيها ..
و ندي نعد به إنسجتها الكريمة المسحية ، برفسه عيها العجائب الزائفة
المروعة . شيء عجيب . كل ذلك في وجه واحد . ولم تكن أعرف من في
رأسها كل هذه العجائب الحسابية المعقدة .. كل ذلك وأصبح في عيها .. ولها
سجة غريبة لا أعرف كيف أصعبها . حطوانها قصيرة : عصفورة على غص
بمائل . أما السافل فانوثة كامله .. السافل ملوغلل مستدير . وأما
خصره صغير . والعزام الذي يسمعه رائب ، بكت العين إلى هذه التفتة
جميلة .. وأما ما فوق خصره شيء آخر .. كأن نصعبها السطلي لامرأة
جميلة ، أما نصعبها العلوي فظفر كبير . فهي إذا مشيت باعنت ذراعيها عن
جسمها .. كأنهما جناحل وكأنها بهم أن نصير .. ولكن نصعبها السطلي يمارس
سلك .. فهي الإنسان الطائر وهي الصالح العاتف .. وإذا هي ذهبت بعيداً ،
فكأنها لا تريد ذلك ، وإذا جاءت فكأنها تريد ذلك . حيرة أن تعرف إلى من
سحبت إذا جلست معها . إلى هذه الدعوة . إلى إلقاء الدعوة إلى الإنسان ..
لتي يطائر إنها كثير : كانتات مختلفة في جسم واحد .

حمة الله على الشاعر الأعلم الذي قال عن محبوبته : كلماتها معدات
ومنها .. صبحكاتها شاعرات أستدقنيها عصبانها عواصف في هجالي ..
ولم أنشد من كل هذه الصفات إلا البحث عن معدات الكلمات .. عن الراحه
في الكلمات أو بسبب الكلمات .

قلت لها : كم من الوقت أستطيع أن أحلسها *
قلت : ما نشاء ..

قلت : عدى ما أقوله لك .. لآخر مرة ..

قلت : ولماذا آخر مرة ؟

قلت : نرحب لنسى سوف أنحل الجملة .

قلت : كلية الآداب .

قلت : قسم القطعة ..

قلت : إذن أنت اخترت ما هو مناسب لك تماما ..

قلت : نعم .. هل أستطيع أن أعيد حوارا قديما بصورة أخرى ..

قلت : لا بأس ..

قلت : نعلمين أنني أحببتك ؟

- لم تكن أعرف ذلك !

- قلت لك .

- ليس الاعتراف بالحب دليلا عليه .. فكثيرا ما افعل الإنسان ، فقال كلاما كثيرا ..

- نعم افعلت ، ولأزلت . فعلا أحبك .

- والآن ؟

- لا أعرف .

- ولنا الآن مثلك تماما لا أعرف . أنا بدأت هذه العلاقة بأنسى لا أعرف

مشاعري ، ولست على يقين من مشاعرك . وأنت بدأت على يقين من

مشاعرك ، وانتهت بذلك لا تعرف . إذن نحن في ذلك سواء .. مع فارق

واحد . إنك مادم على ما كنت ، ولنا لست مادمة على ما لم يكن !

- من علمك هذه الحكمة ؟

- لست لذي قلت أن المرأة تصبح أسرع من الرجل . وتترك أوصح . ثم

لها رغم دموعها ، أكثر واقعية من الرجل الذي لا يبكي شيء أو من شيء ..

قلت : وما الذي جعلك هكذا حاتمة .. هذا القلوب الأريب هي عيبك .. من

أين جاءك كل ذلك ..

- ما سمعت في أسرتي وما حدث لصديقتي .

- ولكمك لست حاتمة راضية .. وإما أنت ترعنين وترهشنين في وقت

واحد .. إنسانية تدعو ، ونظرة برهتن .. بذلك هي يدي تصب على أصابعي

« هي ترتجف .. فهي لا ترفض يدى وتكفيها ترتجف بسبب ذلك .. إنسى لكاد سمعتك ترتجعين .. أكاد أسمع الجنب والتمد هي أفكارك .. مشيتك نفسها ..
 حصةك العلوى بسحب بصعك المظلى .. والنصف السفلى بقومه لا يبقى به ..
 ولكن تعايش النصفان معا .. كما تتعايش إيتسامتك العريضة ، وشكوكك الرهيبة
 هي عيبك .. أقول لك حاجة .. أريدك أن تنصوري سائقا ركب سيارة : وراح
 ينوس البنزين والفرامل هي وقت واحد . فالسيارة تحترق ، ولكن الفرامل
 تمنعها من التقدم شبرا واحدا .. أنت هذه السيارة .. أنت الموتور الصارخ
 والفرامل الصنعية .. أقول لك حاجة أخرى .. أنت مثل أهل الإسكندرية .. إيهم
 بديور بيوتهم من الجانيب .. وأنت تعايش أن يقترب منك أحد ، خوفا من أن
 تزدى أعباسه الحارقة وأعباسك إلى نزويب الجليد هيهنا البيت فوقك .. أقول
 لك حاجة أيضا : أنت مثل حيولى القعد .. لا تريدن للضاحك الأخرى أن تقترب
 منك حتى لا تعرض الأثراك بعصها في بعض .. أقول حاجة أخيرة : أنت
 هذا القعد ولكنك نزعيت جلنك ولزنتك هذا الجلد بالمقلوب .. فالتنميس
 الخارجى باهم مثل إيتسامتك ، ولكن للشوك مثل بطرارك قد تعرض في لحملك
 فأنت ترتجعين في صحت .. أنظري إلى عيبك هي المرأة ..

قالت : وعنى ماذا ؟

قلت : يعنى أنك معيبة ولذلك لا يضاهيك أن نعدى الآخرين .. بل أنت
 ناعمدين تعذيب الآخرين ..

قالت : أنت مثلا ؟

قلت : خطيبك اليوم وروحك غدا ولولائك بعد غد ..

قالت : أشكرك على هذه التسمية سوف أخرج على إسماعيل جميعا ،
 والاكتفاء بعداي قصى ..

قلت : لا أستبعد ذلك .. فأنت سوف تقومين بنص الدور ، ولكن على نحو
 آخر .. سوف تكونين الشجرة التي تحرقها الشمس .. ولكنها سوف تعمل هذا
 العذاب ما دام الجميع يعمون بظلمها للولاء ..

قالت : هذا صحيح .. ولكنك لم تكن نصلح أن تكون زوجا .

قلت : ولماذا ؟

قالت : أنا لا أحب الرجل الذى يتغلى في غيره من الناس وينمى بصره ..

لا تعصب منى .. إبني رأيتك قد تعبدت تماما في حبك لأنك هذ خلق
 عظيم .. ولكن لا أحب الرجل الذي يسمى بعبه . ولا أحب الرجل
 المصاوغ .. أحب الرجل للمعكر . أحب المعزور .. فابت أشهر ظلمة في
 المدرسة .. وأول كل الشهادات .. ولكن عندما التقيت بك كنت أمتوصحك إذا
 كان هذا صحيحا . فكنت تقول : إنه صحيح .. ولكن صوتك وطريقك ولدت
 تقول لك : كأنك تعبد عنه .. لا أحب ذلك .. ولا تعصب منى ولا أحب
 الرجل الفجول . أحب الحري .. الذي يفعل أي شيء . وبعد ذلك يفكر
 فيما حدث .. أن يعترف عنه . أو لا يعترف مطلقا
 قلت : هل تعرفين أنني لم أكن أعرف أن شيئا قد أصاب ولديك لقد فرت
 أن أراك . ولهذا جئت .
 قالت : أحب هذا ..

قلت : ولم يحضر على بالي أن أرافقك ولا أن أسألك عن التعب . كل ذلك
 خطر ببالي الآن .. وإنما جئت أستخرج كئيبى .. عشرون كتابا . أريدها الآن
 عورا هل سعى إلى القاهرة .. وأرجو أن تكون بطيعة كما كانت .. ألا تريد
 أنسى مختلف تماما .. أنسى شخص آخر غير الذي عرفت من قبل . هل
 أشكرك .. هل أشكر الشيخ تلميذ .. هل أشكر بور الدين .. هل أومن همتي
 وبدي والذي الذي جامعي منه خطاب طويل بهتني بهجائي ويسمي مريدا من
 السجاح ويدعوني أن أسافر إلى القاهرة وحدي بعض الوقت قبل أن تلحق بي
 والذين وإخواني .. تعبدت الدنيا هجاء .. حتى أتت تعبدت في عيني ..
 قلت : أنا تغيرت .. هل تراني فبيحة .. هل حاب أمك .. هل كان يصعب
 أن نبقي معا .. وأن نتزوج فيما بعد .. أرجوك تقول لي : كيف أبدو الآن ..
 وكيف كنت أبدو قبل ذلك .. هل تعرف أنك لم تقل كلمة واحدة . إني كنت
 ألاحظ أن عيبك تكرر مرة على شحني ومرة على عيني ومرة أصابعي ..
 ومرة أجنك تتابعني بنظر لك عندما أتركك .. وكنت أتمنى أن أسمع منك كلمة
 واحدة عن هذه الإحساسات .. ولكنك لم تقل كلمة .. ويوم قلت لي : أن صوتي
 كله أنوثة وأن بهرات صوتي أصابع ورموش .. كلها تداعبك وتدعديك وتشيرك
 وتحرك مزاجك ، لم أكن تلك القليلة .. فلم أسمع كلاما أعني وأجمل وأصدق
 وأقوى من هذه المعاني . ونوقشت منك أن تقول شعرا .. ولكنك لم تفعل .

ما الذى صدك ؟ ما الذى أسكتك ؟ ما الذى صممت ؟ إن حدث شيء ما جعل
 صبورنى تتعير وتتبدل فى عييك .. ماذا حدث قل لى .. لآخر مرة !
 ولم أجد ما أقوله .. ولكن تنظت عيناى بين السجلجد اتنى بدت سمعة ..
 وحدثاتها القديم .. الذى حلمته وهى جالسة معى .. هطير قدامها وأطأها ..
 وتراب أو طين هنا وهناك .. ورأيت ذيل فستانها قد خرجت منه حيوط .. ثم
 إنها لا تمتطع أن تصع ساقا على ساق .. هسلقاها ممتلئلى جدا .. وهزرت
 كتفى عندما لاحظت أنها بسرعة قد مسحت نعمة من عييك .. ورأيت أن
 وجهها جميل .. وشعرها جميلتان وعينها أيضا .. وعقها مستدير ممدود ..
 وأيديها صغيرتان .. وثراعيها مثابقتان .. وخصرها صغير .. ولكن هى
 استطاعت أن تصع ساقا على ساق .. فالبطل هو الذى جعل ساقها يندون
 كما رأيت .. ثم إن هذا ما ليس لذيما .. إن لونه بى .. وقميصها وردبناى ..
 فالكرب ولا طين .. وهذه البقع فى السجلجد ليست إلا ورونا دلكنة ..
 وبهتت ثلثى بالكتب ورأيت لكاتبى الحرفى الذى يصفه بلسلى وصفه طائر ..
 وجاءت وقد أسندت للكتب إلى صدرها .. إلى حيث تمنيت يوما أن أجد
 زلسى .. أن أجد نفسى .. أن أجد حياتى كلها .. وكنت صغيرا لا أعرف ..
 ولا أفهم .. أسفر منها كثيرا .. فهى أكثر ونفسية وأروع فى الحساب وأنكى ..
 شكرا على أنها أفضت الباب والواحد والطريق فى وجه لقلب الرومانسى
 السادج ..

ومدنت يدى .. وحملت للكتب .. وهزرت رأسى خارجا فقالت :
 ولا كلمة ..

قلت : شكرا ..

قالت : هذا كل ما صدك ..

قلت : أشوكة بخير فى مصر ..

قالت : وإذا كنت أريد أن أراك ؟

قلت : تعالى ..

قالت : سوف أعمل ..

وتشملت طول الطريق إلى البيت بأنى قلت لها : تعالى .. ولم أحتد لها
 بى نجي .. فى شجرة الكدر .. ألبم المكتبة .. فى بيتنا .. فى مصر ..

ولصحت فني أخف وزنا .. ولنتي استطعت أن أسكت أصواتا كثيرة هي أعماقي .. فنتهى .. لو يجب أن ينتهى هذا .. الحب .. أو ما توهمت أنه الحب ..

وعرفت فيما بعد أن الكلمة التي قلها صديقي جمال .. وهو يصف خلقتي للنسبة والجسمية قد جاءت في التوراة .. هي سحر ، نشيد الإنشاد ، .. قال لي : أنت مريض جداً !

فملا مريض . ومريض لا أعرف مكانه . إنها صاعقة أخذتني . إنها عاصفة صدمتني . إنها أمواج صدمتني .. ولكن أنا الذي لا خبرة لي بالسباحة ، نزلت للمصيط ووضعت رأسي تحتها .. وهي التي تعرف السباحة ، كانت حريصة علي أن يظل رأسي فوق الماء ..

هل هي جميلة حقاً ؟ نعم . هل سلحرة حقاً ؟ نعم . هل مشغول بها ؟ نعم .. غارق .. هل أنا مهوم القلب موجوع القخطوات ؟ نعم .. هل هي تدرى ؟ نعم .. هل يهمها الأمر ؟ يهمها ولكنها لا تريد .. أو تريد ولكنها تخاف . لأنها سيئة الظن . وهي سيئة الظن لأنها لا تثق في أحد . وهي لا تثق في أحد لأنها لا تريد أن تهرب . لا تريد أن تكون طرفة في قصة . في مشكلة .. ولذلك فطمت ذراعيها حتى لا تصافح ولا تتماق .. احضنت علي إنسانيتها للقيام بنزوير كل هذه المشاعر .. فلما نظرت إلى إنسانيتها وإلى عيبها معا ، كانت النوخة من نصيبك .. فلما نحت هربت منك .. لأنها لا تريد أن تشاركك أو يشاركها أحد .

وعندما جاءت إلى بيتنا لزيارة أسي .. تحدثت غرقى . وطلبت إليها أن تجلس علي مقعدى . وأجلس أنا علي المكتب . وقلت : لا أعرف أين رأيت هذه الصورة .

فألت : أية صورة ..

قلت : أن أجلس هنا ونجلس أنت هناك .. فكرت فبك أسي .. وفي خطبك وصحبتك نفسى شامتاً هكذا ..

فألت : تشمتت هنا . لماذا ؟

قلت : سوف تكونان معا أنفس زوجين . أقول لك لماذا ؟ أنت جميلة جداً ..

وهو غنى جدا .. نموذجان للتسلية وسوء الاختيار .. لكل امرأة جميلة محرومة من حب الناس .. قليلين يقتربون منها لجمالها .. لا لشخصها أو أفكارها .. أو إنسانيتها .. وكل رجل غنى محروم من الأستقاء .. الناس يقتربون منه لطووسه .. فهو محروم من الصديق الذى يريد له نصيبه .. وهو لن يصدقك .. فأنت أيضا تريد له لطووسه .. وأنت لن تصدقه فهو اختارك لجمالك .. لبشرتك .. لا بشخصك لثمنك . لهذا الذى يراه كل الناس .. هذا حطبك قبل أن يمرضك .. ووافقت قبل أن يمرضه . فالتقى لكذب فى لحظة واحدة .. وغدا فى فراش واحد ..

وكلام آخر قلته .. وردت هى عليه .. فهل كنت صادقاً فيما أقول .. هل أردت أن أفرش طريقها بالشوك .. هل أردت أن أرجعها كما أرجعتى .. هل أنا خائف عليها .. عليها .. إنتهى ما قلت .. ولم يبق إلا كلمات وعناق وقيلات لأصدقائه .

• • •

ومضى وقت طويل .. وكل شيء يمسى بهبه .. فقد لزمنا البيت والعرائش وعرفنى وأفكارى .. أعلم نغس وكفى لكى أفسد من المنصورة .. من مطولة والشهاب .. والصبرة والذوخة والسذاجة .. ولتجه إلى المدينة للكبرى القاهرة .. وأجندى أرزق التمهيس والبسطون والجاكت كئسى أولجه عاصفة .. فأنا أحتصر فى حركتى .. وفى كلمتى .. وأحتصر فى الكتب والملابس التى سأحدها معى إلى القاهرة .. وكئسى أريد أن أتمال من المنصورة . حتى لا يراى أمد .. كئسى ارتكبت جريمة .. وأغشى أن أفرح حولها لمصطنعى الناس .. أو كئسى لكراهة أن أبدو خلعا .. أو أن يرى أمد نردقى .. أو أن تكشف هى ، نغس مريض حيا ..

وقد سمعت كل حركتى بالتطرف .. فلما ألتفت خارجا ودلجلا .. ألتفت إلى الرفس وأندفع إلى القبول .. خوفا من أن أتردد .. وبعد أن كنت قد قررت أن أساهر فى أقرب وقت ، قررت البقاء وقتا أطول . ما الذى ألتفه بهذا الوقت ؟ لا شيء .

وألم البيت نظرت فى كل الاتجاهات كئسى أبحث عن وجهة . ثم ألتفت .

وكانت الدنيا مظلمة والشوارع صوفة . والأرض قد بللها الماء والوحل .
وتعثرت وسقطت أمام بيتها . وتسلفت على الباب . فأحدثت صوتا . وسارعت
حتى لا تصور أنسى تمتعت ذلك إنارة لاهتمامها أو لشفقتها . ووصلت شارع
المسكة الجديدة .. وتجهت إلى شارع صغير .. ثم إلى الشارع الكبير .. وعند
النهاية يوجد مقهى .. وتجهت إلى المكان الذى أعرفه .. إلى ما وراء المقهى .
مفاجأة .

لقد وجدت الزملاء . والتشيخ دهليز .. وأعجب من كل ذلك . رملى الشيخ
مور للدين .. ونحن نلظر المدرسة ومدرس الألعاب الرياضية ..

وبادانى الشيخ دهليز : تعالى يا سدى .. تعالى .. يا خيبة الأمل بندى
يا حبيبى .. تعالى إلى جوار عمك الذى هو الحبة الكبرى .. يا عذلية ..
يا بنت يا عذلية .. تعالى ..

وجاءت عذلية .. إنها رافضة صغيرة .. رغبة جميلة الوجه .. فصورة
القامة ..

وبادى الشيخ دهليز : يا مور .. تعالى يا حبيبى ..

مور الدين ؟ .. الشيخ نور الدين هما ؟ .. رجل التقى والوزع فى هذا
المكان .. وسوف يبنى .. لقد ارتبكت أشياء كثيرة فى رأسى ..

وجلسنا ساهما غلبا . وكان الشيخ دهليز بحبويته وخفة دمه .. وملامحه
الواسعة المتناهرة الأثوان .. يفرج من جيبه رجاجة يشرب منها الذى
لا أعرف بالصبيط . وراح يزحف ويقول : ليه يا سى نور مادا تريد أن أعشى ..
أنا أقول لك .. تحب أعشى لك روحى وروحك .. آه .. وهو كذلك ..

قال الشيخ دهليز وظهرت الطبول والشاي والورد فى ليدى أناس جاؤوا من
داخل المقهى ..

وهجأة وجدتهم معا يقولون :

قل لى يابنا ع القسمة : معه

بدمتك ده وش ولا فقا .. فقا

قل لى يا بناع الجغرافية ..

بدمتك ده شعر ولا قاهرة ..

وكل الشيخ نور الدين أعلام صونا .. وانتمجت أد أيسا .. ورحت أفول
وأقول ..

وتعبرت المقاعد والكلكت تحتنا .. فهي قديمة مكسرة .. تم هبطا .. وجلسا
على الحصير .. على الأرض .. وألقوا علينا الباب ..

وارتفع صوت الشيخ نور الدين يقول في هتفه ووقار :

روحي وروحك مضمومتان في جسد

يا من رأى جسدا قد ضم جسدين

ويا معرك عينية ليقتنى

إني أحاف عليك العين .. من عيني !

أحاف عليك العين .. أحاف

من عيني .. آه من عيني !

وكن صوت الشيخ نور الدين جميلا محترما .. فهو إن رجل يحب للشعر
ويحب الطرب . ولا يشركه فيما هو أكثر من ذلك ..

وكأنه عرب ما لدى أريد أن أقوله فقال : إني أعرف الشيخ دهليز من وقت
طويل . ولولاه ما اجنزت المصائب التي مررت بها .. صموح أنه هو شفيعا
عنده مصائب ولا يعرف كيف يحلص منها .. ولكننا نساعده بكل ما يحتاج إليه
من فوس وطعام وملابس .. إنه شخصية فريدة .. ليس له مثيل ..

وارتفع صوت الشيخ دهليز : دهومي أضي أنا .. تحب ملنا يا شيخ نور
الدين .. يا من كنه نور لا أراه ، ودين لا أعرفه .. هاها .. هاها .. أبوه
يا سيدي .. تعالى يا حبيبي ها يا حنلة .. التموين .. القرارة .. لم تد بها
قطرة .. ياود رهيزي .. القرارة ... يا ولد .. أعني يا سيدي .. هذه الأغنيات
توجع القلب والله .. للشاعر يريد أن يقول للمحبوبة .. إنها تركت أثرا ملهرا
في أربعة مواضع من جسمه .. لي أقول لكم .. عروها انتم .. يا الله يا سيدي
سمعتي الطيلة .. آه سمعتي الرق .. آه .. اسحروني بالأي .. آه .. عطشني على
العود .. آه يا سيدي .. تعال فت يا قيس .. (يقصدي) ها .. إني جولي ..
إسمع وإسمع .. إسمع علك الشيخ دهليز طيب الله ثراه ..

وفى أربع منى خلت منك أربع معانها : هي أربع معاني منى أنا ، وجدت
حللت حلوة فيها هي ..

وفى أربع منى خلت منك أربع
ها أنا أدري فيها حاج لى كبرى

أوجهك هي عيسى ؟ أم الربيع في فسي ؟
لم تطلق في معنى لم الحب في فسي .

وبصرخ : وفى أربع منى .. أه .. وأربع منك أه .. أوجهك ؟ .. أه ..
أربعك ؟ أه .. ألسونك أه .. أجهك أه .. حليك معانها .. إسمع .. يا سيدى ..

إحلق بهندك العذارا

أه عيسى إكشف وجهك .. حليك على راحتك .. أه

إحلق بهندك العذارا

ودع قنمك والوقرا

إحلق ..

فلقد بنيت بمسبة

ما أن يرون العار حارا

أه ..

لا مسلمين ولا يهود ..

ولا مجوس ولا نصارى !

إحلق ..

أه .. تعالى عدى ها .. ومعنى للتريكة على الآخر .. تعالى بالقوى ..

أرجع .. أقتل .. إنهج . معانها يا شيخ نور .. معانها والتبني ساعدنى على

بلونى .. قول يا حبيبى قول .. الله يكرمك .. قول خليك معانها .. معيك من

الصيال دول .. يكره يديهم فخرى بالجزمة .. يمكن بعدما نخلص الجزم كلها ،

يكره يديهم الرمح بالبرملوشة .. تعالى لى .. قول يا حبيبى

إن الزمان زمان و هو ...

وجميع هذا الخلق يو ..

أى زمان سوء .. والخلق يؤس ..

إلى الزمان زمان مو
 وجميع هذا الخلق يو
 وإذا سألتهم ندى .
 فجوأهم عن ذلك هو ..
 لو يملكون الصوت بحلا
 لم يكن للخلق صو ..
 ذهب الفكر لم بأسرهم ..
 وبقي لما : ليت ولو

آه يا سدى آه .. يا ميلة بحتك يا دهلير .. بين السود والبيض والصود
 والهو ..

ووجدت الشيوخ نور الدين يشاهل في شوة .. ولكنه لم يفعل أكثر من الوقوف
 والاهترار ثم راح يمد كل أغصن قنوخ دهلير مع شرح للمقامات الموسيقية .
 وشرح لهذه الأبيات .. ورفض كل الأعيان فلهس الخلق كان في نية الشيوخ
 دهلير أن يفتنهم مع القرافسة الصغيرة في تلك الليلة ..

مفاجأة أخرى لقد وجدت ابن ماطر المدرسة . إنه أصيب مما نصورت .
 وأكثر أنها وأكثر انسجاما . وهمس في أذني فتلا : ولدي يرياني أن أدخل
 كلية الهندسة .. أبدا وحياتك .. سوف أتعلم الموسيقى والطرب .. أبي غنى
 وأمي غنية ولنا أبحث نفسي عن الوظيفة لماذا ؟ وقد انتفت مع ولدي على
 ذلك .. ولقد تركت ولدي وتزوجت رجلا آخر .. وهي لا تعب أبي ..
 مشرب ؟

قلت : أشرب ماذا ؟

قال مشربا إلى القرافة في يد الشيوخ دهلير قلت : لا . أشكره .. لا أشرب
 قال : إلى متى ؟
 قلت : لا لأشرب .

قال مضمورا : حداديا على وآ .. لقد رأيتها من يوسى في فرح ..
 حرموها ورفضت أحسن من العراق .. وأنت حزين عليها .. يا حويا ..
 سييك !

قلت : كل القبات ترفض .. ملبهسي !

وہاں صابھی سٹک واہرہہ من الشیخ شعلیر اکثر .. وھمیت ہی نہ
 فرید ل اسمعک و شیخ شعلیر
 قال نعمد علی السلاخہ ایں کتب لا اسکب اللہ ک صونا نعل
 حب عمک نعل .. روح فلی تاهریں السفر ہ نعلی یہ نور النبی
 من لآری



اللهم ارحمنا من فولتير

اللملم اصنى من فولتير

كالأطفال للصغار ، إذا عرفها اسما جديدا أو تعبيراً عربياً ، فإننا نكرره
بمناخية ومن غير مناسبة ..

لا أعرف متى وضعت عيني على اسم فولتير .. فقد كنت أسرف في
استخدامه حتى أنني في مناقشة مع والدي كنت لها : أنت مثل فولتير !
ولم نلهم طبعاً ولم تكن لسن حالاً منها ..

وكانت أقصد أنه لا يعجبها المعجب ولا الصيام في رجب .. ولئى كل من يفعل
ذلك فهو مثل الفيلسوف الفرنسي فولتير !

وفي يوم كما في زيارة أحد زملائنا في المدرسة ، إنه تلميذ مجتهد ، وكان
أكثر تفوقاً في اللغة الفرنسية - علمه فرنسية - وهي بينه كل ما ليس في بيتنا ،
ر هي بيت أى أحد أعرفه من أقاربى ، أسياء أو متوسطى الحال مثلاً . فالببت
به شكل غريب . وله راحة غريبة لا أعرف من أى شيء تتكون . ولا أنكر
أنى شععت لها مثلاً .. ثم لم الببت هادئاً جداً (لا من أصوات المصامير فى
الأصص ، صفراء وخمراء ..

باب الشقة مغلق تماماً - لا هو مفتوح ولا هو مغلق ، كما هى عادة البيوت
نسى بها أطفال أو التى ليس بها خدم يفتحون الباب ويفتحونه . ورجاج الباب
منوب . والشقة لمست مفتوحة النوافذ . وإنما مظفة وعليها منظر . ودرجة
حرارة ممحسة .. كأنك تجلس فى ظل شجرة . والشجرة تتساقط منها
- مور - والزهور نعلها إليك طيور . والطيور تفتح بمساخيرها عينيك وشعيتك
ومطه لتستوق معنى غريباً عجيباً للحياة . أما أثاث الشقة فلا أعرف كيف
صممه ولكنه مختلف تماماً عن أى بيت . ولم تجلس إلى جوار الباب .. وإنما
فى عرفة بمنزلة عن الباب . الحرفة رطبة . وهى جوانبها الورود . شيء

عجيب . وجاءت خاتمة بسرعة . الحاتمة بطيئة الملابس طينتها أول الأمر
أجبت هذا الترحيل .. جاءت بالشئ . والشئ مطفي : البراد . والحلوى
أيضا . وقبل أن تمتد أيديا إلى الشئ أو الحلوى ظهرت والدته الرميل . طويطة
شغراء زرقاء الميسين ذهبية الشعر . مدت يدها . صافحتها . لعنه العربية
مكسرة . إنها مرسية . وسألته عن أموالي . ولا أعرف بالصيغ ماذا قلت .
وقالت إنها تعرفني من إنها . وكل إنهما يروى لها كل ما يحدث في الفصل
وفي المدرسة .

ثم قالت . ألم يقل لك : وجيه . إني أن نجى في عيد ميلاده ..
قلت . آه . سببت

قالت : بلهجة الأم المنصبطة : لا نقل سببت .. قل آسف كانت ماما
مرسية .. كان بابا عالدا من السر .. أو بأحرث عن الموعد . فلكسفت أجيء
مأخرا .

قلت : حاصر ..

قالت : لا نقل حاصر . أنت مثل حصار .. أنت مثل وجيه إني ناعما ..
وإنما أحسن أن تقول : صانيف . أرجو أن تقبلي عذري .. كان من الواجب
أن أبحث بحطاب اعتذار أو بإرسال وردة أو تقول : كاتم في بيتي أن نجى
في اليوم التالي .. ولكن ..

قلت : حاصر ..

قالت : يبدو أنك حصار جدا ..

قال وجيه : جدا يا ماما .. وعنده اعتقاد أن أي شيء سوف يعطله عن
الغرامة .. وأن أي ست تكلمه في الشارع سوف تعطله عن المذاكرة ..

قالت الأم : تفصل يا إني .. صمغ القوطية على رجلك .. انفصل الشئ ..
أو انفصل الكيك .. سوف أترككما معا لتكوبا على راحتكما ناعما ..

ثم علنت تقول : إني غلواوي .. إنه فوثير الأسرة قصير ونحيف
وصمغه كبير ولسانه طويل !

وأسمعت صمغ أخرى إلى معلوماتي عن فوثير هذا : إنه قصير للقامة نحيف
كبير للرأس طويل اللسان !

وخل اسم فولير في رأسي ولكن لا أعرف كيف أجمع أية معلومات عنه ..
وهي تلك الوقت من أولئك الأعين لم تكن قد رأيت قاموسا أو سمعت عن
دائرة معارف ..

وفي إحدى حصص الفلسفة تذكر لنا المنوس واسمه مصطفى خالد متوسط
لقائمة أسمر ، له جبهة عريضة ممتدة عبارة واحدة عربية تشكون لم أسو حجب
معدما هي تلك الوقت . العبارة تقول : حتى إذا احتللت منك في الرأي .
صوف أموت نوحا عن هويتك في التصوير عنه !

وقال إنها للفيلسوف الفرنسي فولتير الذي مهد بأفكاره للثورة إلى الثورة
الفرنسية . عدم كل الحرافات السياسية والتبني .. وهما المبرج في باريس
ليام ثورة ضد الأسرة المالكة الطامحة ..

وهي قصة التاريخ تحدث المدرس عن اثنين مهدوا الثورة الفرنسية فأصاب
اسم جان جاك روسو الذي يولي مع فولتير في سنة ١٧٧٨

وهي مجلة ، الرسالة ، قرأت مقالا عن فولتير يظم رمول لنا يكرما في المس
سنة عند التحرير المجبوري .. كنت أعجب به جدا ، وأراء مودجا لكل ما في
هذه الدنيا : ثقافة وأراء ولغة فرنسية عالية ولغة عربية منبهة . ثم إنه ينشر
مقالات بقلمه في مجلة الرسالة !

ولكنه في الفصل ليس متوقفا .. بل هو دائم الترسوب .. ولم أهم في تلك
الوقت لماذا ؟ وكنت أحب الجلوس إليه . وأنشئت كيف تتجمع لديه كل هذه
المعلومات في الأنثى والتاريخ والكل رميني وصديقي خالد حسونة . هو
أكثرنا ذوقا بالتاريخ وأوسع اطلاعا على مشكلات المؤرخين ..

وإذاً ابتعدت عن المجبوري هذا . هذا سمعت أنه يشتم أمه .. وقد يكون
هذا التحير غير صحيح . ولكن تحدث إلي أجد من تلك هي عيالي .. فقلت
أروي عنه قصصا من اختراعي وأقول إنه يشتمها ويحربها أمام الناس ..
وإنه .. وإنه . كئسي أريد أن أطلع كل صلة بين وبينه .. وأبرز ذلك
نحسي .. فلما لا أتصور أن أجد يشتم أمه ، هذا شيء مطلق .. وكأن المجبوري
هذا قد مات في مطري وذهته .. أو كئسي لما قدي قهقهة وسرت في جداره
وذهته ورهبت أن يتوخم عليه أحد !

ورغم حرصى على أن أعرف أي شيء عن هذا الفولتير ، فإني لم ألق
 أن أنظر إلى المقال الذي كتبه عبد العزيز المجيرى . ولكن رغبني في أن
 أعرف انتهت في النهاية .. قصت المجلة على المقال .. وتجمعت لدى
 معلومات كثيرة عن هذا الفيلسوف العرسي .. وعرفت عندها عن مسرحياته
 ورواياته ودراساته الفلسفية ومعاركه وصداقاته مع الملوك والأمراء ..

ولم أفهم في ذلك الوقت ما هو العرس من دراسة للمطامير .. هل نتخدم
 بمونجا للتكبير . أى معكر مثلهم ؟ هل نتخدم بمونجا للملوك . أى نعش
 مثلهم ؟

بالمعلومات التي نجمها ونحن نلحده لها هدف واضح : أن نبعثها في
 الامتثال لكي ننجح .. هذه هي الدراسة وهذا هو الهدف . وفي هذا المجال
 يكون التفوق . في جمع المعلومات . ونظمها والاحتفاظ بها .. ثم نسيانها بعد
 ذلك ..

ولم يعلمنا أحد : أن الدراسة ضرورية حيوية . وأن الاحتفاظ بالمعلومات
 سرف ينعما فيما بعد .. في حياتنا الأنبية أو الدراسية أو العلمية .. ولكي نبقى
 هذه المعلومات في مكانها من العقل ، يجب أن نحصلها بمنعة .. بلدة .. وأن
 نكون هناك صداقة بينا وبين الكتب وبين المؤلفين .. ولكن الذي قصد علينا
 هذه المنعة : الحوف .. الحوف من الامتثال .. والخوف أن نكون قد نسيما
 شيئا . مع أن التسيان ضروري . أى سرف نسمى المعلومات التي لا فائدة
 منها ، وسرف نسمى المعلومات التي جمعناها ونحن متعبون مرهقون .. نلما
 كما تنساق الأشياء من ألساننا المكتونة .. ولن ينعط العقل بكل الذي عرف
 ورأى .. سرف ينسى أشياء كثيرة ، لنحل محلها معلومات وتكريرات جديدة
 وليكن العقل لا يسي بل وسرف يظل عند حاجتنا إليه . وسرف يبقى كل شيء
 في مكانه . الذي حدث في الطويلة سرف يبقى تحت الأمر لنحس استدعائه في
 أى وقت .. بل إن ما يحدث للجيس في بطن أمه يبقى أيضا في الذاكرة .
 فلا شيء يصيح !

ومن البادر في ذلك الوقت أن نفتح كتابا كذا قد أعقناه .. هالكنب نعرف
 أوراها من المذكرات الطويلة وانك يجب إهمالها ونسيانها ..

أما للكتب التي تهفى ، فهي التي لم يستقر قرار عليها .. أي التي تشتريها لتقرأها أثناء الاجازة . فنعن نقرأها لأننا نريد ذلك . وإذا قرأنا فيكامل حريتنا وبلدة .. ودرى في هذه القراءة تأكيدها للذات وتنمية للشخصية .. وفرصة لأن نباحث بذلك بين زملائى الذين يقرأون فى موضوعات مختلفة . وكان من علمتنا أن يحرص ويستمع كل واحد منا لى قرأه . وما للمسى وما للهنف وما للفتنة وما رليه هو ..

ولمى : المكتبة الضرورية ، بالمنصورة وجدت عددا من مجلة : الرسالة ، وفيه مقال للأب أنسلس مارى الكرملى يقرى بين طه حسين وفولتير . وكان طه حسين هو الاسم الجديد الذى لم أكن أعرفه .. فكللى لاهل أن أعرف شيئا عن طه حسين هذا ؟ وبسرعة قيل إنه أرمزى أعسى وتعلم فى فرنسا وعاد سندا فى الجامعة يدرس الأب العربى وهو ضد رجال الدين ، وقيل صد الذين ألسا ولم أهتم كل هذه العبارات : كيف يكون أى أحد صد الذين ؟ يعنى مانا يقول وماذا يفعل ؟ ولماذا ؟ فلم يكن ، الذين ، فصية فكرية أو وجدانية عدى فى ذلك الوقت .. فالذى أعرفه من دينى قليل .. فيما هنا أثنى جمعت لقرآن الكريم ، ولكن لم أهتم لكثير من معانيه أو قصصه .. أما الأستاذ المظلل فقد قرأت له .. ومعلوماتى عن مقالاته لا بأس بها .. ولكن هو الآخر لا أعرف ممن جاء وما الذى تعلمه وما الذى جعته هكذا واسع الأفق ولثقافة قوى الصحة ؟ وكيف يكون لى شيء من ذلك ؟

وتم أهتم بهذا مقال الأب الكرملى . ولا كيف يكون لها وأديا أو نافعا فلفها مكنا ؟ لا أعرف . أما للمقارنة فهي أن فولتير وطه حسين يهاجمان رجال الدين . ويربان أن رجال الدين قد أضحوا حياة الناس فى كل المصور . وأن مصائب الدنيا كلها بسبب العلاقات بين علماء الدين . يقول فولتير : إن الصراعات الدينية قد هضمت من الكرة الأرضية لأصحاب ما همته الزلازل والبركين !

وأهم ما فى المقال صورتنى : فولتير وطه حسين بالطربوش والمنطار لاسود .. أما فولتير فعلى وجهه لشمسة ساخنة . نحيف طويل الأنف صليل الحجم جبهته عالية . وطه حسين ألسا له لشمسة ساخنة . وملاحه حانة . ولمى المقال . وأنا أقول من متكراتى للمناقشة من سنة ١٩٤١ ويقول

العليلوف الفرنسي هولتير : يجب أن تفكر أنت .. فكر شعبك .. يجب أن
تنتكسك في كل ما يقال لك .. إذا فلما أحطأت فلأني حاولت أن أعرف ، إذا
عرفت فليس أسطى ، لأن الذي عرفته قليل جدا ، والذي لا أعرفه كثير جدا
ولأن عطلي صغير ووقتي قصير .. ولكن لا يهم ما الذي هممت وكيف أحطأت
المهم أنني حاولت وسوف أسكن في المحولة .. وحير لي أن يشعوني لأنني
حاولت فأحطأت من أن يتوجوني لأنني ما طلت وكنتت واخذتت وحذتت !!

ولا أطش أنني أحطت بكل هذه المعلى للمحولة التي جاءت بهذه العبارة ..
ولكنني نقلتها إعجابا بها .. وإن لم يحطر على بالي ، أنني سوف أعاود فراءتها
والتفكير في معانيها .

وهي منكراتي عبارات كثيرة وأهلت من الشعر أعجبتني في ذلك الوقت ..
ونقلتها وحصلتها ونسيتها أيضا . ولكنها نزل على ما الذي كان يهمني
أو يشغلي .

ومن مقال الأب الكرملني نقلت أيضا أنهم اتهموا هولتير . كما اتهموا مغراط
من قبل : بتصليل النيب وإعصال للرأى العام وروثة الإيمان في قلوب الناس ..

ورجحت هذه العبارة أيضا : إن هولتير هو الرجل الذي حول الفصص إلى
سخرية ، والذي حطم الأصنام .

وقال هولتير أيضا : إن الثورة بكل أجهزتها لا تستطيع أن تدوم سلاحا شعبيا
بطلق قشار في كل الاتجاهات ويشعور في كل بيت . النكة ١

وجاء أن هولتير قد دخل السجن مرتين .. سجن التباستيل الذي هجمته الثورة
الفرنسية ..

وبعد ذلك بوقت قصير ظهر مقال للأستاذ على أندم عن هولتير في مجلة
« الرسالة » : العليلوف للسلسي ١

الآن فقط أستطيع أن أرى بوصوح من هو هذا الرجل . وما هي العظمة
وما هي المعايمة .. ثم ظهر مقال ثالث ورابع ومقال للأستاذ العقاد ومعالان لطفه
حسين ومقارنة بين هولتير وروسو ١ .

إنه يخلص من المعلومات عن هذا الشخص القريب في التاريخ .

ولد يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٦٩٤ . صغيرا نحيفا وقرر الأطباء أنه سوف يعيش من أربعة إلى ثمانية أيام . وكانوا يصريونه وبقصونه ويهزونه لكي ينقلب .. أو لكي يتحركوا أنه ما يزال حيا . وعاش فولير ٨٤ عاما وألف مائة كتاب وبعث بمسألة آلاف حطاب لملوك ورؤساء وأمرء وقساسة ومساة نعلم في زمانه .

أنوه بعمل محسبا ، وقرر أن يكون ابنه كذلك . ولم يطع الابن هذا لخبر .. يكون كائنا . ماهر إلى هولندا وهرب مع هذا . فأعانوه مفصوحا إلى رائه في باريس ..

وصاق به أنوه . ولكن لم يخلص سوى سنوات قليلة حتى يكون ابنه مشهورا بعد أن اختار له اسما مستحازا هو فولتير . أما اسمه الحقيقي فهو فرسوا مارسي أرويه ..

ولم يك بطير له أول عمل مسرحي . حتى أتمكنه الرقابة ومنعت شهره .. وأدى ذلك إلى انتشاره فأصبح هذا الشاب الثائر مشهورا في فرنسا وفي أوروبا كلها ..

ونحل منج الباستيل علما .

وشاعت الصدمة أن يسمع قصة حربه استخدمها وسيلة لصرب الكنيسة حنف فقد ماتت ممثلة معروفة إسما لودين لوكوهرير .. وهي على فرش موت جاءه الصليب يطلب إليها أن تعترف بأنها أتمتت عندما اجبرت سجن .. عرفت . فركها الصليب دون أن يكمل الطعوس السابقة على الوفاة . وكان معنى ذلك ألا يجرؤ أحد على نهها .. فدعها البوليس في مقبرة سجنه !

وهذا شط فولتير يهاجم القسوة والضعف التي مارستها أحد رجال الدين باسم تسير ..

قال . معنى موقف القسيس أنه إذا لم تكن من رتبة فإنه يلقى في هي تسرع . أو يقتلني .. إنها جريمة ضد الحرية وصد الصديق وصد كرامة دين .. وصد الدين !

ونحل المسجن وعينما أخرجوا عنه لشرطوا أن يعادى البلاد
وذهب إلى إنجلترا . وشهد جدارة العالم البريطاني الكبير ميون . . ورأى الشعب
البريطاني كيف يخاص الطمأن . وكيف يحترمون القلقون والحرية
والديمقراطية . . وكيف أنهم في فرنسا لا يحتفلون هكذا بالطمأن ويمشون في
جارات مهينة وبدونهم مع الاحترام والأمن . .

وأكثر من ذلك كله كيف يحترمون ويجوبون الأمرة المائكة . لأنها تملك
ولا تحكم . . ولأنها تحترم الناس ، فأحترمها الناس !

وفي لندن عرّفه بعض الإنجليز فصوروا هذا الفرنسي . . أفتلوه . .
عرف فولتير بقول لهم : أنهم يريدون قتلي لأنني فرنسي . . ألا يكفى عذبا
أنسى لست إنجليزيا ! وأسعدهم ذلك . وتركوه . .

وحصل على إذن بالمودة إلى فرنسا . وعاد وكان في الخامسة والثلاثين
من عمره . .

ولم يعرف بالضبط ما هي موارد الفيلسوف فولتير . ولكن من المؤكد أنه
كان يحصل على هبات من الملوك والأمراء . وأنه كان يعمل بالزها . . وأنه
لم يكسب مالا من طريق مشروع قط ! بل حدث أن أعلنت الحكومة الفرنسية
عن ناصيب قومي . . وكانت المناجاة الكبرى أن فولتير قد أسس جمعية لشراء
كل أوراق الهانصيب . . وكسب مالا كثيرا ينفق منه على الملابس الأنيقة والشقق
الجمعة والعربات الجميلة التي يستعملها . .

وحدث في ذلك الوقت أن شابا شفه أبوه لأنه أراد أن يغير مذهبه الديني . .
وحكمت الكنيسة الأثب وأعدته . . وهنا استخدم فولتير كل مواهبه في الطعنة
والمنطق والسفيرة وحاجم القلقون الجبلي هي فرنسا . . فلم يكن قانونا بالمعنى
الذي أصبح معروفا بعد ذلك عند نابليون . . ولا بالقانون الذي يعرفه
الإنجليز . . واكتشف في القسيس يستطيع أن يحاكم وأن يعد الحكم ، وليس لديه
قانون . . ولا عدة شهود ولا محققون ولا المتهم يملك أن يوكل أحدا يدافع
عنه . .

وطالب بفتح ملف قضية : كالاس . . وهو اسم الأب الذي شق إليه . .
ولما جاء الفرنسيون مع نابليون إلى مصر كانوا يحاكمون الناس بالقانون

وبالعدل . وقد ذكر لنا المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرني جلنا من هذه المحاكمات .

وعلق المؤرخ البريطاني العظيم توبيي على ما ذكره الجبرني بأن للمؤرخ المصري هذا يعتبر أعظم المؤرخين في كل المصور .. أولا : لأنه كان أميا جدا في كل ما سجل عن أحداث الثورة الفرنسية .. وثانيا : رغم كراهيته للفرنسيين فإنه قد أثنى بالمدقة في محكمهم . هم بأنهم بالغتهم ويعطونه فرصة الدفاع عن نفسه ويكفون محليا عنه .. فالجبرني يكره الاحتلال الفرنسي ولكنه يقدر العدل الفرنسي !

وكان فولتير يشغل بين العواصم الأوروبية وكان الملوك يجلسون عند قدميه .. وكان يصنف بهم أيضا لأنهم كانوا كبار علماء المراسل الذي يذكر إعجابه المطلق بفولتير ، بعثد قوات عسكرية في كل مكان . وفولتير يرى أن جريمة الجرائم هي الحرب !

وفي آخر أيامه قرر أن يعيش حياة هادئة في جمهورية جنيف ..

ثم اشترى قطعة أرض بالقرب منها ليعمل فرنسا .. وأقام لنفسه قصرا عظيما . ولجأ إليها الهاربون من الظلم والقهر .. وبني لهم بيوتا حولت أيضا . وأنشأ الكليات والمدارس . وكتب عليها . نشأها فولتير له ..

وفي هذه المنطقة المسماة « فرنسي » رآه كل عظماء العالم يسألون عن صحته . ويستمعون إليه . وبذلا من أن يبقى الولد منهم يوس أو ثلاثة ، فإنه يمكث شهرا يمنع الآن بما نقوله أعظم عقلية في ذلك العصر ..

ولشاق فولتير إلى ليالي باريس . غرر السفر . وعلى الحدود وقف رجال الجمارك يشترن عربته . وغرجه أحد رجال الجمارك بصوت نحول يقول له : لا شيء ضد القانون إلا أنا !

فصاحه الجندى وتخصص الرجل القليل الهزيل الفرنسي وقال : آه .. مسيو فولتير تفصل يا سيدي !

هذه العبارة هي التي اقتنصها أوسكار وايلد عندما ذهب إلى أمريكا صائدا في الجمارك إن كان يحمل معه شيئا ممنوعا قال نعم .. عيقريني !

وفي باريس جاءه القسيس يطلب إليه أن يعترف . فرفض فولتير قائلا :

لا تريد أن تكون آخر كلمتي كذا !

قال له القسيس : جنتك من عند الله :

سأله فولتير : ولين أوراق اعتمادك ؟

ثم ألقى على الدين حوله : إنني أموت مؤمنا بالله ، محب لأصدقائي ، غير كاره لأعدائي ، محتقرا لكل أنواع الحرافات !

وكان لابد من دمه في مكان آخر .. ولما قلعت الثورة العرسية أعادوه إلى مقبرة المعظماء بعد أن وضعوا نعشه ليلة كاملة فوق أسفاس سجن الباستيل . تكريما وتعظيما للرجل الذي أودع هذا السجن عقابا على أفكاره العظيمة التي مهدت للثورة التي هدمت الباستيل وسحق العظم والقهر !

وكان قد رآه الرجل الأمريكي الوحيد الذي يعرفه : الفيلسوف ديبمير فرانكلين . وكان معه واحد من أحماله . ووضع فولتير يده على رأس الطفل وهو يقول له : الله والحرية !

والتكلمان هما خلاصة فلسفة فولتير !

ومن كل الذي قرأت عن فولتير في ذلك الوقت . وهو قليل . لم يبق في نفسي إلا عبارته الشهيرة :

اللهم احمي من أصدقائي ، أما أعدائي فلنا كعب بهم !

الغدير ليس حرا ، إنه يحكم في كل بيت !

ثم ملخص إحدى مسرحياته التي موضوعها أن اثنين من سكان الكوكب الأخرى واحد طوله مليون قدم والثاني طوله خمسون ألفا . هبطا معا إلى كوكب الأرض . وراهما يحوصلان في بركة اسمها البحر الأبيض المتوسط .. وفي هذه البركة وجدا شيئا صغيرا علقما .. إنها إحدى السمى .. وفي هذه المسحبة وجدا ديدانا مسنولة تتحرك .. هرفع أحدهما المسحبة فوق ظهره وأنتاهما من أنتيه هوجد أن هذه الديدان ليست إلا مجموعة من خلاصة بوى الإنسان . وأن هؤلاء

مدرسة يتحننون عن حرب صليبية .. هذه الحرب سوف يموت فيها الملايين
من احب الامسلاء على جبل مقدس اسمه فلسطين .. ليس هناك عن الذين
وبما دفاعا عن الملك هنا والى سلطان هناك . فمن اجل هذين الرجلين سوف
يموت الملايين !

وسمع العمالقة من أحد العمالقة أن الله قد خلق الملك كله من أجل البشر .
وصحك العمالقة لذلك حتى سقطت السحابة في جيب واحد منها .
فأخرجها وهو يصحك من هذه الدنيا .. ثم أقامها هي السماء !

• • •

محن الذين يفهم أنما كائنات ذات أهمية خارقة ، وأن الكون كله قد خلقه
له من أجل هذه الذرة الناعمة - الكرة الأرضية - ومن أجل هذه الحشرات
الناطقة - محن البشر - وليس أكثر غرورا منا ولا جهلا ولا إساءة لمصنعة الله !

• • •

ولا أنسى أن من كل الذي قرأت في ذلك الوقت يجد ذلك بسوء قد صرب
حد عقلي بالشلوات كما فعل قولنير .. !

لقد أخط غروري تمام ، وأوقعه أمامي وطلب مني أن أدوم به الجريمة
وأن أجلس إلى جوار شملت ، وأن أعرض عيني وأن أتذكر دائما قوله تعالى :
« وما تؤمنتم من العلم إلا قليلا » .

فهذا العلم ، وهذا الشك في قدرة العقل الإنساني ، قد دعسني إلى الإيمان
العميق . والآل أتذكر كيف كنا في المدرسة ..

فأنا أول الفصل وأول المدرسة ..

ووجدتني معزلا عن التلاميذ .. أجلس وحدي .. ولا أشارك في النشاط
المدرسي .. وحتى إذا حاولت أن أشارك في الألعاب ، فإن مدرسي الألعاب
يعوب :

اقرأ لك حاجة تفعلك .. أما هؤلاء - أي التلاميذ الآخرين - فلا مستقبل لهم

وكنت أشعر هما بيني وبين نفسي أن أول المدرسة أحصل كثيرا من نواتل
التفصيل !

ثم أصبحت أول مصري في الثانوية العلمية وأول كلية الآداب في
التفصيل ..

ولكن وجئتني أقول نفسي - فيه معنى .. أول المدرسة . واحدة من ألوف
المدارس .. وأول الثانوية العامة .. وفيه معنى .. وأول الهندسة وفيه معنى ..
وأول الجامعة . واحدة من ألوف جامعات العالم . وأول مصر على أول
دولة من مائة دولة . وأول الكرة الأرضية مثل أينشتاين . وفيه معنى ..
الأرض كوكب من ملايين ملايين ملايين الكواكب في هذا الكون . وفيه
معنى .. حتى أينشتاين أعظم علماء الطبيعة في زماننا عندما سئل عن الذي يعلمه
والذي لا يعلمه قال : هات طابع يريد ثم ضعه في الهرم الأكبر .. فالتدري أعلمه
هو طابع البريد والذي لا أعلمه هو الهرم !!

وقال أيضا : أنا طفل يلعب على شاطئه محيط العلم .. ولما سعيد
بالزمن .. ولا أعرف أكثر من ذلك ..

وعندما ذهبت إلى الجامعة درست الفلسفة وتخصصت وعمقت . وأستدعي
نلك .. ولكن فجأة وجدت قولير هذا يكتسب حيلتي ..

فالفيلسوف يحصر كل مشاكل الدنيا ويميد وزنها وحسابها ووصفها والتعمق
فيها .. من أول وجود .. وكل فيلسوف بعيد ، تعبط ، أوراق اللعبة الفلسفية ،
ولعبة الفلسفة هي دراسة الكون والنفس الإنسانية والإنسان والعلاقات بين
الإنسان ، وبين الإنسان والله على أسس من الحرية والعدل والصدق . ثم
تصير معنى الحق والعدل والخير والجمال والعصيلة والحياة والموت والحياة
بعد الموت ..

وكل فيلسوف لا يكتفي بما ذكره فلاسة فنه ، وإنما يصيد البطر فيها كلها ..
ومن أول وحيد ..

فالفيلسوف هو صاحب أعظم العقول ، ولوسع النظرات وأشمل النظريات !
وهو يحتوى البناء الكوني في عقله ويزينه وينظمه كأنه هو الذي خلق
الخلق .. وكأنه هو الله .. أو نصف إله ..

وليك بعضا للطمعة وجمعت لسفولنا أفكارنا .. فكان الولد يمشى مفرح
من ، معدود الأثراف .. بين الأرض ويناطح السحاب ..

ولكى كان هولير هو الذى يقوم بتسريب التيليس إلى عظمى سرا .. فكلمنا
وحدث بقعة عدى أو عدد عدى أسكت ديوسا وأعفته هي الكرش
بعظمى .. فإذا به هواء .. وإذا بصلابه جنة ملهنة على الأرض .. كلنى
سقطت بالوبا .. أو كلنى بزعت جناحي سر كبير ..

وانجهت من دراسة الطمعة إلى دراسة القلق . إن القلق هو العلم الذى
بجعلك شمر بصالة نفسك وعقلك وأرضك وعالمك ..

ولذلك كان القلمسوس الأعمى كانت يقول : شئنا أشعر ألسهما بالتواضع ؛
الصمير الأخلاقى فى أعماقى ، والكون العظيم من حولي !

وانتابتنى بعد ذلك فترة من القلق العميق .. لشك فى كل ما يقوله
للعلمة .. والشك فى قدرتهم على الإحاطة بكل شيء . وبقدرتى على فهم
وعلى أن أكون قادرا على الحكم على الأشياء ..

وقد نفسى لشك إلى كل الاتجاهات الفلسفية والدينية .. كفى مجموعة من
النصوص والمجربين يطاردونى فى كل مكان .. فكنت أحنىء هي كل بيت ..
سعت كل مظلة .. فى كل نقطة بولس .. هي كل مسجد .

وانجنت إلى وقت طويل ، لكن أعرف أن هذا القلق فى داخلى .. فى
أعماقى .. وأنه ليس من خارجي !

وأنها غلظتى عندما أحسست أن كل سحب أجلس تحته سوف يقع فوق
رأسى .. وكل ملك كهربي وكل حدود بور .. وكل شجرة وكل سارية .. وكل
كوبرى .. سوف يهز .. ولذلك فقد امتلأت بالحبوب والشك والوسوسة
ولم أعد قادرا على الثقة بأحد أو هي شيء . حتى هذه الكلمات أحسست أنها
عاجزة عن أن تقول لى ، وأن أهول عن طريقها أى شيء !

وانصبت إلى وقت طويل لكني أتحدر من شيطان هولير وغيره من
العلمة ..

محمد الله على سلامة عظمى ، وإيمانى وبغيتى والله بالنس والباس وبالله !



تکلم حتی أراک

A large empty rectangular box for writing or drawing.

تكمم .. حتى أراك ..

كما يجلس كل يوم على سلم مكتبة المتصورة .. وكل واحد منا يلخص الذي قرأه . ولا حظت أن كل رملتي يحدثون بصورة عادية .. إلا أنا .. فلما أرفع رأسي وأراجع إلى الوراء ثم أنظر إلى الأرض .. ولا أقول شيئا . وبعد ذلك أصبح يدي على رأسي وأحاول أن أقول . ولا أعرف ما الذي يستجبه رملتي . هل كانوا يقولون : هذه هي طبيعة الفلسفة .. أو هذه هي نهاية كل من يدرس الفلسفة .

لما أنا فلم تكن قد فكرت في شيء من ذلك .

وفي مرة أخرى وجنتي أتحدث إلى نفسي بصوت مرتفع قائلا : لابد أن أعرف نفسي .. أعرف قدرتي ومستقبلي لابد أن أعرف ذلك بنصي ١
ثم أجتني قد سكنت . واتجهت إلى شيء آخر ..

ورأيت أنني لمست فاعلمنا هذا الذي أقوله وإنما أنا أفقد مدرس الفلسفة . وقد كان ينزل من باب الفصل ويشعل عما نحن الواقفين نهاية له . ويظل يروح ويحيه . وقد يسمنا تملأنا . ثم إنا هو يهيق من شغله العميق . ويظهر إلى وجوهنا . ويضاف من نظراته القاعدة والتي نكتسحنا عموما ، ثم تتركنا واحدا واحدا . وقد اعتنينا على أن نقف بلا معنى وأن يتحرك هو بلا هدف .

إذن هذه هي الفلسفة . وهذه هي البداية اليومية لفلسفة الفلسفة . أما بعد ذلك فهو شيء عادي جدا . مهمل المدرس طربوشه ويصحه فوق أوراغه ويترسم ويعود يناديها واحدا واحدا كأنه كان وسيطا في جلسة تحصيل الأرواح ثم انتهى دوره .. وعاد إليها . في نهاية البسطة . وبعد ذلك يتجه إلى المبرة ويكتب أسماء وعبارات . ويوثق للجزء وينتهي للحصة . ولم نعلم أي شيء . هل كنت أفقد المدرس ؟ نعم . هل الفلاسفة يفعلون ذلك دائما ؟ يجوز .

وفي جلسة لواندى مع عدد من رجال الدين والتشعر ، تمت وصحوب
أقول : ولكن يجب أن يعرف الإنسان نفسه ! ولم يكن أحد قد طلب منى
أن أقول شيئا ، ولم تكن هذه العزاء لها أية علاقة بما يقار . بلغت الجميع
بعضهم إلى بعض .. ووضع واندى يده على جبهتى ليعرف إن كنت مرعب
ثم انتقلت يده إلى حدى ثم إلى كفى قائلا ، انه يدفع عليك بواندى !
وكنيت فى حاجة إلى هذا التشعر . ثمل الله يعطى لى نوافذ العلم ويحى لى
كنوز الصبر وأبواب المستقبل !

وعرفت أولا أن هذه الفلسفة لمست مما يهد كل الناس . وبين من المهمل
مهمها . ولكن لابد منها .. ووجدت لى عدد استناد كبيراً لترسنتها وإن
كنت لا أعرف كيف أنجح فى ذلك . فالذى يعونه المدرس ليس واضحاً وإن
كانت هناك بعض العبارات الجميلة . هبط عبارات . ولكن لا يوجد أشخاص .
وعنى الأشخاص لا أعرف ما معنى مثل هذه الأسماء : سقراط أفلاطون
أرسطو .. هينافورس .. لكننا عوارس ديموكرطس .. هرقلطس
جورجياس . ليس يكون هوم .. كنت . هيجل شومبور . ريشه .
ومفرووس أن أعرف كل هؤلاء فى سنة واحدة . وأسماء أخرى عربية
الغزالي وابن سناء وابن رشد والفاريسى والكندى وإخوان الصفا .
إن هذه هى الفلسفة ..

وأول الأسماء وأعظمها : سقراط ..

وهناك أكثر من سقراط . سقراط الذى سمعت عنه فى الفصل ..
هذا الرجل قال : إن الإنسان يجب أن يعرف نفسه . بنفسه . وعلاقته
بالناس . ضرورى . وإن يعتمد على نفسه فى فهم ذلك

وأن هذه هى الصفحة التى قارئها قارئ الأفكار . المرافة . وهى ذات صميرة
تجلس فى كهف ويذهب إليها الناس هتفا لهم بمسئلتهم . ولما ذهب إليها
الذى سقراط قالت له : أعرف نفسك نفسك ؟

وتذهب لتفى يحاول أن يعرف ما هو الجسم ما هو العقل ما هو الفكر ما هو
الحوار الذى بينه وبين الناس !

وهناك سقراط آخر ذلك الذى سمعت عنه فى كلية لادب . وهو رجل

مستور . يتفكر عن الحياة . وعما يدور في رأسه ، عن الذي يدور في رؤوس
-- كل من مر واحده ان يضح أتمعنه الناس وأن يستخرج منها العقل والمخ
عج بطوبهم وأن يستخرج منها أفكارهم وأن يعملها وينشرها أمامهم سفراط
حرث : إلى أسمى دنياه .

وهو الآخر يقوم بنفس العمل هوولد أفكار الناس ..

وكل ذلك بالعقل . فهو يهتس عن كل الأفكار الحسية والظاهرية . ويناقشها .
عن يدافن والنس مبهورون به حتى يصحح كل أفكارهم . وكان يعمل ذلك
. ما يمشي في الشوارع . أو وهو جالس على سلاط للمعابد . تملأ كما كما
حسن على سلاط المكتبة .

وكان سفراط يعيش حافي . وهذا ما لم أستطع . وعارى الصدر شاء ،
. ما ما لم أستطع صيدا ..

وهو سعيد نكي بازع عظيم هو أفلاطون . وهو الذي سجل كل محاورات
سفرط مع بلثمنه .. كيف سجلها . لا يعرف . هل كل الذي كتبه أفلاطون
هو بمصبط ما قاله سفراط أو هكذا تحبته وأصاب إليه الكثير من الجمال
، يستحق ٢ لا يعرف . وإنما سفراط لم يكتب حرفا واحدا . وأفلاطون لم يؤلف
حرف واحد . وإنما هو سجل لما ما قاله الأمجاد . هتم لنا أسانيد عظيمين
في وقت واحد !

وسفراط ثالث هو الذي قرأته على مهلي وبمتعة لا تنتهي . فلم أكن تلميذا
-- كثر . ولا طالب يبحث . وإنما كنت قارئاً كأنيا بأمل وبمتعة . هذا هو
سفرط الذي أعجبني والذي أحببته ، بلا خوف : أي بلا خوف من الامتحان .
بلا ضغط من الوقت الضيق . والأسناد المتعجل ، وإنما يهتني هنا الأستاذ
عظيم والإيمان البسيط ، والتعقيرة المتواضعة .. والذي لا يستطيع أحد أن
خذه أو يجاريه ، ولا هذا من الضروري في شيء . إنه هو هكذا ، وهو
حده .. ولا يمكن تكرار ما حدث له أو ما أحسنه ..

في ساعة مبكرة من كل يوم يلاحظ الناس أن سفراط قد خرج صرعا .
جلى القميص عارى الصدر والرأس ويخرج من شقيقه صوت معاء : صباح
نحير .. ونحن لا نعرف إلى كلن خيرا أو شرا .

ثم هو بمعنى يحدث نفسه : ولكن ما هو الحير .. حيرى له أو خبرك أنت .. أو هو حير الناس جميعا .. الحير الذى يريد الأعباء أو الحير الذى يشده الغفراء .. وما هو الحير الذى يريد المظلوم ؟ أو الحير الذى يريد الظالم ؟ وهل إذا صبح الإنسان موكبا لتفسير الحير واستخدم فى قتل إنسان فما هو الحير . ما هو الحير الذى يمكن أن يحققه السكين .. وهل إذا كان السكين مسروقا والخياف ليس مسروقا ؟ هل من الحير أن نقتله بسكين ليس لك ؟ وهل هنا حير أن يكون السكين مسروقا والخياف أيضا وانت تفعل ذلك من أجل إنسان جائع ؟

وكثيرا ما سمع الناس مفراط بهمهم ويقول : ولكن لا أعرف الحقيقة ؟ رسى أحاول أن أفهم ولكنى لا أستطيع ..

ثم يدرج مفراط قطعة من الاصبع ويظف بها التماثيل فى المعابد . هذه هى طقسه فالحصاة قد تركت محلها . ولابد من أن يظف التماثيل كل يوم .. وكثيرا ما مضى الجبر على وجهه . ونسى أن يمسحه . ويقال إن هذا الجبر هو الذى ترك البثور المألزة على وجهه . وبذلك أصاب مريدا من القبح إلى صاحب العبارة الجميلة . وكان مفراط ضيما جدا . لدرجة أن تلامذته كانوا يمتدحون عنه . فعين يخته الواحد للناس يقول : ولكنه مفراط أستاذنا العظيم أى رغم هذا القبح والتماثلة فهو أستاذنا ومعلمنا

وكان مفراط يمشى متفرج السافين . وكأنه يمشى إلى الأمام ويحول إلى من يراه أنه يعتمد لأن يفر .. أو للفرط على الأرض ، لكن يمشى على أربع .. وكان يمد يديه إلى الأمام . كأن يديه كانتا سافين من قبل ، وأنه حديث العهد بالمشي على رجلين ، وكانت عياده ولسمتين .. وكان تلامذته إذا نظروا إلى عيابه فهم يفهمون كل الذى يريد أن يقول . قال ولحد من تلامذته : ثم أر الأستاذ بكل قط .

وقال آخر : ولا رأيت لغيره أية رغبة فى النوم .

وقال ثالث : كنا ندبه إلى سرورة العودة إلى البيت .

وقال رابع : ولا مرض قط ..

وقال خامس : ولا سمعته يجيب عن سؤال إلا بسؤال آخر .. فكل عبارة يقولها تنتهى بسؤال .. فهو المسأل إلى الأبد .

وعندما هبطت حمالة فوق رأسه اندرج وقال : كأنسى شجرة أو كأنسى
حنال . كأنسى ميت .. هل أنا لم أتحرك منذ وقت طويل ؟

فقبل له : منذ ساعة .

فقال : ولا أنتم ؟

فقالوا : ولا نحن .

قال : ولماذا ؟

فقالوا : بسطر رديك يا أستاذ .

قال : على ماذا ؟

فقالوا : على السؤال .

قال : أي سؤال ؟

فقالوا : وهل نسبت يا أستاذ ؟

قال : فما هو التسميان ؟ هل الإنسان يسمى الذي كان يعرفه .. هل يسمى شيئاً
كـ يعرفه . ثم جاء شيء قد جعلنا ننسى .. فليهما الأخرى .. وليهما الأتبع :
نسى عرفاه وسبباه .. لو لدى عرفاه أميراً فجعلنا ننسى ما كنا نعرفه .. هل
سببان نعمة ؟ هل من الضروري أن ينكر الإنسان كل شيء ؟ هل هناك أشياء
.. فنية ولذلك يجب أن ننساها ؟ هل هي صارة ولذلك يجب أن ننساها ؟ هل نحن
نسى الذي نحب أو ننسى الذي نكره ؟

وبعد إلى تلميذة أفلاطون كان يحيا وأنه هو الذي كان يهوى على أستاذته .
كما حدث في القرن التاسع عشر عندما كان إنجلز يهوى على كارل ماركس .
ولا نعرف كثيراً من الذي كان يحدث في بيت مقرط .. فقط نعرف أنه
سروح وزوجته اسمها أكرنطية . هو الذي حدثنا عنها . وهو الذي قال أن
.. أولاداً . ماذا كانت تقول الزوجة والأولاد ؟ لا نعرف . فقط هو الذي
صحبنا على زوجته . وهو الذي أبكى نساء العالم عشرين قرناً . فقد كان قلبها
على المرأة عظيم الاحترار لها . وكل فلسفة الإفريق وأوروبا حتى نهاية القرن
تاسع عشر .

فما الذي يجعل زوجة مقرط تهجم عليه بالكلام الجرح لألم الناس ؟ فإذا
صحبته ذلك ، إنهاقت عليه صريراً ؟ فإذا أصحكه ذلك عادت إلى البهوت بسرعة
.. حذت وعاء بالماء لتقرر ولتقتنه على صدره العاري .

هنا أفلق من هذه الإهانة ، التي تؤكد اعتقاده العظيم للبر أن قال . إن روجي
كالمسماة توعد وتبرق ، ثم تعطر بعد ذلك ؟

ولم تكن زوجته كالمسماة ، وإنما كنت كالأرض ينوسها وبصرها بنسائه
ويطها في تشع صورة طفيفة عرفها ففكر الاتسلي !

وطبعمي أن تصيق لمرأة برجل من هذا الطرار : عاطل .. لا وظيفة
ولا مال .. ولا حصور له هي البيت .. ولا يترى من أين جاء أولاده .. ولا من
هم أولاده .

هنا فقلت له الزوجة : ألا تشعر أن لك بيتا ؟

عجيب : لست على يقين من ذلك !

- وأن لك زوجة .

- نصبت ألا تكون .

- وأولاد ؟

- طبعمي أن يكون هناك أولاد ، ولكن ليس بهذه الكثرة !

- فما قدى تقترحه حالا لذلك ؟

- ما رلك أنت ؟

- هل نخرقهم أحياء !

- ممكن ولكن هل هذا يحل مشكلة الأولاد في كل بيت ؟

- لا شأن لي بالبيوت الأخرى . إنني سأحدث عن هذا البيت ..

- ولكن مشغول بالبيوت الأخرى !

- إنهم أعمى حالا .. فهي بيوت لها أزواج .. لها أبناء ..

- وأنا لست زوجا ؟

- ولكني لا أجنك .

- هل أنا زوجك ما سمعت في البيت ، هنا خرجت لم أعد زوجك ؟ .. هي

بمعنى لكل روح أن يسحب زوجته من بينها وأولاده ورائه لكي يؤكد للناس أنه

زوج وأنه أب ولأن هؤلاء أولاده .. هنا لم يفعل تلك نفس روحه وليس له

أولاد ؟ هل إن جاء أخوك لزيارتك ، هل يكون هو الزوج لأنه موجود في

البيت ؟ هل إذا خرج معك إلى الشارع ومسبك وأولادك يكون هو الزوج وأكون

أنا العقيق ؟

ولا تملك زوجة سقراط إلا أن تنهض وتحشر قطعه من الأسعج في صه وسحلول أن تصفه . فهي قد نعتت من مثل هذا الحوار .. نعتت لأنها لا تعرف إلى كانت زوجة أو تلميذة في مدرسته .. نعتت فهي لا تعرف إلى كان زوجها يبحث إليها أو يتحدث إلى صه .. ينظر إليها أو ينظر إلى أشباح في الظلام ..

وفي يوم عاد سقراط إلى بيته فوجد الباب مغلقا . وراح يثق الباب . فلم يصح أحد . فجلس أمام البيت . وجاءه ثلاثته يسألونه : ماذا حدث ؟

فقال سقراط : لعلها خرجت . ولكن لا أعرف إلى أين ؟ فهي عادة لا تذهب إلى السوق ؟ ولا تستطيع أن تذهب إلى أهلها .. ثم أنها لمبت من الشجاعة بحيث نقلت نفسها .. ولا من الجبن بحيث نقلت أولادها .. فهي لا تقصد ذلك .. وإنما هي تريد أن تقتلي ؟ ولا أعرف إلى كان هذا هو الحل ؟ فإن قتلت ولادها فلا أعرف ما هو الهدف ؟ وإن قتلت نفسها وتركزت أولادها فهل هذا هو حب لأولادها وكرامية لنفسها ؟ وإذا قتلتهم ثم قتلت نفسها فما هي المشكلة التي انشغلت على يديها ؟ وهل الانتحار حل ؟ وأيهما أشجع : القاتل أو القتيل . فإذا كان القاتل هو القاتل ؟ من هو المجرم ومن هو الشهيد .. وما هو العرق بين قاتل صه وقاتل غيره ؟

وكان الحل هو أن واحدا من ثلاثه سقراط قد انتص من مكانه ، وبه سقراط إلى أنه يثق الباب للحطأ . فلم يكن ذلك بيته 1

وكنوا إذا قدموا لسقراط تلميذا جديدا يقولون له : يا أستاذنا هذا هو التلميذ الجديد هذان القاتلان .. أبوه .. ولده .. وعلاقته الاجتماعية .. وهو لا يعمل وإنما يريد أن يتعلم على يدك قبل أن يعمل .. الخ .

وهما يترق عينا سقراط ويفجر في داخله ألوف الأسئلة . وليس من الضروري أن يجيب عنها التلميذ . فسقراط لا يسأله وإنما هو يسأله أسأله : ولماذا اخترت الفلسفة ؟

.. وإنما أنا اخترتك يا أستاذ .

.. وما الذي اخترته .. إلى كان جسمي فهو منك لي ، ثم إلى جسمك لكثير حيوية وشبابا .. وإلى كان عظمي فهو ليس ملكا لأحد .. لا لك .. ولا لغيرك .. ثم ما هذا الذي تريد أن نعمله .. إلى كنت تريد أن تصبح نجارا ، يجب أن تذهب

إلى الجائر .. ولأن كنت نريد أن تصبح طبيبا ، هذهب إلى الطبيب . ولكن
الطبعة ؟ ما الذى نريده منها ، وما الذى نريد أن نكونه ؟ ثم من الذى قال لك
أنسى أحسن الناس ، أو من الذى قال لك إنك أحسن الاختيار ؟ ثم هل أنت
لحترت بكمل حريتك . أو تقلدا لزملائك ، أو هربا من عينك ، أو عتادا لوالدك
الذى لا يحسن ، أو شعافا مع أمك التى نريد أن نعيط والدك ، ونصحب
بمستقبلك .. قل لى بالصبط !

وفى يوم القف التلامذة حول الأستاذ العظيم وسألوه جميعا .. إلا واحدا ..
طل سلكنا . كلما توجهت إليه عينا سقراط ، جمل ينظر إلى الأرض إلى
قدميه .. وكلما حاول سقراط أن يقترب منه ، هرب بهيمه بعيدا عنه . وأخيرا
قال له سقراط كلمته الحكيمة البليغة : تكلم حتى أراك !
أى تكلم لى أعرف من أنت ؟ ما يعكرك ما هدفك ؟ .. أمك فى الحياة ،
ما الذى يفتلك على نفسك !

• • •

هكذا كان أساتذنا العظيم سقراط . قد علما : أنه إذا لم تسأل فل تعرف .
وبذا لم تسأل أكثر ، فل تعرف أكثر . وإذا لم تتحسش فل تسأل . فالتحشة هى
بديهة المعرفة لفصلك .. ولنعوس الآخرين .. لعالمك وندبا الناس ..

وكل أب يبحث عن ابنه فلا يجد ، فإنه يعرف أين هو .. هذهب إلى أحد
مبادئ أثينا .. ليجد مجموعة من الشباب قد انتعوا حول سقراط .. فالتشيد قد
تركوا المدارس والوظائف والأعمال والعناية البيئية .. لا يريدون أن يأكلوا ولا
أن يشربوا .. ولا أن يسمعوا إلى نصح الوالدين .. فلا أب إلا سقراط ..
ولا حكمة إلا لسقراط .. ولا هدف إلا سقراط .

ثم ما الذى يقوله لهم ؟

إنه يشكك فى كل شيء . ولا يتقبل كل حقائق الدين والحياة دون بحث ودون
مناقشة ..

لقد رثل سقراط كل أسس الدين والتقليد والأسرة والأبوة والأمومة .. ثم
أنه المحقق المتميز لكل صاحب سلطة وصاحب مال وصاحب جمال فكل

شيء من والاتصال ما دام شيئا ، فكل ما له علاقة بالاصل رائد .. أما الباقي فهو الفكر .. فهو العقل التي نحى به نامل : الحيز والجمال والحق والعقل
والفصيلة التي هي جوهر كل سلوك إنساني !

وصلي الآباء وقرروا أن يقصوا على مقرات ذلك المصد العظيم والمعلم
لأمال الآباء .. وللخائن للوطن والداعية إلى ديانة جديدة . هكذا اتهموه !
وفي مكان عام قرر أحد الآباء أن يحضر الناس على مقرات فاني بولند
من أملاكه وماله أسلمهم :

- أنت تلميذ لمقرات ؟

- مع الشرف العظيم .

- وأنت تلميذ لواتك الذي يخدم الناس في كل مكان ، والذي سوف يترك
بك ثروة عظيمة ولزوجتك ولولائك وأحفادك ..

- ليس أعظم من مقرات .

- أفضى من أبيك ؟

- نعم بأفكاره للعظيمة .

- وأبوك بلا فكر ؟

- لم أجرب الحوار معه .

- إذن حوارني الآن ..

- موافق .

- هل تؤمن بزيوس كبير الآلهة ؟

- إني لا أعرف باللبص من هو .. ولا معنى لي يكون أحد إلهاء ، ولأن يكون
أحد آخر كبيرا للآلهة .. ما فائدة لي يكون هناك إله ؟ ما هي صفته وما هي
فرائده العارفة ؟ ومن الذي صممه .. لابد أن أحاوره هو أيضا ؟ فلماذا كان هو
إلهاء لك ، وأنا لم ألتزم قراره بعد ..

- ما الفرق بين الامتنان والآلهة إذا كان لابد أن يحاوره ولأن يزيل العوارق
بينهما ؟

- إننى لا أرى لك العروق إننى أسمعها فقط .. لكى أراه ويرائى .. لكى أعرف
منه بعض المعلومات .

- مثل ماذا ؟

- مثل ما معنى الغلبة ؟ وأى فائدة للاتصال أن يعترف بها .

- إن الإله لا يتزوج ؟

- ولكنه يمتد على الزوجات .. فلماذا ؟ هل لكى يؤكد قدرته .. ألا توجد
وسائل وصور أخرى يقتضاها ؟ إلى لى لى يحتاج إلى قوة خارقة لكى يكون
خارقا ، ليس خارقا .. فلغنى جدا ليس هو الذى يقتصر على الآخرين ...
وإنما هو العنى بملكه هو ، وبما ملكك يداه ..

- ألا ترى أنى غنى ؟

- أرى ذلك .

- وأنت غنى ؟

- لا أرى ذلك ..

- إن مالى هو مملك .

- ليس صحيحا .

- لا تصحفى ؟

- لا أفهمك فقط .

- حاول .

- سوف أحاول : أنت تملك مالا كثيرا ؟

- نعم .

- هل أنت أغنى أو غنى ؟

- أنا

- من قال ذلك

- أنا

- ولكنه يقول أنه أغنى منك .

- سوف أكون أغنى منه .

- إذن أنت لست راضيا عن حالك .. كذلك فقير .

- كفى

- إن كنت لست غنيا - وأنا لست غنيا أيضا .

- عندما أموت سوف تترك أموالى ؟

- وقد أموت أما قبلك فموت أنت ما كان يجب أن أتركه .. ولكنك سوف تكون غنى ففرا .. لأنك ستتركهم لك ، وسوف تكون بلا ولد .. وسوف تتركهم فقرا ..
إن كنت لست غنيا .. ولن تكون غنيا بعد موتى .. هل تكون غنيا إذا مات عمى ..

- نعم ..

- ولكن أموال عمى سوف تذهب لأولاده ..

- سوف أكون أغنى من كل أولاده .. لأن أمواله سيورعها عليهم ..

- ولكن ما فائدة إذا أولاده قد أعطوك هذه الأموال كلها . هل تكون غنيا ؟
- أكون غنيا جدا ..

- ولكن أنت لا يهمك أن تكون غنيا . أنت بهمك أن تكون أغنى من أخيك وأولاد أخيك .

- صحيح .

- هذا لم تجد أحدا تشعر بأنك أغنى منه ، هل تكون سعيدا .

- لن أكون سعيدا ؟

- إن كنت لست سعيدا الآن .. ولا سعيد إذا مات .. ولا إذا مات حرك .. ولا إذا ترك أولاده ثروتهم لك .. فانت لست غنيا إن !

ولم يكن الآباء فى حاجة إلى ما هو أكثر من ذلك من أجل القضاء على سقراط .. إلفاندا للشهاب والأمرأة والبلاد والدين والسلطة والمستقبل ..

وكأن أراد هذا الأب أن يقضى على سقراط بالمصربة القاصية للعبة . فمثل به : وأنت ؟

- ما لها ؟

- أليست لك !

- هى التى تقول ذلك .

- وأنا لست بأناك ؟

- أنت الذى تقول ذلك .

- إن كيف تتأكد من أنك إن لى وإن لأنت !

- لا أعرف الآن . سوف نبحث ذلك مع سقراط .

- هل هناك شك في أني أبوك ؟

- ممكن

- إذن لماذا أجبتك ؟

- إن الإنسان يحب إلهًا كثيرين .. حلمه وكنبه وزوجته وعشيرته ..
ومثالاً ووردة والسماء والنجوم

- وأنت ألا تشعر بشيء بلحمني ؟

- بالتأكيد

- لأنني أبوك ؟

- لك أي كانت صحتك

- فما هي صحتي ؟

- لا بد أن فنكد من ذلك

- إذن أنت لست على يقين من أني أبوك فترك ابني .. وإن أمك هي
والفكك .

- بالطبع .

- وحتى نتأكد

- سوف نمارس ..

- فهذا لم نتأكد هل تبقى في البيت ؟

- الأمر متروك لك ..

- وليس لك رأي ؟

- سوف يكون لي عندما فنكد .. لكن إذا أردت أنت أن أترك البيت فوراً
سوف أفل .. وسطر الأب إلى بقية الأبناء . وانجهوا جميعاً إلى القضاء
ورفض سقراط وحوله القتل . ووجهوا إليه مهمة : تكبير الشباب وإسمائهم ،
ودعوتهم إلى إسطاط النظام والحكومة والتقاليد وتحقير كل الآلهة وكل الأديان .
ولم نسمع المحكمة لمواجهة سطر سقراط هي أجمل وأروع مواضع هي التاريخ
فحكمت بإعدام سقراط

وسمحه تلامذته بأن يطلب لهم .. رفض . بأن يطلب التראה .. رفض .
وجاءت زوجته وأولاده بيقين . وانتظر القضاء أن يستمع لهم رفض .

وحبروه بين أن يموت شتقا وأن يموت بالسم . فاحتار أن يموت بيده
و-جل لنا لعمريه أفلاطون الساعاب السابعة على موت سراط . وهي صفحات
من راء ع ما عرعت الفلسفة والأنت وعلم النهر والتربية ..

شكرت كل ذلك يوم جلسنا حول مدير الأستاد العقاد مريضا ممدداً شلحيا
ممن الصوت متوقد الحيين حاصر الذاكرة لا يهيب عنه شيء مما يقول ..
وكان هو أيضاً يتحدث عن الدين والموت .. وما الذي جرح به من هذه الدنيا ..
وما الذي يملو به كل هذا السماء . قلت : هل هذه الدنيا يساوى ؟

قال : يساوى . نحن لم نعرف غير هذه الدنيا .. لو كانت للواحد منا أكثر
من حياة كما نقول الدومة الهندية .. لمرها إلى كانت حياتنا هذه أفضل من حياة
سبعة .. لو من حياة لاحقة .. إن هذه الحياة يساوى ..

- لو عدت إلى الوراء

- لو عدت إلى الوراء لأحدث هذه الحياة بكل ما فيها من قرب .. لأسى
عسى أعود فسرود تعود كل طروفي القصبة والاجتماعية والسياسية .. وسوف
حين هي آلة العصر .. مسامرا ضمن آلة صفة .. وتطور الآلة وأنور
معها .. وأبلغ هذا الذي بلغته ..

- وهل تأسف على شيء

- وما جدوى الأسف يا سيدي . لقد انتهى كل شيء ..

- والذي تنكر فيه الآن ؟

- أفكر في أن التفكير لا جدوى منه .. وإن يكون عندي منسج من الوقت
حتى أعرف .. ولكن عندي إحساساً غريباً الآن . هنوء وصحاء .. وأفكر
كثيرة ومشايخ أنبية .. كانت كلها بائمة .. ومضى ذلك أنسى عندما كنت
مشغولاً ، كنت مشغولاً بها .. فلما كما تنصرف إلى عملك ، وتشتغل عن
تواضع على باب مكتبك أو عن الجالسين معك .. أو عن سماعة الشبهون التي
رسمتها وتركت واحداً على الخط .. أما الآن .. فلا أجد أمام قلب ولا في
تكمب ولا على الخط ، فلم تعد مشغولاً عن الذي هي داخلته .. بل أنت
لا تستطيع أن تشتغل بهذا الملزق الملزق الجديد .. لا وقت ؟

وهل أجد الحصريين وبسرة خوفاً من أن تخونه التكملة : إن كانت هي
حياتك امرأة يا أستاذ علمانا لا تتزوجها هورا ؟

وصحك الأستاذ العقاد حتى خشيما عليه أن يموت من شدة الاهتزاز بكل جسمه .. بكل البطلان والسرير أيضا . وصحكا من أيضا ، حتى أحسب أن البيت معروف بهم فوق رؤوسنا نحن أيضا بهتر مجاملة للأستاذ وسعادة استعنته ونوقعا لشيء سوف يقوله . أنت فقط تريد أن ترى أرملى : هالها ! ولم نجد ذلك مصحكا . وإنما استرحنا إلى أن الأستاذ العقاد غادر على أخصحك ، وعلى تشجيعنا على ذلك ..

وحول سقراط جلس تلاميذه أكثر حزبا وأكثر حمرة . ولا يعرفون كيف يقعون سقراط بالآه يموت بالنسم .. ولم يظفوا ..

وجاء من يعمل له النسم . وودع سقراط تلاميذه . وأرصادهم بالتساؤل ليعرفوا أكثر .. وبصحبهم بأن يصغروا ما يعرفون . وطلب أن يكون هذه عند شرب النسم . وأحد الكأس وأنها من هه . ونقلت لسأريه . وأحس بمصم عنيف . ووضع يده على بطنه . وأحس وجهه . وسحب العطاء . ونممت دون أن يظهر الألم على وجهه ..

ونلوى مثلا أعلى وسودجا رهيا نحب الحقيقة والسهر عليها . والدعوة لها . والموت في سبيلها بشجاعة وكبرياء !

مات سقراط من سبعين عاما سنة ٣٩٩ قبل الميلاد واحتلف تلاميذ سقراط . أناس حاولوا أن يقتلوه في طريقته في الكلام . وشلوا . مثلا : يوم ودعوه ونفرا صامتين لا أحد يريد أن يتكلم ولا يعرف . حتى تشجع واحد فقال :
- هل مضى هنا طويلا ؟

- وهل مضى ؟

- إنا لم نكن جالسين ، فممن واقفون .

- ليس قوفوف والجلوس هما للوصول للوحيدان للتساؤل .. فمن الممكن أن ينكم وانما وأن ينكم جالسا ..

- هل تريد أن تقول أنك الآن تتكلم أثناء قلوب ؟

- بل أنا لا أستمع ولا حتى أنكم .. إنسى أنكم نفسى .

- ولكنك تتكلم .

- وأنت مصغى بالمصغفة .. أنا لم أصحك .. أنا أقصد هذا الكتاب الثقال

محويا !

ومثل هذا الحوار السخيف جعل للتلاميذ يهربون من بعضهم البعض . هـ
مات الأرعى : ففكرت الأسماء ..

انقطع الحديث ففكرت حياتي المعد . !

لقد أجد مغرب المعنى معه ، فأصبحت ألعاب بلامنته بلا معنى !

وبعض تلاميذه اختار أن يمشی عرياً حفاها وأن يبيع .. ثاماً كالكلاب ..

وقالوا : إنما سيج الزديله !

وبعضهم قرر ألا يعود إلى البيت . وأن ينام في الشارع . وهي براميل

الـ .. بعضهم شجراً إلى الشدود الجنسي احتفارا للمرأة وليسعه عنها .

أما تلميذه العظيم أفلاطون فقد نشر هذه المحنورات . وحاول أن يطبق آراءه

في السياسة فأعطوه جزيرة لكي يقيم عليها المجتمع السعيد الذي يتساوى فيه

كل الناس والذي يكون فيه الفيلسوف هو الملك .. هذا كان الفيلسوف هو

الصعلوك سوط .

وعلى أفلاطون في تحقيق حلم القمامة في أن يكونوا ملوكاً يطبقون

آراءهم . وتحقيق حلم الملوك في أن يكونوا فلاسفة أي لهم قنوة والحكمة ..

بهم المصيف والمصباح . لهم الطريق والطريقة !

• • •

وفي إحدى الليالي الثمناه في جمعيه « الأحرار المسلمين » ومدينة . وكانت

ليلة القدر . وكانت لي قصيدة . ألقينها وجلست . وكان في انسي صديق

ومصطفى وموصاه . ولا أدعي انني عرفت شيك مما يقال حولي .. ولا رأيت

بوضوح . واقترب مني احد الأحرار وسحبني إلى ركن في عرفة مظلمة

وقبل الباب وقال لي . هل تعرف معنى الذي قلت

.. ما الذي قلت ؟

.. هذه القصيدة .

.. معروف انني أعرف وأنني نظمت وفتني لثمت . وأنني مسئول عن كل

كلمه صاباً قلت !

- لا تعجب منى من صعبا واما هي مقام وانك .. ووانك لا يرصيه
التي قلت انها رجو مسير مصوب وانك شدي مؤمن ما هي تلك شئ ..
ولكن هذا الذي جاء في القصيدة
- لا فهم

- كيف سبائل ما تسمعون من الحب ما لم يه تطريق بين
المسجد الحرة الى المسجد الأقصى ؟
- الا يصحح من تسمعون ؟

- يصحح وتلك حرف الاحبة مع ما الذي توقعه من السامعين : فبت
لهم ما عيون بلا سوز ما ما ال بلا تعجب .. ما تعجب بلا عيون ..
ما عيون بلا حجاب ما حجاب بلا يسأل .. ما يسأل عين لا يرى يسأل ..
ما سمع لا يسمع نخدا انك نزع الناس لك تشكك في كل شئ ..
- معك حق ؟

- معي حق في أنك تشكك في الذين
- لا أفهم .

- سمعي كل شئ ..

ولم يجهل منى ستمسك بقبضات العظمى مخرط وسببت القساسة
والعكس والزم .. قد بحثت منى ما ربه خائب على سلاكم المكيبة حتى
راسي ونور بعيني في الارض .. في عيون تسكن .. وانظرة بين السماء
والبحر .. وعلى هرثني رصعت علاماته الاسمهم وتعجب وعلى محسني
هبوزة لسانك أسفندي : سقراط !



لكن سقراط لا يمشي في
بؤلاق الذكرور

لكن حمار لا يعيش في بوراق الدكرور ..

كان من عديمي وأنا طفل في المعسورة أن أذهب إلى محل حلواني في شارع
السكة الجديدة ، ولا أعرف السبب .. أما الحلوى فأراها كما هي كل يوم .
لا تبيع .. ولكن عرفت هما بعد أن لدى يشتلي هو شكل الرجل صاحب
المحل .. إنه قرفان دائما .. وإذا تناول طعاما فهو يأكل للعيش والملح ..
و العيش والحبي القديم . ولكن لا يتوق الحلوى .. بينما الأطفال سعداء
بالذهاب إلى المحل والوقوف عنده .. وابتظار دورهم في أن يقدم لهم
ما يريدون .

وأحيانا تستل أنبيهم إلى الحلوى هيراهم ويعطيهم . أو يشجعهم على
الذهاب إلى بائع الأطفال يحدقه من الفولطير التي يسطبها لهم .. واللهش
شرح . وكذلك لأولاده عندما يجيئون إلى المحل ويبيعون .. إنهم أيب
لا يكون شيئا من الحلوى .. ولا بد أن يكونوا قد رجعوا منها . فهي عندهم
صيرة توهته ..

هذه الملحوظة هي التي أسبغتها لعسى كل يوم .. ولكن لا أذهب في
تجدد في بعد من ذلك ، إلى بائع الحلوى لا يتوهها أو لأنه نافعها كثير ، فقد
عرفت بها ..

وكـ رى بائع العرفوس يصنع برميلا زجاجيا على صدره ، فيزاحج إلى
المرء . و رى الذي يحمل القرية يصعها على ظهره ويمسك إني الأمام ..
و رى في صباغة الملابس أسود اليدى والأظافر .. و رى لحداد
يحب أسر عين ..

فـ نمحه وصمعة الأثر في كل هؤلاء .. فلعينة نذك أثر عصبويا
و مر حبيب .

وفي الزيف كنت أرى المرأة ، المعتمدة ، التي يستأجرها لكي تعدد مراتها
المحب ، ويبكي عليه وينير السماء هيكلي . إنها تقوم بنور عصير البس في
العبور ، بنور التسلط على كل لسان ، هذه المرأة جسيمة .. نيت النساء تنمنا
وهي لا تبكي ولا تحزن . إنها لمعرفت أدلة الموع ، وروية الموع نوب إلى
يهنر لها حب ..

ولو تطلعت في وجود الناس مرة أطول وأعمق لأرب العجب . ولكني
كنت أقف بسزعه والاحط وأمسى لكتبي .. فتم يكن عدى وفت لكي أنمل
وسسلم وأرب الساتج وأخرج منها رأي أو نظرية . فلم يكن الوقت ، كاد ،
ولا كنت قد تعلمت أن أنمل وأن أسجل كل ذلك .
وكلما رأيت أناسي في الفلسفة استعنت كل هذه الصور .

فالشبح مصطفى عبد الرزاق أسناد الفلسفة الإسلامية لطيف رقيق أليق
واضح اللطيف .. ولكن كل الحذر في صوته وهو يتلو القرآن والأحدث
وبسعر من الطريقات الفلسفية . فبانه ما الذي استند ، وكيف يعيد ؟

د . عبد الرحمن بنوي أسناد الفلسفة والمنطق صارم الملامح جاف خش
لا عواطف لا مشاعر جارح الأنفاس فرفان دائما .. فما الذي أعطته الفلسفة
وما الذي يستطيعه لنا ؟

د . علي عبد الواحد وافي أسناد علم الاجتماع بحيف حاد ، لا يكن حيا لأحد
من رملاته ، ولا تحس نكي له شيئا من ذلك . لا هو أطلع في أن يجعلنا نحبه ،
ولا أطلعنا نحن أيضا في أن نجعله يحبنا ..

د . عبد العزيز عرت أسناد علم الاجتماع إنه قصير دائري استكبر لطيف
بصعك بصورة عسبية ولكنه لا يكف عن اتهام كل الناس بأنهم جهلة . ونحن
أيضا . ولا يتحسك ولا يعطي أملا لأحد أو في شيء .

د . يوسف مراد أسناد علم النفس ، إنه هو الآخر في حالة قرب وحل ينكلم
وهو كأنه يخاف أن يقول ، ويخاف أن يسكت .. وهو دائم النظر إلى وجوده
يتوقع أن تسقط عيوبنا تحت قدميه ليتوسها ويسحبنا جميعا عيانا ورؤاه في
ظلمات النفس البشرية .. لا هو مستريح ولا هو مريح !

د . عثمان أمين أسناد الفلسفة الحديثة . إنه فتح أبواب الفلسفة وأغلقها على

فيوسف واحد هو العرسي ، ديكرت .. هو أول التفكير وهو آخر التفكير .. هو لندية ويجب أن يكون النهاية .. وكلّ للفلسفة قد أخذوا منه . كلهم حصوص . أما أستاذة الفلسفة ، أساتذنا ، فهم جهلة وهم كذليون وهم أميون جميعا . وسوف نرى ذلك فيما بعد .. أما الفلسفة الإسلامية فهي أيضا قد بدأت رست بالإيمان للتفويض محمد عبده .. وقد محصن د . عثمان أمين في هذين ترجمين وكتب عنهما أجمل وأوضح ما ظهر في اللغة العربية . ولكنه هو شخصيا قد نحمد تماما عند هذين الرجلين ويربما كذلك !

لأستاذ محمد محمود حصري أستاذ الفلسفة الإسلامية . فهو رجل لطيف عيصر الصوت له انشغاف حلوة صافية .. وهو لا يكره أحد ولا يهتد على حد . ولا يهمل ولا يهمل .. ولكن الملة التي يدرسها لنا جافة ولها جافة جافة . فهو صورة مصغرة عن الذي يقوله لنا .. وإذا رفع عنه عن التكراسة نرى معنى منها ، كان أظف وأوضح .. وكل هو الوحيد من الأستاذ الذي به موه وأخوة . ولكن هذه الأبهة يفسدها ما يقوله ، وهذه الأخوة تحرقها لانه تحدة .

- لا مروت رتب في قسم الفلسفة .. رجل انجليزي في غاية الرفة والنعف . وهو ذا نكم أحسبنا كأنه يمشي على يمين أو على شوك أو على نار .. يمشي حسب شديد . يريد أن يقول كلاما دقيقا جدا . ولذلك فمن خوجه أن يقع في بعضه شديد الكتابة ويقسم بعض الرملة أنه راء يضحك مع صيد للكتابة . يصيب لو رأينا هذا المنظر !

- بريستيانى أستاذ علم الاجتماع وهو رجل يوناني . وله كتاب مشهور عن بعض القبائل البدائية . وهو يدرس لنا هذا الكتاب . يدرسه غط لطيفة لاميير . وكنت أنا طاقب الاميار للوحيد في قسم الفلسفة . وهو رجل لطيف صريف وكثيرا ما دعاني إلى بيته بين زوجته وأولاده .. ولكنه يتكلم في موضوع واحد لا يمل تكراره . وقد مللت !

- مصطفى حلمي أستاذ التصوف وهو رجل ضريب . وكان أحف لامتد لنا ، فهو يعلم أن الفلسفة موهقة للأعصاب ولذلك كان يدهنا صحت . وكان هو يصعب أيضا .. وكلني يستعجم النكت والتعصبات لتجديد منه تحبة في محاضراته . ولكن هجة ينقلب غلبا ساحطا لأنه الأجباب

ويجلس للطلبة والظمعة واليوم الذي رأينا فيه .. ونقول : محذور !

ود . منصور باشا فهمي ، وكان يدرس لي وحدي ، علم الجمال ، وكان قد انتزع عن القراءة وقتاً طويلاً . لقد أصبح من معالم المجتمع المصري الجامعي والثقافي ، ولابد أن يكون الأسناد العفد قد ساعدنا على أن نراه في أسوأ صورة . فقد كان دائم للسحرة معه ومن علمه وثقافته .. وكنت أشعر بالطمع في محاضراته . فقد كان يشار أسفر حجرة في الكلية .. يجلس بمن الاثنين معاً .. وكان يهجن الباب . ولنا أعتق . فلم يسألني مرة إن كنت لضييق برائحة الدخان . وحتى عندما يصاب بالركام فإنه يظل يسعل ويعطس ويهجن والباب معلق علينا . ولكنه لا يعتذر ولا يهمه أن نتقلى لى العدوى . وأكثر من ذلك فلما الذي ترجمت كتبها من الفرنسية إلى العربية عن « مبادئ علم الجمال » .. فلما الذي أقرأ وأنا الذي أشرح وهو يستمع . ثم فوجئت به يطلب منى هذا الكتاب ، ويلقى منه محاضرات في الراديو ..

والسيدة برج أستاذة اللغة الألمانية .. إنها صيدة عجور لها سيارة صغيرة مثها . وكانت تطلب منى أن أذهب إليها في بيتها في ميل الروضة لأركب معها السيارة ونمتعت قبل المحاضرة . وعرفت فيما بعد أنها في حاجة إلى من ، يرق لها السيارة كل يوم . وكنت أفعل . فإذا انتهت المحاضرة حملت لها المشط الملبنة بالكتب والتي لا نعلمها . ولكنها تأتي بها كل يوم .. فإذا حدث معها إلى البيت ، اجلسنى بمنى الوقت لكي تقدم لى الشاي والجنات .. ولكن قبل الشاي وبعد لابد من معركة طويلة عن قصة بلغة عربية مكسرة مع الجامعة ، لتلى لا نلهم معظم الذي نقول .

د . إبراهيم بيومي محذور أستاذ للظمعة الإسلامية ، وكان يصووا لى إيرلندا .. وكلى جلسنا وافقاً مرتجلاً . وكان هو أيضاً متجهماً . كأنه قاسم في محكمة الجنايات . وليس أملكه إلا عشرات الأحكام بالاعدام والسجن .. المزيد .. وكانت محاضراته نوعاً من الضطابة مع ضغط شديد على كل الحروف . وبعد المحاضرة لا نجد .. فهو ألقى حملته واعتنى .. والتدبر عزمه عن قرب يقولون .. أنه يسأل الطلبة عن أحوالهم وهو يعنى ما يقول لأنه أب وأخ ..

ولكننا لم نر شيئاً من ذلك !

بأنرى مويسرى يدرس لنا اللغة اللاتينية . وللمنة جامعة . معادلات
حسبة . وهو يدرسها باللغة الفرنسية التى يطلقها هو نطقا غريباً . وهو مثل
هـ - طلع . فمضى فى محاضرة اللغة اللاتينية فى صيق شديد غير قلدرين على
سجده . وغير قلدرين على فهمه .. ولكننا الذين ندرس اللغة الألمانية نجد
سسه شديد فى القواعد . ونستعين باللاتينية على الألمانية . والعكس أيضا .
نفس حد فى اللاتينية والألمانية اذة مؤكدة . وهى اللغة الألمانية كما يحفظ الشعر
بكث الشعر اللاتينى . وكنت استخدم الشعر فى الإجابة عن بعض الأسئلة .
كـ . وأسد بأنرى لا يسنويح إلى ذلك قتلًا : يجب أن نتصرف كطفل ..
.. سكر كنبهء - معه حق . فقد عرفت من ذلك وأنا فى المدرسة الابتدائية
عند كنت أمتشهد بالشعر والآيات القرآنية . وكان للمدرسون ينصرون
سرى عشر أُر أقبس من الكتب . حتى عروها لحنى أحفظ شعرا كثيرا وألمى
مضت عرب الكريم قبل أن أنحل المدرسة الابتدائية .. ولكن الأستاذ بأنرى
قد حرسى بصورة قاطعة : إذا كنت بيتنا ولحنا من الشعر ، صوب أعطيك
صفر . هذا مهائى !

حسب كنت أنجمل الأساندة جميعا فى وجه واحد مثل وجه أبى الهول :
مهر حمد أسم أنكم ونهر كالرمال على جانبيه وبين يديه .. وهو لا يترى
جـ ومن يرى بها !

• • •

حـ كـ هذا هو المذهب الحقيقى وراء حرصى على أن أذهب إلى نكل
لأصح عمر . فى بولاق الذكور .. رغم العسافة الطويلة من إمبابة .. ورغم
له حـ . حرسى والنياب فى الممرقات ورغم أننا نجلس على الحجارة
.. لرمير . وإنما نهض من حين لآخر إذا مررت عربية كانوا .. حتى
.. حبيب . رة الوحل .. ولكن كل ذلك يهون عند بعضتى التى لا تسهى .
حسرى سها . الراحة الهائلة عند هؤلاء الناس . لا هم ألسنة . ولا هم
الحسرة . لا هم فتحوا مدرسة لصحو للعلمة اليومية .. فط إلى السعادة
للصحة . جـ عروها بأصابعهم ويستعيرها الولد من الآخر . إلى كل واحد
حسرى حـ : صاحبه .. يرى سعائنه فيها . هم جميعا سعداء .

مثلا في أحد من تلك الأيام ، وكنت قد دعت سيارة السيدة بروج ، ذهب وإيها
ثم أربع ساعات في دراسة عند قصايا المطلق القديم والحديث .. وزيارة
مستشفى الأمراض العقلية ، أوجعت القلب ولعست العقل ، وأطعأت كل نور
في هذه الدنيا .. بعد هذا اليوم الطويل ذهبت بعد صلاة العشاء إلى نكاح الحاج
عمران . وكان هو والإخوان قد عانوا من المسجد .

لا أعرف أكثرهم .. ولكنهم في حالة من الانتعاش .. الوجود معسولة
والنفوس أيضا ، وشبهتهم للكلام معوجة دائما ..

قال واحد : بل أعظم الشعر هو الذي قلته ليو الأسود الخولي :

يا أبها للرجل المعلم غير ..

هلا لنفسك كان ذا التعليم

نصف النواء لدى المقام وذى الصنى

كفما يصح به ، وأنت مخيم

ابدا بنفسك فأنهها عن غيرها

هكذا انتهت عنه ، فأنت حكيم

فهلك تدر إلى وعظمت وبقتدى

بالتقول منك ، ويقول المعلم

لأنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

قال آخر : بل هذان البيتان هما أروع ما سمعت :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

فإنجسامهم قبل العبور : فبور

ولم امرأ لم يحيى بالكلم مينا

فليس له حنى الشور ، شور !

وقال ثالث : بل هذان البيتان :

علمي معي حينئذ يعمت بديهي

قلبي وعاء له لألسن صدوق

إن كنت هي الليبت كان العلم فيه معي

أو كنت في السوق كان العلم في السوق

أما الحاج عمران فقال : والله أحسن ما قيل هو ما قاله سيدنا وإمامنا علي
بن أبي طالب :

قال كرم الله وجهه :
من المكارم أخلاق مطهرة
فالعقل : أولها والدين : ثانيها
والعلم : ثالثها والحلم : رابعها
والجود : خامسها والعرف : سادسها
والبر : سابعها والصبر : ثامنها
والشكر : تسعها واللين : عاشعها
والحسن تعلم أني لا أسدقها
ولست أفرشد إلا حين أعصها
والعين تعلم من عيني سجدتها
لي كان من حزبي أو من أعادها
عبدك قد دلتنا عيني منك على
أشياء لو لاها ما كنت نديها
الله - الله - كلهم يقولون مما .

أما هذا الرجل الذي لم أراه من قبل ذلك اليوم ، فهو أحسنهم نطقاً وأقلهم
كلاماً وأكثرهم انبساطاً إلي ما يقال ، ولي كان لا يعلق كثيراً .
فقد قال : أما أحسن ما قرأت للفارسي علي بن عبد العزيز :

يقولون : فبك انتباهن وإسا
رأوا رجلاً عن موقف لذل أحبما
أرى الناس من ذلتهم هل عندهم
وما كل برق لاح لي يستعزني
ولا كل من لاقيت أرواه مسما
بذا فقول : هذا منهل قلت : قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل لظما
ولم أهنل في خدمة العلم مهجتي
ذخيم من لاقيت ، لكن لأحدا

"شعبي به غرما ولجبه نكه
 "إن ، هاتج الجول قد كان أمزما
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
 ولو علموه هي العوس لعظمها
 ولكن أهلقوه فهاى ونسوا
 معباه بالأطعاع عنى تجهما ١
 . ولنت ؟

وكانى الصبوء أن أقول أنا أيضا شبتا من الشعر أو الألب . وكأني لا أجد
 ما أقول .. أو اكتفيت بما سمعت ، مع دهشتي التي لا تنتهي من هذه البساطة
 والسهولة والارتياح لما قالوا وقبل لهم .. فلم سمعي ذاكرتي ، على كثرة
 ما أخطئ فقلت ، عبارة قديمة تقول : إذا اشتد الكلب ، يفتح الكاف . هانت
 الكلب . بضم الكاف .. أي إذا اشتد حب الناس لشيء ، هانت تكليفه من التعب
 والمدايب ..

فصبحك الحاج عسلى قائلا : يعنى العارضى ينقط بطقته . أي أن الحب
 بهتلة .. حب الألب والشعر والطفرة وحب الناس وحب النفس وحب الدنيا
 وحب الآخرة . والله اعلم .

* * *

"إن .. إن ..

"إن هؤلاء الناس الطيبون يتكلمون .. يتحاورون .. ويسمعون لبعضهم
 البعض .. ويصدقون ما يسمعون .. ويصدقون الذي يقولون . وعندهم
 استعداد دائم لأن يقولوا .. وهم يقولون أحلى الكلام ، شعرا وشرا

أما نحن - طلبة الفلسفة - فلا جوار بيدا هادى سمعنا لارند . وربما
 هو عساه تقول .. نعلم أن تلقى به من فوق أكتاف ، ونعرج منه رؤوسا .
 ثم أن الذي سمعنا نهذه .. أو نتحارب على ذلك .. فكلما إن لم تكن طوبه
 فهي رطب ، وإن لم تكن رطبا فهي رسائل يطلقه على بعضنا البعض . فكل
 فيلسوف هو مدفع يجب أن يبتلق على فيلسوف آخر .. وعليه نحن أن نجمع
 انتظائنا من هنا وهناك ونصنع منها ملابس وبيوتا للوقاية والعلاج والحياة .

« حتى مرنا حولي إلى ما نسمع ولا إلى ما نقول .. ولا نحن نقول .. ولأن
معمومات متشابهة ومحتوتة ، فليس لدينا استعداد لأن نسمع ما نعرف .. ولذلك
فلا كلام بيننا .. »

وعند نفس يقول لنا : أنه لا شيء يريح القلب إلا أن يقول ويقول .. إلا أن
يصف لنا في صدره ..

وكأن بعض العلامة صنعاً يضيق باللبس ، يحدار إحدى الأشجار ويحدثها ،
بما يعلم أنها لا تسمع .. ولكنه لا يستطيع أن يمسك ، وأن يطوى نفسه على
نفسه ..

و لأفعال يحدثون أنفسهم والتشويخ ألبها .
وقد ظهرت المقام في التاريخ لأن الناس يريدون أن يقولوا .. أي شيء .
« أرأيت في أي وقت وفي ذلك راحة لأنفسهم ..
وكذلك اعتراف المنسبين في الكليات .. »

و زدها الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع يحدثون بصوت مرتفع ،
بحسبهم يتحول ملائكة وشياطين .. ليكون بينهم حوار أو لصات .. فهو يخرج
« شيطان والملائكة من أعماقه .. يصعها يحترقها ، لأنه يريد أحد ، أحد
صحت فيه .. »

حتى سم عليه السلام قال شعرا . قلله لنفسه ، فلم تكن البشرية قد انحدرت
« عدا .. فقط أربعة نواتم ولد وبنت ثم ولد وبنت .. وأحد الولدين قد قتل
« عدا .. قال آدم شعرا ، يحدث نفسه ، قائم عليه السلام هو أكثر المخلوقات
« عدا .. بالوحدة والذهشة في التاريخ .. فقد جاء في كتاب « مروج الذهب ،
تاريخ عربي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي للمسيودي على لسان أبيه
« « ولعله العربية (١٢) :

تعبزت للبلاء ومن عليها
هوجت الأرض محير فحيح
نظير كل ذي لون وطعم
وقل بثلاثة الوجه السبيح
وجاورها صدو ليس ينسي

لعين لا يموت مستريح
وقيل فليل هليل صليما
هو ألقا على الوجه الملبح
صلى لا أجود بسكب دمع
وهليل يصممه الصريح
أرى طول الحياة على عما
وما لنا من هياتي مستريح ؟

وسمع آدم عليه السلام صوتا يرد عليه ، لعله صوت للشيطان ، سمعه ولم
ير ، قال أبليس ..

تنح عن البلاد وسكنيها
قد في الأرض صليق بك الصريح
وكنيت وروجه الحواء لها
آدم من أذى الدنيا مريح
فلزقت مكابيتي ومكرى
إلى أن فأنك لمن الرريح
فلولا رحمة الرحمن لأضحت
بكك من جنات الحد ريح

وبقال لي آدم سمع صوتا ولم ير شخصا ينشد هذا البيت :

أبا هليل قد قتلا جميعا
وصار الحي بالميت البريح !

فرداد آدم حزنا على أن الفأل سوف يكون قتيلا .. وأن كل من عبثها فإن ..
لقد استراح آدم عندما قال وعندما سمع من يرد عليه .. عندما كان هناك حوار
ما ، لو تفعل أن هلكه حولنا ..

والذين يترددون على أطباء المدن ليس من الضروري أن يكونوا مرضى ،
وإنما كل ما ينقصهم أن يجدوا أحدا يسمع إليهم .. فقط يسلط إليهم وهم
يتكلمون .. وكثيرا ما توهم المريض أن الطبيب مهتم به بصفة شخصية ..
فوجب الطبيب .. وتكون مشكلة خطيرة عندما تكون مريضة نمكي وثروى
والطبيب يمتنع باهتمام شديد وتتوهم أنه مهتم بها شخصيا .. أي أنه يحميها ،

هجرة هي أيضا .. ونصبح ونصبح مهمة الطبيب : كيف يحصل المريض من هذا الزخم .. فقد احتلظ الأمر على المريض .. فقد ظلت : الاهتمام المهني ، اهتماما عاطفيا شغفيا - ولكن المريض معنوية ، لقد وجدنا من يستمع إليها طويلا دون ملل ؟

وقد ضحكنا كثيرا عندما نشرت الصحف الأمريكية أن وكالة المستمعين قد أنشئت في أمريكا ، الوكالة أعلنت أن لديها مستمعين من كل نوع .. وأن هؤلاء المستمعين لديهم صبر عظيم .. وهم قادرين على الانشغال ساعات .. وهم قادرين على الإنصات إلى كل أنواع الكلام ؟ هي الرئاسيات والخطب والبريد والعلبة والدين واللاهوت .. ولدى المستمعين على استعداد لأن يجسوا إلى من يريد في أي وقت وفي أي مكان - ولأن يرتدوا من الملابس بحبها المتكلم .. وبصبرهم يستطيع التعرف على الهياكل أثناء الكلام ..

والوكالة أعلنت عن استعدادها لتزويد مستمعين قادرين على التحمل والمتابعة .. وأنهم بذلك يؤمنون خدمة عظيمة للذين يشعرون بالوحدة والبس من الحياة ..

ونقول الوكالة أيضا : أن هناك مستمعين قادرين على أن يشاركوا في الحوار - أرنت .. وقادرين على أن تكون أصواتهم هادئة وخشنة .. وإذا أرنت أن يصرخوك ، وبأن أرنت أن يمسحوا بدموعك إذا بكيت ، هل يترددوا .

في أن الوكالة تعمل عن استعدادها لإمداد الناس بكل أنواع الناس ..

وهذه الوكالة قد نشرت جدولاً بمواعيد الوجوه والأصوات والملابس وساعات الليل المناسبة لكل إنسان .. ونؤكد أنها أقل تكلفة من التردد على عيادات الأطباء النفسيين ..

وليس هي استطاعة أساتذة الفلسفة أن يفعلوا مثل مفراط .. أو مثل - سطر - فكلامهم بكلمة ماثيا على فميه : ثم هو يهرط الطولية بالمسؤول .. ويهرط عنهم بصبرها والتشكيك فيها ، وتشجعها أيضا . ثم يقدم معلومات وشريات جديدة .. إنه يستخرجها من عوالمهم .. كما تستخرج ، الموضة ، حواء من بطن أمه .. وهي تطلب منها أن تساعدنا بالصراخ . لمن صرخة عنه نذهب بالتطير إلى الخارج .. وكان مفراط يعرف : إنني مثل والنسي .. هي تستخرج المولود من بطن أمه .. وأنا استخرج المعاني الوليدة من عوالمهم ..

ثم بعد احد من الملائكة في ذي العلم ذكر على - يكون سفره - ولا يحل
 فسرور على - يكون ملائكة تنمسي في شوارع حيدر آباد -
 ولا انفسه هي انما توجب التي تسمى بـلا وها - ولا - عسكته انما حبيب
 هي انفسه - ولما العسك والملك والخواص - والامر - وانفسه
 وصعوبة - وعذوبة - وانما هذا - حركه اخرى - لا يهنيه بها

ولو ظهر سراط فسد في مادي اسكرور - و - هو ذاك البس نصيب
 بطرور - التي لا رحر - من صبي من الطير والوحش والندب - التي انما في
 سعة - لكن لا حمار فوق انفسهم وحسهم في - من التي بحسن - عسك
 وسرحها في انفس - فهد - سرح - لا سرح - التي لا يحل - انفس
 لا حركه - وانفس التي لا حركه - سرح - - عسك - التي لا حركه
 الشفاء -

بعد ان يسهو - انفس العسك المشبه - ونم يبهو هم صده المعرفه - به تحفه
 هذه الشقيه - من عسك - من العسك - التي - ثم سرح - حركه على
 هو ذاك البس - عسك - التي هو نفسه في البس - عسك - عسك - عسك - عسك
 لا يسهو - والامر - سرح - ولا حركه في الحركه - وانفس من تحت



كاهناته العالم

كأنها نهاية العالم

جلوساً بحن الثلاثة ..

أنا قلت : هل هناك معنى لهذه الحياة . جوابي : لا معنى ! هل هناك هدف من هذه الحياة ؟ الجواب : لا هدف .. هل هذه الحياة تسأري هذا العذاب .. هذا اللعاب .. هذا الهوان .. هذا النلل .. هذا الشعور دائماً بأننا ناهيون جهلاء .. وأنه لا وقت لأن نعرف .. إننا عرفاً فما قيمة هذا الذي عرفناه .. ثم ما الذي نعرف . أن الأرض أصلها من مادة .. والمادة لا شكل لها .. وفي الله هو الذي شكل هذه المادة .. ثم فلامحة يقولون بل ملئنا .. وأخرون يقولون : بل ثلاث .. وغيرهم يقولون : أربع .. وهممون يقولون بل أصل الكون ذرات صغيرة .. وكل ذرة روح .. وكل روح في داخلها برنامج .. في داخلها عقل لكنزوني يقول لها : انصبي إلى هذه المادة .. انصلي في حلف معها .. هي هذه .. في صداقة .. في عناق .. أو هذا الحيوان السوي يتردد بهذه البهيمية .. ليكون إنساناً .. أنا وأنت .. ليكن . ما المعنى ؟ ما الفائدة .. من الحكمة .. لا حكمة نحن فقط نحاول أن نجعل لحياتنا معنى .. أن نجعل لوجودنا أهمية .. قيمة .. مثلاً مثلاً .. نحن نحىء إلى هذا البقال كل يوم .. هل هناك هدف ؟ أبداً .. هل هناك معنى ؟ لا معنى .. ولكن إحساناً بنفاعة المشرور وهفافة المتحدث ، نحاول أن نجعل لأتقنا قيمة أو ضرورة .. فنعنده عن الذي سمعناه في الجوامع وفي جمعية الإخوان المسلمين .. بل أحياناً نحدثه عن الذي قاله الأساتذة في المحاضرات .. ونحاول أن نجعل كل شيء مفهوماً له ومصمماً أيضاً حتى اعتاد الرجل أن يسألنا .. إنه هو أيضاً يريد أن يهوى علينا هذا الوصف لثنافه .. نحن اعتدنا أن نقول ، وهو اعتاد أن يسأل . انتصا على أن نجمع له الحكايات وهو ينتظرها وأثناء ذلك يجيء الشاي بالشماغ ومحمول على كرلوس المحاضرات بالتضييق .. هل تظن أنه إذا لم يكن عبده

شأى بالسباع ، وإذا لم يكن يعمل تقييد الكرايس ، هل كنا سعب إليه
 وسحنه .. أذا .. فالرجل جاهل وصحته عياله وهو يبعث على الحرب
 والأنسى .. والمكالي قدر والريالة والوجل والندباب .. ثم إننا جالسون على قوالب
 الطوب وعلى مقاعد مكسوة .. والرجل ليس لحسن حالاً من بقية أصدقائه الذين
 جاءوا لأنهم يريدون ذلك .. ولأنهم مزبظون به عائلياً وتجارياً .. ثم إنهم
 يتدلمسون في حدود صيقة ، إلهات القرائن للكريم والأحاديث .. أكثر من ذلك ..
 أما رانيا ثلاثاً من بيلته .. إلهات جميلات ، طلائع متلها .. وسمي أن يكون
 بيت حديث هذا أو حتى في الجامعة .. لم نمك من تلك إلا لحظات .. ولكننا
 نريد .. وأنت شعصها لم نعلم في الزواج من واحدة منهم .. بل إنك اقترحت
 أن تنزع من القبيات الثلاث . ألم يحدث ذلك ؟

قال القائل : عينا في ، لنعود ، وهو كتاب اليهود الأعظم في الإسكندر
 رار أحد الملوك . فجلسه الملك إلى جواره . وجده رجلاً يتشاجر
 ويحتكم للملك . قال الرجل : يا جلالة الملك أنا اشتريت منه بيتاً وهدية
 وجدت تحت البيت كرا منهدبة إليه أرد له الكرز .. لأنني اشتريت البيت فقط ..
 ولم اشتر الكرز .. وقال الرجل القائل : أنا بعث له البيت . بما فيه .. بما نحته
 وما خوفه . ولذلك علينا لا نستحق هذا الكرز ...

وصحك الملك : هل لك ولد ؟

قال أحد الرجلين : نعم ..

وسأل الملك الرجل الثاني : هل لك بنت ؟

قال الرجل : نعم ..

قال الملك : إن لي زوج الولد والبنت ، سيكون الكرز من نصيبهما !

أما الإسكندر فقال : لقلوب عينا أن من يجد كرا في أي مكان فهو من
 نصيب الملك !

فقال الملك للإسكندر : هل تشرق الشمس في بلادك .. هل تشرق الأمطار ؟
 أجاب الإسكندر : نعم .

وسأله الملك : وهل عندكم حيوانات ؟ أجاب الإسكندر : نعم ..

وسأله الملك : إن هذه الشمس وهذه الأمطار تنبت الزرع لتأكله الحيوانات

٢٠ - وليس يأكله العلك لعالم

معنى : هذه التي ... هذه العلكة ... حيث ... ونحن نسطه
... اعطى من كل لعل ... اعطى من هؤلاء الفلاسفة الذين عذبوكم

... في السموم ... العلكة سليمان قد يده إلى ... فأنظر بعينه وبركه
... وكيفية ... له ... اعطى منك ... كيف ... فحينئذ
... بحيث ... أنا على ...

... لا ينبغي من ... حيث ... ولا ...
... هي ... حيث ... حيث ... لا يفعل
... ولا أقصد الطريق إليها ..

... هي ... هي ... ولا ... وما ...
... العلكة !

... في ... كذا ... في ...
... العلكة ! وكيف أعرف لي هذه ألف ؟

... العلكة ... كيف ... كيف ...
... العلكة !

... العلكة ... كيف ... هذه ألف !

... العلكة ... في ...
... العلكة ... في ...
... العلكة ... في ...
... العلكة ... في ...
... العلكة ... في ...

... العلكة ... في ...
... العلكة ... في ...

... العلكة !

وعندما هي « التلمود » قواير كثيرة مثلا : أن رجلا تلقى ببصمة فأغرق
مئتين مدينة . وأن سيده مصريه أنجبت ٦٠٠ ألف نسمة ..

حل العروسة الأولى : أن رجلا كسر ببصمة فوق ورقه مكتوب عليها اسم
مئتين مدينة ..

حل العروسة الثانية : أن السيده هي أم موسى عليه السلام : أنه مكتوب عندما
في التلمود أن موسى يماوى الشعب اليهودى كله !

باختصار شديد نعلم أن الكتب كل الذى قلناه الآن في ورقه وأرسي الورقة
في القبالة .. أو أنهما في باطن الأرض في احتفال هيب بلق بصداقتنا
وأحوسا ومحبتنا وحرصنا على أن نعيش معا ونموت معا حتى نسرير من
وجع النعاج وسرع للحياة !

قال ثالثا : أسي مريسة جدا .. شعاما الله .. وهى عندما تقيم من للتوبة
تدور لنا بالتهنأ .. وقد تعلمت منها شيئا أشكرها عليه . ههى ليست لديها قدرة
على التفكير .. ولذلك فأنا أكتب لها للحكاية الواحدة عدة مرات .. وإذا حدثت
أن أتوقف لأنها غير قادرة على متابعتى ، فلها تلح في أن أقول .. وقد تعلمت
منها أن « أروح » إذا جلست إليها .. لأنه لا معنى لأن أقول ، فهى في حالة
شباب مستمر .. أن قدرتها على الفهم ، تشبه أحياء اليد العاجزة عن الاحتفاظ
بأى شيء .. فلا هى قادرة على الفهم ، ولا من الضرورى أن أقول لها أى
شيء .. ونحن إذا جلسنا معا .. هى تنظر باهتة ولا تترنى ، ونصلى
ولا نسمع وأنا نأظاها بأى أقول ، ولكنى لا أقول .. وأنظاها بأن أسمع ،
ولا أسمع وبمنتهى الصرامة أنا لم أسمع شيئا من كل الذى دبر بينكما .. ولست
أبدا على ذلك .. فقد عرفت الحلاف بينكما مد محرات .. ولكن الذى يهمنى
جدا أنا لصداقة رغم هذا الحلاف .. وهذه هى الحياة .. أنا سواء كنا راسين
عنا أو ساجدين ، نحن ما يزال أحياء .. والثنى الوحيد الذى يجعلنى أحتمل
هذه الحياة ، أن عتدى أصلا هى أنها سوف تكون أصل .. هذا ما كل يقول
أبى ، يرحمه الله .. وقد بدأ حياته صغيرا جدا .. ولكن بالإصرار والشجاعة
والصعوبة صار أكبر وأغنى ، واتسعت حياته وتلقت .. وكلى عنه أمل فى
أن يكون أصل لنام .. وقد ورثت منه ذلك ، كما ورثت تعصبة الديس ..
والعصوب هو الذى علمنا : أقرعوا بفتح لكم .. أى أن الإيمان يجب أن يبنى

الباب .. وأن ينق .. هوف يجد أمنا بفتح .. عى رغبة أو عى رهبة لو عى
 هيق . ولكن لابد أن يفتح القلب .. ومن ورائه باب تلى وثالث .. ولا شيء
 يدل على أن حكمة النشم عندك أنت قوية إلا رهيبك لهذه المسطعة للكرهية
 الراحة .. ثم تصورك أن الدنيا كلها كذلك .. ولا شيء يدل على أن حاسنى
 النشم والنظر عندك أنت ضيقن إلا عدم إحساسك بتقبح هذا المكان وبشاعة لونه
 ورائحته .. ولو أحسست مثلاً ، تكرهت الدنيا كلها .. ولكلك تقبل الدنيا كما
 هى .. ونريدنا كذلك !

وبهنا فجأة قد مرت سيارة ملكى بمروعة .. وفدت بالماء والطين علينا
 جميعاً . ونظر إينا للماثق ولم يستتر . ومعهم حق .. فما الذى يتوقعه أنس
 جنسوا على حافة بركة فى شارع مليء بالحركة ؟
 وكأن الماء والطين كبرياج لسماء .. هابعدنا ..
 وعندنا اقتناع صامت بأن الذى أصاب ملابسنا ، ليس أسوأ من الذى أصاب
 عرصنا ..

قال لحننا : للماء والصلبوى يعمل ملابسنا ، ولكن الذى هنا (وأشار إلى
 رأسه) والذى هنا (وأشار إلى قلبه) والذى هنا (وأشار إلى يديه) ما الذى
 يصمله ؟

نحن الآن فى أواخر سنة ١٩٤٥ ولست عى حياتنا أحداث هامة .. فلحياة
 ليس لها طول ولا عرض ولا وزن .. تنكرت ما كنبه الأستاذ المقاد عن أيامه
 عى شجن .. فكان يقول أنها لحيتنا تكون فى وزن الحجارة .. وأحياناً تكون
 نرباً فى حاجة إلى كس .. ولكنها تمر به أو يمر بها .. ولكن أليامنا بعزلها
 بكثرة السؤال : اليوم مالنا ؟ هفتال : الأرباء .. اليوم مالنا ؟ هفتال : المطبع
 عشر .. أينس اليوم ١٩ ؟ هفتال : لا .. بل خمسة وعشرون من شهر ملنا ؟
 هفتال : من شوال .. أو موفبر .. أو برمهات ..

مات لد مدرس .. ومن بعده مفت عم درويش أهم شخصية فى بويه
 لكتبه . وهو الرجل الذى يعطى بحساب .. ولكن الحساب يتأخر مداده شهراً
 حد شهر .. إنه شخصية معوزية فى حياتنا .. تبدأ به اليوم بالتمسلة مبالغ فيها
 جدا . هنذك أنه لا يوجد مستأقوس .. فلنا دفع واحد منا لندهش الرجل وراح

مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...

مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...

مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...

مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...

مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...
 مع ...

وكل صندوق مال وأرسل ومجوهرات .. وصنعا ما هو أجمل من كل ذلك :
وجهها .. أجمل الأجود التي رأيتها . وصونها أجمل من وجهها .. أما قلبها
فهو أجمل وأكرم وأصدق من كل القلوب ..

رحت أربور المدرسة التي تعلمت فيها وأرى لسانتي . لم أجد . احترقت
وانهارت بعضها فوق بعض .. انتقل والذي إلى : العولة : ليجد رعاية أكثر
من إخواني .. بقيت لمي وحدها في البيت ، أشد مرضا . فررت ألا أكل هي
البيت حتى لا تصطر والذين أن تتحرك من هوائها . وسألتني في دهشة بالغة :
ولكن لماذا يولدي .

فقلت : إن الجامعة قد جعلت من حق الطلبة المتوفين أن يسلموا ويسموا
ويتعلموا على حسابها ..

ولم تفتح والذين .. ولكن هذا قرار .
وهي يوم جامعي صاحب البيت يسألني : قولي يسعدنا الأهدى .. ولماذا
لا نعمل في الجيش الإنجليزي ..

.. أحمل ماذا ؟

.. أي شيء ..

.. مثلا ..

.. في الورش ..

.. ولكني ..

.. أنا كنت مثلك لا أعرف أي شيء ولكنهم علموني اللعام بالأكسجين ..
وعلموني الفك والترابط .. والآن كما نرى الحمد لله .. الأشياء محسنة .. ثم أن
هناك كثيرا من طلبة الجامعة يعملون أيضا .. ما رأيك ؟

قلت : ذهني أفكر .

قال : إذن أنت لا تريد أن تعمل .. لأن هذه مسائل لا تحتاج إلى تفكير ..
والعمل ليس عيبا .. أول شيء .. أنه سوف يمكنك من أن تترك هذا البيت ،
نعيش في بيت أفضل .. مادام أفكارك الذين يملكون البيوت الحلوة هي أقرمالك
وفي الأهرام والعمودية لم يصعوا في عيونهم حصوة ملح ويعطوك شقة .. أنا
نرى أن هنا أفضل ولكرم - ماذا نقول ؟

وبعدنا بنام جامعي صاحب البيت يقول : أريد أن أعرفك بشخص موجود
عندنا . تعالى ..

وصاحب البيت كان يسكن في الدور العلوي معجأه إنه صابط في الجيش
الإنجليزي .. ويتكلم العربية . وقد أقام له الرجل وثيمة : التذجاج المحمر وعلى
ترابيزة أخرى بطيخة . وكان الرجل لطيفاً وابن بكتيه . تكلمنا بالإنجليزية ..
ثم فصلنا اللغة العربية حتى يشاركنا صاحب البيت في الحوار .

ويترجم بقوله : إن بعض أصدقائك يعملون معاً في المناسبه .
ثم ذكر لي أسماء أربعة من الأصنفاء .. وقد هيمت لعلنا لم أكن أراهم ..
في معظم أيام الأسبوع . وإذا ذهبت لسأل عنهم قول لي : سافرو .. خرجو ..
بالمعون ..

ولكن أكنأ منهم لم يترك شيئاً من ذلك . فلا يزال للعمل مع الإنجليز مما
يحصل منه المواطن المصري .. أو المثقف . أو الطالب الجامعي .. فهم
يعملون عملاً شديداً لا علاقة له بالسياسة .. أو لا علاقة له بالاحتلال
البريطاني لمصر .. فالإنجليز موجودون .. ولن يهبط أو يقصر أعمارهم ، أن
بعدهم أهم أحد من العمال والفلاحين أو المثقفين ..

ولكني لمست في حاجة إلى عمل .. فذاً لا أريد أكثر من القليل الذي أملكه
من أي شيء ..

وكان عدي كلب مات .. وحررت عليه . ولا أعرف بالصبط ما الذي
أحرقني .. كان هذا الكلب يشم رائحتي قبل أن أصل إلى البيت بوقت طويلاً ..
وكانت الجليق مصارة مستوحاة من موسيقى الموسيقى الروسية برونويز .. من
مقطوعة « الراعي » .. فإذا سمعته الكلب راح ينبع ويهوى .. وقد حدثت عن
ذلك لأنه برعج والدمى .. ثم إنني كنت أعود إلى البيت من شوارع عكس اتجاه
الريح حتى لا يشم الكلب رائحتي ويهيج ويزعج والدمى .. مات .. وكان كل
الذي يربطني به هو الترحيب من بعيد ومن قريب .. ثم أنه بجيء وبتمتد عدد
فخمي .. فلما بحثت كالي عدد فخمي .. وأحياناً عند رئيسي .. وكان يستغرق في
القوم وله تشخير .. وكان يوقظني فكنت أثرك له المبريد وأروح أمام في غرفة
أخرى .. مات واعتقدته أفساحي . وعكزت في أن اتى بكتب آخر .. ولكن لم

حـ . ولم أجد مسمى تطاوعى أن استبدل به كذب آخر . فهو لم يكن كذب .
ربما هو صديق زميل .. أحد أفراد الأسرة !

وفي يوم وجدت أمام مريزى ثعلبا ميتا كيف ؟ لا أعرف . وقد تكثر عليه
من بهشه وبحوله إلى مسحوق .. هل وقع من السقف . هل مات وجبوه
سـ . احس العرفة .. هل هي نهاية معركة بين الثعلب وبين القطةط .. ممكن .
هـ . جميع رأب الثعلب . لقد ابتلعه إحدى القطةطط .. مات .

ـ سمعت من والدتي أنها أخصت بمعركة صامتة بين القطةطط .. ولكن لم نسمع
هـ . سجد الثعلبى . معركة القطةط مع الثعلب !

ـ سبت كراسه إحدى الزميلات في الدرام .. وتصابحت جدا . وكان لابد من
سـ يكراسة أخرى .. أى لابد أن أعيد بف كل المعاصرات .. نط واسبح .
ـ عنها لها في أقرب وقت مع الاعتذار الذى فرجوا أن يكون معيولا .

ـ في ثلثين اصطدمت بشيء على مسدة بين العرب وتخطمت كل الأكراب
ـ ذاتى . وبرعت وشامت .. وأحسست كئسى في نهاية العالم .. هاليس
ـ كلاب والأشياء محولتي تنعطم .. وسعنى .. والأصغاء يشغرون ويبعدون .
ـ جيسى أتمشى وحدى بين الكتيك كات هي أصابه وكاريمو الحمام في الجيرة ..
ـ حـ نمتا . ولا أعرف كم استغرق من الوقت .. وأمام مستشفى المجورة
ـ هـ . تي ، العواصة ، التي يملكها واحد من إخواني ويام هييا تبي مريضا .
ـ ذـ أعرف هذا أقول .. ولا هو في حاجة إلى أن يقول .. إننى حزين وهو
مريض وحزين أيضا .. وكثيرا ما أحسست أنى لا أتمشى ، وإنما أنا أتمشى
في حجرة كل المعانى وكل الناس واليوم والعد .. وحدى .

ـ سـ شئى أنى هي بعض الأحيان إذا وجدت جسارة في الطريق ، أسمع
سـ تشبهين ورجت ليكى إنها رعتني في الكاء ! إننى لا ليكى أحدا . وإنما
بكي نوب .. اعصر عيسى واعصر قلبى وعقلى .. إنها الرغبة في التفرج
عـ نفس ..

ـ وعصا أزداد حزنا وهما وعصا وفرقا من الدنيا ، فبنى لبحث عن صديق
ـ لا يكف عن الصعك . ولا أعرف كيف . بينه يبعد عن بيتنا عشرات
أمت . ولكنى أشعر أن المسافة بيننا أكبر وأطول وأعرج وأعقب من هذا .

بكثير .. من أين يأتي بخفة الدم والنظر إلى الجوانب المضحكة أو الهزلية من كل شيء ؟

وهي إحدى المرات كما يصلي في مسجد سيدى اسماعيل الإمامي . فوجدته يخرج من الصلاة بسرعة وقد لمحت الضحك على وجهه . وبعد الصلاة وجدته يتساقط من الضحك . وسألته قال : إنه اشترى بعض السمك المقلّى ووصمه إلى جوار المنبر بالقرب من إمام المسجد .. وتكررت لى الإمام بحاف من القسط . وأنه لا يستبعد أن تنهى قطة تبحث عن السمك .. وخشى أن يضحك بصوت عالٍ إذا جاءت القطة وهرب الإمام !
ومضى يضحك ..

ورأيتهم تدعوا إلى الغذاء والنعشاء وتحرس على ذلك وهي سيدة لطيفة كريمة . وهي عندما نأكلنا عن أحوالنا ، فإنما تعنى ذلك .. وهي تحرب كل شيء عن أصدقائه لها .. وهي قد ذهبت إلى بيوتنا جميعا وهي سيدة قوية احتارت له أصدقائه هكذا :

فلا هذا أحب أن نعرفه . فهو منقذ وعلى خلق . وهو يحبك .. وفلان هذا ليس منقذا ولكنه متدين نظيف .. وهو يحبك .. وفلان هذا من أسرة كريمة . وله أخوات بنات . ولذلك فهو لا يستطيع أن يؤذى بنات الناس . وهو يحبك .. وفلان هذا عينه مليئة وأمه لا ترفع عنها عنه وعن أخته . وهي سيدة كاملة وقد رأيتها تربي أولادها بحزم . والكلمة كلمتها . وأعجبني أن أولادها يقولون بديها وأحياناً بديها ورأسها . وهي تصر على أن يفتخروا بذلك . هي سعيدة . وهم سعداء ..

وفي أعقاب ميلاد أولادها كل لابد من عمل المسابقات التي تنتهى بأن يعرض كل الأصدقاء . هذا ببطلون وذلك بقميص وثالث يملع من المال ورابع برجاجة نواه وكانت من نصيبي . وعرفت أنها زارت والثنى . وعرفت جدتها إلى هذا النواه ..

وكانت هذه السيدة : مسنورة ، أو هي غيبة جدا . وكريمة جدا . وكانت أما لنا جميعا . وكانت تحب أن يناديها بكلمة يا ماما .. وكانت تقول : أن أم لكل أصدقائه أولادى !

ووجدنا فيها أكثر مرحا من كل أولادنا ..
وكانت تصيحك وتقول : أنا كنت أريد أبنا هو خليط منك أنت ومن ابني ..
بعض العقل وبعض الهرق !

وهي منكراقتي كنت :

نحن إذن في نهاية العالم .. انتهت الحرب .. وبدأت تصحبات العمليات ..
ألمانيا استسلمت .. الأمريكان هجروا أول قبلة درية في الصحراء .. وعرفوا
الطاقة التي تنطلق من الثورة إنها انشطرت . مجت النجربة . وأسقطوا أول
قبلة درية يوم ٦ أغسطس على هيروشما .. وقبلة أخرى يوم ١٣ أغسطس
على نجاركي .. واستسلمت شيبان بعد ذلك بعام ..

الإيطاليون أعدموا موسوليني .. وبعدها بيومين انهم هترو زوجته لها
براون .. وفلترنجون أعدموا رئيس وزرائهم لافال الذي كان حميلا لهتلر ..
وحكموا بالموت على قائدهم الجنرال بيني ، ثم لكتفوا بسجنه مدى الحياة ..
ومات روزفت ..

والنرويج أعدموا الحائ الأول كويرنج .
والمصريون قتلوا أحمد ماهر رئيس الوزراء ..
وبدأت محاكمات نوردينج - محكمة القننة للناربي ..
ومات في هذه الحرب أكثر من ثلاثين مليون نسمة !

وخرقت في أوروبا وأمريكا والقفارات الأخرى ملايين زجاجات الشمبانيا
لبنهاجا بيوم النصر : ٨ مايو سنة ١٩٤٥ ..

ومات الأنبي الفرنسي بول فاليري .
والأنبي النمساوي فرتس فرفل .
والفيلسوف الألماني كسبر .
والموسيقار الإيطالي ماسكني .

وأصبح نينو رئيسا لبوغوسلاها .. وديجول رئيسا لفرنسا .. وطايت
للمنظمات اليهودية بضرورة هجرة مليون يهودي إلى فلسطين .. وأعلنت الدول
العربية أنها سوف تحارب إذا قامت لليهود دولة . وتأسست الجامعة العربية ،
لمواجهة ذلك ..

وتأسفت الأمم المتحدة ، عنكما واقفت ٢٩ دولة على ميثاقها ..
ولكشفت الأطباء : فينلدين ! ..

وأعلنت بريطانيا عن احترامها للعظيم : الزنار ..

والكشفت أن الزميلة ، س م ، تحب رجلا غيبي ربهها يحيى .. حتى
أنت يا .. لكن لم أكل لها شيئا ، ولا هي قالت . ولا دار بيت حوار .
ولا صلة .. ولا علاقة . ولكن إحساسي ، بأن واحدا آخر كان أسرع .. كل
أنكى . فتهد العرصة .. وصل .. لا أشعر بالبعد عليه ، ولكن عدى الشعور
بالحمية . رغم أنني لم أناول . شيء مصحك : فلا أنا تحببتها ولا قادر على
ذلك .. فالحب نرف .. فالحب كمثل تلك سيارة وغيازل يكون في جهنم مائة
جانبه .. كل ذلك نرف .. سابق لأوانه وقد لا يكون له أول . ومع ذلك
تصلقت وحزمت .. وعلى الرغم من أنني أسخر من نفسي ، ولكن أجد شيئا
يوحى .. هنا أو هنا .. لا أعرف كيف أمدد مكان الألم ..

حتى أبتة بالغ القلب في إعجاب ، لم تعد تكلمني .. ولم أهتم .. ولكن عرفت
أنها شكت لو ألدنا أنني أحبنا أنظر لها نظرات أئمة .. والحققة أنني ، لروح ،
ونكون نظري في أي اتجاه .. وعلى أي شيء .. ولو عرفت هي ماذا هي
تدعني ، ما خطر على بالها شيء .. فأنا لست ، هنا ، ولا هناك ، .. أنا حائر
بين كل الأشياء والنفوس والمعاني ..

وفي الناس ضوة .. تنظر في عيونهم . إنهم أنسى وأصب وكثير شرارة
ما تتصور .. رأيت ذلك عند العصب وعند الحسد . وعند الفجاح ..

ولكن أنسى ما صدفى يوم كما نصلي في مسجد سيدنا الصديق ، ولأول
مرة . وكما وراء الإمام ، وإذا برجل عجوز يسكن من ملاسبي ويطلب مني
أن أخرج قصورا من المسجد .. مدلتني :
الرجل - أنت شارب !

قلت : ماذا ؟

قال : هل شربت ؟

قلت : عصور قصب ؟

قال : بل خمر ..

قلت : أعوذ بالله .. عسير قصب وهزلاء ألبسا .

واشرت إلى زملائي ..

واقترب الرجل من أفواهنا وراح يشمها ويطلع بأنها حمير ثم ينتف إلى
نفس كأنه يريد رأيا علما .. وأخرج أحد الأصدقاء رجلة صغيرة بها عسير
قصب كان قد أحاطها في جيب الباطو .

وعتذر الرجل .. وخرجنا من المسجد دور صلاة . آه لو رأيت ما في
عبور الناس .. وما في عيسى هذا الرجل . منهي الوحشية .. !

ومثلنا المرشد المأم للشيخ حسن ألبا . فقال : إي بعض الطر إنم .. وهو
لا شك رجل إنم .. وعنده مقول إن شاء الله !

ولم نسترخ إلى ذلك ..

وقال صديقا الذي لا يكف عن الضحك : أحمدا ربا .. لو كنت مكانه
ضربنكم جميعا بالهزيمة وأطلقت عليكم الناس .. ثم اعتذرت لكم بعد ذلك ..
لأسي ضربنكم بالهزيمة .. في مجيل الله !



وفي الليل ألف حولي الأصدقاء جادين وقالوا لي : لا بد أن نتلقى
جر . لا بد .. كلهم يفعلون ذلك !

قلت : ولكن نعرض أن الصوت لم يجههم

.. لا .. صوتك علو .. لا بد أن نتلقى أجرا ..

ودفينا إلى حلاق واحد . ولرئينا القمصان والبطونيات النطيفة .
وحضرت .. وسرنا على أقدامنا من لمبة إلى مصر الجديدة .. وظلنا نبحث
عن العروا حتى قرب منتصف الليل .. ولما يشنا غروا أن نجلس على
ترصيب ومعنى لألبسا .. وقهاه لكتشف أحدا أن العروا قد سبه في جيبه .

ولم يكن البيت بعيدا .

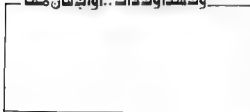
وسرت الليلة بسلام ..

قال أحد الأصدقاء : لم تسألني إن كانوا قد ذهبوا أجرا .. لقد دفعوا هملا .

.. هـ الأجر في مطروف محوول .. حلال عليك يا عم !



ولا هذا ولا ذاك.. أو البشاشان معا



وللهذا وللاذالك .. أو اللذان معا

كل الناس يتكلمون .. ويتحتمون .. ولكن أحدا منهم لا يتحدث معي .
وإن أشارك في كل القضايا - ولا أعرف على أي أساس أعمل ذلك - فلنا
لا أتبع كل الأحداث السياسية والاقتصادية والأدبية ولكن يبدو أنه من
الضروري أن أشارك بكلمة .. أو عبارة .. أو محاولة لإنهاء المناقشة ..
ولا أدرى بالاصطفا ما هي القضية .. ولكن الشيء المؤكد هو أن الغيل جدا من
سي أسمعه وأشارك فيه ، ينبغي في رأيي ..

ولما أعترف بأنني لم يكن لي أي اهتمام بالسياسة من أي نوع .. ولذلك
لم تكن أفرا الصحف بالنظام - أو حتى أفكر في قراءتها .. ما الذي كان
يشغلي في تلك الوقت ؟ هو كل ما يشغل الطالب المغموم الذي لا يعرف
وجهة أو طريقا أو غاية .. ولم تكن عندي (جاية من قبل هذا السؤال :
وبعد ؟

أي بعد التخرج هي نهاية هذا العلم سنة ١٩٤٧ : ما الذي سوف تفعله ؟
.. تريد ؟ لابد أن تكون لديك فكرة واضحة - هذا هو السؤال الذي أسمعه من
كثيرين مع الضغط الشديد على كلمة : واضحة ، وهي الكلمة الوحيدة التي
لا تجد لها معنى عندي .. فليس عندي شيء واضح في أي مجال لا في الدين
ولا في الفلسفة ولا في الفسي ولا في العلاقات التي بيننا ..

ورغم ذلك فالوصوح مطلوب دائما .. أي مطلوب أن أقول : ما الذي أريد
.. عنه بعد التخرج ؟ هل أعمل دراستي وأحصل على الماجستير والدكتوراه
.. أكون مدرسا في الجامعة ؟ إن بعض أساتذتي قد أكتوا لي ذلك .. ولكن هل
مصحح أن أظل طالبا ضمن صفوف أخرى ؟ ماذا لو مات أبي ؟ ماذا لو عجز
عن العمل وظل مريضا وأمي كذلك .. ماذا لو طلب مني والذي أن أعمل ..
.. أو اختصرت كل هذا العذاب وعالوت التفكير في الانسحاب ، لقد جعلتها في

إحدى السمات . وهذلت حشيتي هي أن ألقى بنصي هي التبل .. إنسى مهياً نصما
لهذه الفكرة لسبب بسيط : هو أنه لا شيء يساوى . ولا شيء له معنى .
ولا شيء له هدف .. ولا حكمة لوجودى وللوجود كله .. ولا راحة أراها اليوم
أو غدا .

وفي يوم جاء عدد كبير من أصدقاء والدى وكانت مفاجأة . فليس من
المألوف أن يزورنا مثل هذا العدد من الناس مرة واحدة . وأعدت أن أكره
سوعير من الصيوف : الأطباء وبعيه ابنان . فالأطباء يدخلون ويخرجون
ويتركون الأنوية وأجادون الفلوس والأمل . وبعيه ليس لا دعوى لأن تراهم
هنا لا أصدقهم .. أى لا أصدق ما يقولون ثم أنهم يجلبون في صيق شديد
لنقولوا كلمة أو ليرفعوا والذى بأن نعد لهم الطعام والشراب وتنتظر بأنها في
صحة جيدة والذى أيضا .

في تلك اليوم قالوا لا شاي ولا قهوة .. نحن قادمون نوا من المقهى ..
جسا للسلام والتمنية .. نعال الحظس معا .. نعال .

أهدم من حزب الوقت . رجل سبلى أثيق . وأطعم من أصل تركي ..
لا أعرف بالصيوط .. هو ليس أجمر له لهجة أنسية هي الكلام . هو الذى
بدا لعمدته هكذا : وهذ مكسب العصابة .. سوف يشكو بريطانيا إلى الأمم
المتحدة بعد أن قطعنا العلاقات معها .. وسوف يساعد السودان على الحكم
الذلى .. ثم إننا رفضنا مصمم فلسطين بين العرب واليهود .. ولكن بريطانيا
المعلومة هي التى سمعت الهند إلى دولتين .. الهند وبرأسها نهر وباكستان
وبرأسها على حى .. وشجعت منطقة كشمير على الانضمام إلى الهند لتعصب
باكستان ..

وقال آخر وهو باظر مدرسة سابق . يا سيدى هذه حكايك طويلة جدا .
السباسة حبالها طويلة . وإذا لمطعت إليها نلتهم من نفاق نفسها . وكما أن
الانجليز احتلوا مصر ثمانين عاماً وسوف ينافسهم في السياسة مثل هذه للعدة
وربانه . نحن نريد من يفكر لنا في حل مزيج لانهش البلاد فصائياً .

لأمريكي اخترعوا مشروع مارشال لاتخاذ أوروبا من التمار والحرب .. وهذا
لمشروع هو احتلال أمريكي لأوروبا إلى جلب الاحتلال العسكري .. وأنت
ما رأيك ؟

إنه يقصدني .. رأيي ؟ وهل من الممكن أن يكون لي رأي ؟ وهل أنا فاهم
كلمة واحدة مما يقولون ؟ لقد ذهبت من باب الامتناع لتفوج على مصطفى
المحاسن باشا وهو يحطب .. وسمعه ورأيت .. فكنتي لا سمعت ولا رأيت .
(سي مشغول بما هو في رأسي من أفكار غير واضحة .. هذه الأفكار مثل طيور
جارية تنصيح وتنصارب بالمناشير والمخالب .. معركة .. ولا أعرف السبب ؟
هي تريد أن تقصي على بعضها البعض .. هل هي تريد أن تحطم رأسي ..
وتهرب منها .. أو تحطمها وتتهشها .. ولماذا ؟

وكان لابد لي أقول .. مثلا : لابد لي يهرج الانجوير من مصر بالقوة ..
كل الغزاة بالقوة .. وأن تبقى القوة في ليبيا . حتى إذا خرجوا . ان يعودوا
مرة أخرى .

فقط لي : ولكن تعرض أنهم يريدون لي يخرجوا بالقوة . فهل لابد من
اللجوء إلى القوة .

قلت : لا أحد يخرج بالقوة ..

فهل : تعرض أنك نصليقت من وجودها فهل لابد أن يصريها لكي نخرج .
حتى لو قلنا لك دقيقة واحدة وبمدها سوف يعود إلى المعنى .. قصر أنت على
صربنا بالجريمة لأن أسوأنا مرتفعة مرعبة لوالديك ..

قلت : ولكم لا تمشون البيت .. أقيم زوار ولستم غزاة ..

- ولكي تعرض أنه خطر لنا أن نحمل البيت ..

- بالقوة . فوتي وهوة الجيران والبوليس وحتى الموت ؟

- شجاف .. ما يزال صغيرا ..

هنا ثالث وهو طبيب المركز وهو من اقارب والذي وكثير السؤال عنه ..
ولكنه من التندر أن يبدى رأيا في علاجه .. فهو طبيب أسناني .. قال هو
الآخر : من كل أحداث هذا العام أعجبنى قرار البرلمان الهندي .. أنه لا عبود
بعد اليوم . حتى الهند طائفة من المسيحيين . لا يقرهم الناس . بل لابد أن
يمشي الواحد منهم على مسافة أمتار من أي موضع عادي .. ولهم رى
خاص . ولا يحق لهم أن يفتكوا أو يشربوا إلا بعيدا عن بقعة الناس . البرلمان
الهندي أصدر قرارا بأنه لا عبود بعد اليوم .. الإسلام قرر ذلك من ١٣ قرنا .
إنهم المؤمنون إخوة .. لا فصل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .. الناس
سواسية كأسنان المشط .

ولكن المسافة كبيرة جدا بين القرار وبين تطبيق الناس لهذا القرار .
صحيح .. ولكن القرار قد أصدره مندوبو الشعب للشعب ورأوا في بقاء
هذه المعرفة المصرية إغاية للإنسان ..

أنا أرى كرجل مشتغل بالمعلوم أن أعظم خطر بشرته الصحف هو أن عندما
كثيرا اسمه يكتف في كل جسم ينور . كالنجوم ولكن أكت في السماء .
يخلق مجالا معنطيميا بل ليس الأجسام المادية وحده . وإنما البشر
أبصار . والإنسان الذي يسافر ويصل له جانبية . بل سفر خاص .. والناس
يلتفون حوله يسمعونهم ويكلمونه . ونحن نلاحظ أننا كنا نتهاق على عم محمد
يفستور ولدى . فهو قد رأى الدنيا التواضعة . وحفظ الشعر ونقش بشعره
والمطربين والناشوات .. ما رأيك أنت ؟

ولكن لم يكن لي رأى .. وكلما فكرت لهم أنى سوف أنجح رأى على
أن يهاجم ويستند ليعرج إليهم . ممنوني من ذلك . وقالوا : اجلس مع
نحن فقط يريد أن يشعر وذلك أننا جئنا سائل عنه . ولا داعي لأن يرهق
نفسه .. اجلس .. ما رأيك ؟

ولا رأى لي .

قال أحدهم : أنا سمعت من والدك أنك تذكرك . صحيح ؟
قلت : معارلات .

هل تقرأ لنا ما كتبت ؟

. ليست مذكرات .. وإنما هو نوع من تسجيل الأحداث .. ولا أعرف إلى
كنت مأخوذ إليها وأكتبها بشكل آخر ..

ومست بدى إلى إحدى كرايس المحاضرات .. وأخرجت منها بصع ورقات
صغيرة وقلت : ليست مذكرات .. إنها رصد للأحداث التي تهمني أو التي يجب
أن أعود التفكير فيها .. مثلاً : ظهرت أخيراً رواية « كنزور هارمون »
لـ « لايب الأتماني » توماس .. ظهرت رواية « الطاعون » للأديب الوجودي
نيرسي كمي .. ظهر كتاب « الوجودية » للفيلسوف الإيطالي روجيرو ..
ظهرت مسرحية « عربة اسمها اللغة » للأديب الأمريكي توماس وليندر .. ظهرت
مذكرات « العاة » .. « أن فرانك » .. التي نجت من مذابح النازيين لليهود في
هولند .. اكتشف اليهود « لغات البحر الميت » في وادي قمران .. وهذه اللغات
سحنت عن حياة اليهود في القرن الأول قبل الميلاد .. وفاة أعظم عالم هزباتي
في كل العصور اسمه ماكس بلانك .. وفاة هورد حنترع الشهيرة المعروفة
بـ « روك وزامه » ثروة بلغت تسعمائة مليون دولار .. استطاع البحار الروبجي
« هيردال » أن يبحر من بيزو إلى جزر بولينيزيا في ١٠٦ يوم على ظهر زورق
خشب .. في نفس الطريق الذي سارت فيه الهجرات قبل التاريخ .. ظهور
« طبق الطائرة » في أمريكا .. وفاة الفيلسوف الإنجليزي هوبتنك .. وفاة رجل
محادثات الأمريكي الإيطالي الأصل آل كابوسي .. وفاة المطربة « سمها » ..
« سمها » .. ولكنها مئذت عرقاً في النبل منذ ثلاث سنوات ..

. ولكي لم أسمع بهذا النبأ إلا أخيراً .. وحررت عنها .. ولم أصدق
عسيها التي تقول فيها : أن التلى أستاذ كل التي يجرى لي .. فهي لا تساهل
.. نمت عرقاً في رومان شبلها ..
وضحكوا ولم يطفروا على ما قلت ..

وسطر بعضهم إلى بعض . وكل ذلك علامة على أنهم يريدون أن
يخرجوا . ولما رأوا ذهني وحيرني . قال لي أحدهم : إسمع يا إني .. إنما
.. أن يعرف ما الذي نريد أن نعمله عندما نتخرج في الجامعة . نحن في
عنه نثق على صحة ولذلك .. والأصابع بيد الله .. والعبادة رساله متلقها من
محمد البعض . وبعضها يجد نفسه رجلاً مستولاً . وهو ما زال طفلاً .. أن
.. وفاة والذي عملت في التجارة لكي أبقى على إحوتي الصغير .. ثم أكملت

معلمي .. والحمد لله .. أنت أكرمتم معلمك .. وربما يتجسّد إلى شاء الله نطلع
 الأول .. وبمعلّ مدرّسا في الجامعة .. والبركة هيك .. وأبوك وأمك راضيان
 عندك تماما .. البركة هيك يا أبني .. وبمعصا يكر ومع ذلك يعط طمعا يعتمد
 على والديه .. وهذا نوع محطوط من الناس .. واد فوجد المتعة والثورة
 والسكن من الشعب الخالص .. فليس هي حاجة لأن ينعى .. ولكن الرجال
 تحتهم المتاعب والمصائب والتحديات .. وللرجولة ليست صفة .. وإنما هي
 فعل متواصل .. وأنت رجل ..

- إني أنت يا أبني قررت .. إن شاء الله أن تكون مدرّسا في الجامعة .. مثل
 ابن عمك وابن حالك وعصك .. إنها قبل مهمة هي التاريخ .. إنها مهمة الأنبياء
 والمؤمنين .. وشوقي يقول :

كأن المعلم أن يكون رسولا

إني على بركة الله يا ولدي وربما يوفقك !

كانهم قد جاءوا ليهرقوني .. ولا بد لي والذي أراد أن يعرف ذلك منهم .
 ولم يشأ أن يسألني .. وهو يعرف تماما أنه لو طلب مني أن أكون مدرّسا
 ما ترددت .. لو لي أعمل في أي مكان لقطت . هل لأنني هكذا سلبني ؟ هل
 لأن حبي لوالدي أقوى من أي رغبة عدي . فالتفكير فراره .. هل لأنني
 وصلت نهاية الناس من الحياة .. هل معني ذلك أنه يستوى عدي أن أعمل
 لولا أعمل .. أن تكون لي إرادة أو لا تكون .. هل هذا الاستسلام عقاب
 حرصه على نفسي .. كفي أقول : لقد درست وتوقفت .. ولكن كل الذي

درسته وتوقفت فيه سوف قلني به في الرحالة ؟ هل كنت أصل أن أدرس في
 كلية أخرى .. هل سميت أن أكون أي شيء آخر ..

في ذلك العلم كنت مقالا في مجلة « كلية الآداب » سميت أن أكون فيها
 شجرة على ترعة .. أن أكون شينا حيا .. لا كائنا عاقلا حيا . أي أن أكون

بلا إحساس بلا فكر بلا هم بلا غم .. أكون شجرة تنمو وتزهر .. ثم تموت
في مكانها .. فلا قلب ولا أم ولا أسرة .. ولا إخوة ولا أخوات ولا حالات
ولا ضمانات .. ولا من عشت ولا من مات إنني هذا هو شعوري الحقيقي .. وهذا
هو سر رهضي لأن أكون أي شيء .. قلنا لا نريد أن نكون شيئا .. فلي ثم
لستطيع أن أكون شجرة ، فلماذا لا أكون شيئا قريبا من ذلك ..

وعرفت فيما بعد أن الانسحاب تنسلط عليه مثل هذه الأفكار إذا كثر لا يتحدث
إلى أحد .. إذا كثر لا يحاول أحدا .. إذا كانت أضواء الآخرين تنعكس عليه ..
بها أفكارى قد توارت فكنت لها رائحة المرص والموت . فلا أحد ينكم
أحدا ..

هي الجامعة : محاضرات .. أى أن الأستاذ هو الذى ينكم . ولا حوار
بيننا ..

في المسجد : الخطيب هو الذى ينكم ولا حوار بعد الصلاة ..
وفي جمعية الإخوان المسلمين : الإخوة الكبار يخطبون ويصيحون ومن
الناظر أن يكون حوار ..

ومن الطلبة بما : كلما ننكم .. وكلنا يسمع ولا يسمع .. نحن إما شبان
حائرون ودعمهم قليل .. وإما شبان بلا حناعب مادية ولا مشكل عائلية ودعمهم
ضعيف ولا يقولون شيئا معيدا ..

وفي التلح حاولت أن أنكم . فلم أستطع . لقد أدركت كل الكلام هي رأسى يمينا
وشمالا . وفكرت من العرش . واتجهت إلى سرير والدى ووالدتى . وقلت له :
لا تطلق على مستقبلي . موف أكون عند حسن ظنك .. غالبا ، والله أعلم ،
سوف أكون مدرسا في الكلية .. وسأكمل دراستي ..

وأشعر والدى أن أساعده على الجلوس فقال : إنما أريد أن أراكه أحمس
حالا . موف تكون بلبن الله يا ولدى ..

وانشرت والذي أن أساعدها على اليهودي . وعزيت مني وهلسي على
جبنتي . ورعت يديها أقبلها . لنقول : ربما يكرمك يا إلهي .

ورأيت الذي توحى : هو الذي شئيد الصعف .. أين الوجه الجميل والجميل
تحتصر أولي .. والإنشامة الدائمة .. ما الذي جعل الرأس الكبير صغير ..
ما الذي جعل العجيب عشرين .. ما الذي أحى الرأس على الصدر .. ما الذي
جعل للبطل أشبهم ولك الحصار قد تكور واتحد شكل الجسد . أين سعب
الحب والحنان والحيوية وللشمله .. أين القصص والتوارد .. أين الشعر ..
أين الذين أحبهم والذي وصفي من أجلم . أين هؤلاء الفلاحون السجدة الذين
باصبرهم إلى ضد أصحاب الاقطاع .. ومن بين أصحاب الاقطاع أقاربه ..
وقف معهم يدافع عن هزمهم وعورهم عن مدد الثيرون .. أين الذين كانوا
يطلبون إليه أن يدعو الله لهم ليشبههم .. فكان يسهرج الأورق الصغير الذي
كتب عليها آيات من القرآن لشقاء العرصى . وكذبوا بشعر يس الله . فقد
كأن والذي يؤمن بأن كل كلمة في القرآن لها سر وسحر .. ولا يعرف هذا السر
إلا من درس وقرأ واتحد عهدا بأن يصون للكلمة والسر .. هذه الأصابع للجامعة
في لون الشمع هي التي كانت منذ إلى الأفاعي ، فثبت حولها لأهلي ولا
تدعه . وبخال إنه تعهد لأحد مشيخ الطرق الرفاعية ألا يؤذي شعب عظم
له شيخ لطريقه شرابا حاصا من يشربه لا يلدعه الثمير . وكانت لأفاعي
تقرب منه وتنام في حصنه ولا تدعه . أين كل الناس . أين الذين أحبهم
والذين أحبوه .. والذين مطمئنا إليه وهو يلفي الشعر ، وهو يشو القرآن وهو
يحطب وهو يؤم المصلين .. أين الحيوان أين العربات أين الدنيا .. كل تلك
تخسر .. والصوم تخسر .. والصحة والحياة .. حتى اللغة .. حتى الكلمات
حتى اللطرات .. هكذا تكون نهاية الحير .. نعمانا كنهلة الشر .. يبقى الإنسان
وحده مع العرصى وحده .. مع الموت وحده . هيا لله وإله راجعوب .
وامتدت يد والذي تسمح نموعا من عيني وحدي البركة إليك إله
يا والذي ..

(٢)

وهي بيت الأستاذ العقاد سميت أن بطرح عليه أي موضوع يتشلى من أن
فيه .. يسفر فتي .. يهرق في ..

وبطلعت إلى أناس آخرين غير الحاضرين .. جعل أصدقاء الأستاذ : نفس صلاح والشاعر عبد الرحمن صدقي والمفكر على أنهم والموسيقار الشعاوي ، المصور خورشيد والمبعدة : ل .. والاسمة : ف .

وسميت أن أقوم وأصنع عطمة من القطن بين شعبي الأستاذ المعاد حتى لا يمسي فيما يقول .. لو أصنع هذا القطن في أنسي ، وبطل الأصدقاء المعاد بحث لكل الناس إلا أنا ..

فأخذ بدافع عن نصه ، وبثهم الذين يقولون أنه مثلكم .. فهو رجل مدني يقول الأستاذ : إنني أقول للحياة نعم .. إنني أقبلها .. واستمر بها .. أحزن أن أصبح ما استطعت . وأن أغير وأن أهدل .. إنني أرفض المطبوعة . رفض أن تكون متفرجا .. لأنني أؤمن بأن هناك حكمة من وجودي .. فافهم لا بحق أحدا أو شيئا عينا . فلنا حكمة .. أو موجود لحكمة . ومن الحكمة لا رفض حكمة الله !

وحسنت أني عندما سألته وحدى من بيت الأستاذ المعاد . جعلت نفسي سر . حتى لا يبقى فيها شيء من الذي قال .. ما هذه الحياة التي تقول لها : حسرت حياتي هو .. يجوز .. حياتي أنا ؟ أقول . نعم لأي شيء ؟ لهذا القرف والمرض والشيخوخة والكذب .. لهذه المناهب الفلصية والدينية التي لا تحقق لي الراحة والأمان .. لهذه الدوحة بين الأرض والسما .. أتم يحاول أن يستمر ؟ حاول . فهل عندما استمر . كل يقول للموت . نعم .. تصبحة : نعم .. للفشل : نعم .. للحياة الأمل : نعم .. هل كل يتم له عند قصر من ترك رسالة من ألف صفحة يحاول أن يفهم بعض حكمة في أنه حسرت الموت . إنني لا أصدق ما يقوله الأستاذ .. إنه هو أيضا مثل أستاذة نصه . إنهم شعراء وصفهم القرآن الكريم : « ألم تر أنهم في كل واد يصبون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ..

وبعد .. هبطت الدرج .. ووقفت أمام بيت الأستاذ المعاد أتم هواة متعشا . حدثت نفسي قليلا . وعدت إلى مكاني من الصائون .. ولم ألاحظ أن الأستاذة تكلمت قد مرلوا أيضا . فلم يبق إلا السيدة والاسمة .. وبعض الرماء الصغر

من الطفلة . قلت : يا أستاذ أنت تقول للحياة نعم .. أى حياة يا أستاذ . أنت تقول : نعم .. فهل كل انسان يقول : نعم . هل من الضروري أن نقول نعم لما نكره .. لما لا نهم . لمن يظلم .. لمن يهجر .. هل نقولها للجوع والمرض .. قلنا لم نسمع ، فكيف نقول : نعم .. أنك لم تكن كذلك من عشر سنوات ولا من عشرين عاما .. فهل تقول ذلك لأنك قرأت المتن يا أستاذ .. إن لك شعرا حزينا فلجما . فكيف كان ذلك يا أستاذ ؟

هال : يا مولانا أنتى أقول للحياة نعم ، بعد أن جربت وعلمت . وأنت تريد منى أن أقول مثلك : لا .. مع أنك لم تجرب .. إن الحياة حدثتني طويلا وحلورنها .. واقتنعت بها . ولكنك يا مولانا لم تسعها .. لم تلمسها .. لم تعرفها بعد .. فكيف ، وأنت دأرس الفلسفة ، ترفض أن تستمع ثم تستر حكمتك عليها .. الذى هو حكم على نفسك .. أنت لم تلمس الحياة ، وإنما أنت ظالم لنفسك .. أعط نفسك فرصة .. وقتا .. تنتظر .. خذ نفسك .. ثم قل ما بدلك بعد ذلك .. أنت يا مولانا مثل قاص وقف أمام باب المحكمة وأدلى المتهمين .. فلا هو عقد جلسة .. ولا هو درس القضية .. ولا حرف كل وجهات النظر .. بل مثل هذا القاصى ، قد حكم على نفسه بأنه ليس قاصيا ، وإنما طاغية جاهل ؟

(٣)

وكما هي العادة عندما تتعد التواضع والأدب وتغضب الثمن من سمائنا نذهب إلى نكتور طه حسين . بانتما بقوله تعليفا على الذى قلت : وماذا قال عباس ؟ يقصد الأستاذ عباس العقاد .

وقلت وأسلت . وكان يصلحنى بصحكنه الرقيقة للسلمة . وبما راجع هي منعه ثم يصحك حلقا .

قال طه حسين : أتم نعرفون أن عباس عصى المراح . وأنه لذلك يسرف على نفسه فى اتحاد مثل هذه القرارات المعاجنة .. كذلك كان فولنير وأبو العلاء .. ومن المعروف أن فولنير كان قد هاجم الإنجليز بسف وقرة ..

منه رجب عيسى ، مع أنه من أشد الناس إعجابا بالنوع الطيبة في دريطةيا .
 بصحك غالبا) .. وفي يوم وجد نفسه في لندن .. في شوارع لندن . وعرفه
 حسن وقرروا ضربه أو قتله .. وألعت إنيهم يقول : يريدون عقابي .. ألا يكفي
 عبا ألا تكون إنجليزيا ؟!

وأعجل طه حسن ليعول : إلى عيسى أكثرنا جميعا استخداما لكلمة : لا ..
 فيه قد رفض الكثير من الأفكار والأفطمة القديمة في التاريخ والبعد الأدبي
 ربح . ولولا ذلك ما كنسب المعاد سمعته الأدبية الواسعة .. إنه رفض
 تسوء ورفض رقم ١٢ ورفض أن تكون البومة مصدرا للشؤم .. ورفض
 منكره متى تقول أن الموت والحرب والعمار يلحق بكل من يدرس الشاعر
 .. زروعي . وقد درسه العقاد وألف عنه أحسن كتبه .. إنه عيسى للمراح ..
 . لا .. أنه كان كذلك .. ولا بد أن أحدا قد قال له : إني أقول للحياة : لا ..
 حرر العقاد في نفس اللحظة أن يقول لها : نعم .. وأن ينزلج عن ذلك مثل
 من مضامير . في المرافعة .. وليس من الضروري أن يكون مقتنعا
 به يقول !

• • •

(٤)

مه .. ماذا قررت ؟

مه .. سؤال عدي سمعته كثيرا في ذلك الوقت من كل الذين أعرفهم ..

كنت أقول : لا .. وبهم ..

بحرسي : ماذا نقصد ؟

مه .. من الذي سوف أعمله بعد التخرج . وأنا أجيب من سؤال

مه .. من يقول للحياة ؟

مه .. حممه .. كانت الحياة بلا كتب .. وفي الجامعة . كتب بلا حياة ..

مه .. حممه .. كتب وحيد .. أو لا كتب ولا حياة .. طه حسن أو العقاد ..

مه .. لا .. لك .. أو هما معا ؟!



من هنا بدأت كل
مناعب المستقبل

من لفتنا برأت كل متاعب المستقبل !

لم أعرف السلام في بيتنا .
لم أعرف شيتا واحدا مصمونا . أو شيتا واحدا من الممكن أن يتكرر بصورة
منظمة . هانا دق الباب . وهذا يحدث كثيرا ، أسلمني الفرع . مع أني .
وأنا ، لا يتوقع أحدا مجيفا أو كلرنة .. أو حتى إذا كانت كلرنة فما معها ..
لا أرض ولا بيت ولا نكاح لما ولا سيارة ولا حتى حمار .. ولكنه الخوف
العالم ..

هؤلاء الطغولة التي كانت منتقلة من بلد إلى بلد ، ومن مدرسة إلى مدرسة
ومن أصدقاء إلى زملاء آخرين .. والتغير المستمر لوظيفة والدي ، وأنا دائما
على سفر .. وأن كل الذي يملكه يوضع في سيارة واحدة . ويكون من نصيبي
أن أصبح ساعة الحائط على ركبتي .. وهي من الخشب كأنها نابوت .. أو معش
مات هي الزمن ، أو لكي يدفن فيه الزمن . ولي كنت أتمنى أن أدفن الخوف
وألقى به في النيل .. ولكن عاشت هذه الساعة ولا تزال على حائط البيت الذي
نسكنه والذئبي ، يرحمها الله .. فلم تكن نابوتا وإنما هي مثل إحواص الزهور .
ينمو فيها الخوف إلى جوار القياس إلى جوار المرارة والعزلة ومزيد من
الخوف .

ولا حدث أن رأيت أبي وأمي يجلسان معا ويتحدثان في أي شيء .. فلمي
دائما في حالة غضب . ولا أعرف سببا لذلك إلا أنها مريضة وإلا أنها شديدة
الحساسية ، ولا أجد والدي إلا هائلا معظم الوقت صامتا .. أو يوقف هذا الذي
لا أفهم من المناقشات العادية بالصلاة أو بتلاوة القرآن بصوت مرتفع .. وأحيانا
أسمع استغاثته لهذه المناقشة في الليل .. ولكن لا أفهم . وفي اليوم التالي يحسني
والذي . إنه يعمل بعيدا .. وهو دائما يعمل بعيدا حيث لا أعرف .. وأرى
ولسمع لأمي وهي تتحدث إليني بهذه الطريقة .. لا فرق بين الذي تقولنا
وتقولنا لوالدي أو لعمامتنا .. فهي في حالة ضعف ومرضى .. غضب بمسبب

المرضى ، أو مرضى سبب العصب .. ولم أسمع من والدتي بالحيث ما الذى يعجبني فى أى شيء .. إنما هى الأحرى تتوقع أن أحظى فى كل الذى أفعل ، حتى فى العذكرة وهى لا تقرأ ولا تكلم ، لها رأى نيب ، وأجندى أطيع أوامرها : اجلس الآن فأجلس . اصح للكتاب أفصح . لا تتم قبل أن تسهى من دروسك .. وكنت أنام وأنا أذاكر حتى أنهض كل يوم وقد أحرق المصباح العازى رموش عيني وشعر رأسى ..

ولم استطع أن أنظر إلى وجه والدتي فى تلك الوقت من الدراسة الابتدائية والثانوية لأرى إلى كت كتفا على لاهمك أو حتى على الألباس . ووجدت لها عددا . فالمصك فى مثل هذه الظروف لا ميسل إليه ..

ومن أنواع المحاورات بين والدتي وبينى وبينها وبين والدتي . أنت تهرت فى المدرسة اليوم .

.. .. ولكن فى الطريق من المدرسة وقتت مع زميلتى منكلم .

— ولكنك لم تفعل بالأمس .. سوف تكون مثل ذلك .. لن نفع فى شيء !!

ونتركنى إلى أى شيء آخر . فلا قالت شيئا ولا عدى فرصة لأأشرح .. أو حتى لا داعى لهذه المناقشة بهاها فإن أنهر نصف أو ساعة لا أهمية لتلك .. فليس عدى ما أفعله عبر الجلوس فى البيت ، حتى يحىء الساعة الحلمة فأنرح للفرقة مع زميلتى .

وحظا : هل قلت لصدك شيئا عن الحنافة مع فزارة ؟

— لم أر خالتي ..

.. ومن أين عرفت هى ؟

— وكيف أقول لها إذا كانت قد سافرت إلى القاهرة منذ أسبوعين ..

والحنافة حدثت من يومين فقط ..

— يمكن أرسلت لها خطبا ..

— وهل أعرف عنوانها ؟

— وكيف أعرف ؟

ويتمنى الحوار . هـك انتهى فلا كلمة واحدة تدور دونه .. هل هي على يقين
من أنني كاتبت خطبا ، هل لابد أن أكون منهما مهما كانت الظروف .. هل
يهتم أنا شيئا .. لا شيء ..

أما هذا الحوار التوتحي بين والدي ووالدتي فلا يستطيع أن أنساه . هـكنا
كـ والدي وكنت والدتي وكنا نحن في هذه الحيرة والتفكير . مثلا هذا الحوار
مع والدي :

قالت : كم يوما ستبقى هذه المرة ؟

— قال : ربما أسبوع وربما أكثر .

— وربما أقل ..

— لا أعلم ..

— ولماذا فأنت كل مرة تقول أسبوعا وتبقى يوما أو يومين .. والأولاد
يـحسبون لذلك .. فلم يحدث في مرة واحدة أن بقيت معاً أسبوعا .. حاول أن
تـحسب ذلك ..

— أنت تعرفين أنها وظيفة جديدة .

— كل الوظائف جديدة ،

— صحيح ، ولكن ما الذي أفعله ؟

— لا شيء طبعا .. إنه سوء حظ وقلة بخت ونوحة عيال .. فلا يصح
مـرطعون ولا نحن فلاحون ..

...

— إنه في حاجة إلى كتب .

— اشتريت له .. أليس كذلك ؟

هـأقول : شكرا ..

والدتي . ولكنتك لم تغفل أن بابا اشترى لك كتباً .. أحذنها وأحبهها في
عـرفتك ..

هو : مبسوط .

أنا : شكرا !

هي : ما دام هو متوسط خلاص .. متعلق بحر .. وسطح نر سحر الان
وهي آية لحظه ..

ويرتفع نبذة الحوار وتكون مراجعة كليلة لحياتنا معا .. مدد ولانني
وفينها .. وبعضها .. أما النهاية فهي معروفة : بهمس والذي علينا ويذهب الباب
ويخرج ولا يعود إلا بعد لسوع . فلما من أمل في حوار هادئ . أو هدوء .
وعلى الرغم من أن هذا الحوار يتكرر كثيرا . فلن أتنا منها لم يطلع في
الوصول إلى صيغة معقولة .. أو درجة معقولة من الخلاف أو مسيد
موضوع يمكن الخلاف أو الاتفاق عليه .. وأرى أنني معنونا .. فهو لا يحمل
كل هموم الدنيا . فعمته هموم أخرى لا نعرفها . ولم يعلنا طرفا فيها . إنها
هموم الأعمال للحرة . الأعمال الزراعية عند أصحاب الإقطاع .. بكلمة يعمل
وبكلمة يجد نفسه بلا عمل .. وقد لا تكون كلمة وإنما إشارة بيد .. وقد يكون
سبب هذه الإشارة : نسبة « من أحد .. هو الذي رجل طيب القلب حسن آنية »
وقد تعذب كثيرا بسبب حسن طبعه بالناس . ولابد أن يكون والذي رجلا متسامحا
جدا . فهو يقبل كل شيء يجهي . فالتنس أنوار . لا علاج . ولا معر من
ذلك . والحياة الروحية لا هي خير ولا هي شر . وبما هي كل ذلك ولا معر
لرجل طيب مستقيم من أن يقبل هذا المصير وما يأتي به من أولاد تكثر معهم
مشاكلهم أيضا .. وللذي . هو الآخر . لم يتسع وقته ولم يطل عمره ولم تستقر
الأرض تحت قدميه . حتى يكون قادرا على إصلاح الذي فسد . وتقويم الذي
لحرف . واتساعه للسلام في المكتب والمحل والبيت وبين الأولاد .. هاتبة
بصها لم نسمع هي أن يكون لها مذاق حلو على لسانه .. فالحلوة هي لسان أبي .
كانت اتشعر الذي برويه والتواثر التي يملكها وصوته الجمول يرنل الفرائ .
وعبرة بسم الله الرحمن الرحيم عند بداية أي شيء والحمد لله عند نهاية أي
شيء بأنه أو يوجهه .. فبسم الله بداية كل شيء والحمد لله نهاية كل شيء ..
وكل الصفاء والرواء والنها على وجه والذي معجزة من معجزات علم
ومثلث الأعضاء وعلم النفس وكيمياء الإيماني بالله .. كيف كل ذلك ؟
لا أعرف .

أما مع والذي فكل الحوار بيننا هكذا ويكون في الساعة الرابعة صباحا .
قبل صلاة الصبح . أجندي دائما إلى جواره أو على ركبته أو على صدره : أنت
نمت .. يا رجل أنا لو فطنتك لكي أحدث إليك . ثم ..

وكنت أرى النعوم هي عبيد .. وسرعة سفن نعومه إلى عبي . لا هو
قال شيئا ولا أنا قلت ..

ويسألني : عامل فيه في المدرسة ؟ كريس ..

.. نعم ..

برك الله عليك .. أنت تعرف يا ولدي . يجب أن تكون الأول .. هذا كثير
كنت شيئا هذا .. أنت تعرف أن أمك تحبك جدا . ولكن هذا الذي نقوله لك
من شدة حبها .. إنها لا تكرهك .. أبدا .. أنت شاعها الوحيد ..
.. أعرف ..

.. وهي تحبني أيضا .. عندما تزوجها كنت تنظر لي على أنني والدها ..
كنت أكبر منها بعشرين عاما .. ولكن الألام والظروب وحالتها الصحية
وحملاتها مع إخوتها .. والتنقل من مكان إلى مكان بينما إخوتها جميعا على
رصهم وبين أقاربهم .. يأكلون ويشربون من الحقل وبسهولة .. ولكنها لا بد
أن تشتري من السوق وتسيطر الماهية حتى أبعث بها .. ثم أنها وحدها مع
أولادها وحدهم .. حياتها شاقة . إنني أعدها .. ولكني عاجز عن فعل ما هو
أفضل لها جميعا .. لذلك فأنت وحدك القادر ، عندما تكبر ، على إراحتي
وأهلك .. ويعرفك .. وكل البهوت بها مثل هذه المشاكل وعندما تكبر سوف
تعرف .. وسوف تجد العذر لأهلك وأهلك ... أنت تمت يا ولدي ؟

ثم يقول لي : لماذا تبكي .. أنت رجل .. كنت أتحدث عنك . وكل الناس
يريدون أن يروك .. بعد نهاية العام الدراسي سوف ينتقل إلى هناك لمرى
لأطفال هي مثل سبك .. وسوف يعود معك كتب كثيرة .. وقد اشتريت تلك
عندنا من البطل الأبيض والأور .. وهناك كتب صغير قد ربيته لك .. وهناك
شجار الثوت والجميز .. أريدك أن تحفظ هذه الأبيات ..
ثم يلقي أبياتا جميلة ويكررها . وأرثها وراءه . وقد حفظت ألوف أبيات
أشعر قبل أن أتحل المدرسة . تماما كما حفظت القرآن الكريم قبل أن أذهب
إلى المدرسة .. ولما لا أفهم من معانيه وكلماته شيئا . وإنما هي الموسيقى
للمسارية والقدرة القائمة على الحفظ عند الأطفال في مثل مسي . أي في
السبعة ..

ولم أكن أعرف هي ذلك الوقت كيف البيوت الأخرى .. وكيف الآباء والأمهات . وما الحوار .. وما الخلاف وما الاتفاق وما الأمل واليأس وما المستقبل . لا أعرف . فلا رأيت ولا أجد قال .. ولا عرفت كيف تكون أحسن وأسوأ . بكل واحد قد انطوى على حاله . ولا أحد يقول شيئا لأحد . ولا أحد يسأل أحدا . وعرفت فيما بعد أن كل الناس أمام كل الناس ممثلون : يكتبون ويألفون ويقبضون الحقائق .. حتى لم يعد للمثل هذا التمثيل معنى . هانت لا تمثل أمام متفرج ، ولكن تمثل أمام ممثل آخر : لا معة ولا لذة ولا معنى .. فلا أحد يصدق أحدا .

ولم أعد أجد أمي ، عجا ، بين الأمهات والزوجات ، فكلهن كذلك .. وكل الآباء والأزواج أيضا !

وعندما كثرت ودرست علم النفس أصبحت هولبي أن أعود إلى طفولتي ما كن وما لم يكن . وأصبحت متعنى أن أجري وراء الأحداث الصغيرة وأطردنها وأستوضحها وأستوضحها . لمعني أعرف كيف حدث ما حدث .. وكنت تطردت إلى نفسي . رأيت من الضروري أن أعود إلى العاصي السعيد لكي أراعي طفلا سعيها في البيت . أي بيت ، وفي الشارع وهي العنسة . ووجدتني أذكر ولا أعرف لماذا أقيمت على الدراسة والقراءة بهذه الصورة الشرهة . لم يقل لي أحد : لا تفعل ذلك .. دائما وحنسي وحدي مدفوعا إلى القراءة مدفوعا إلى المذاكرة .. حرصا على أن تكون الأولى في كل مراحل التعليم والشهادت العسة .. لماذا ؟ لا يجب . ما هي العسة التي كنت أهدأ ؟ لا معة . ما هي للمكافأة التي أتلقاها ؟ لا مكافأة .

عندما قرأت في صحيفة ، الوفد المصري ، أن ترتيبى الأول في الابتدائية سارعت إلى البيت .. وجدت الباب مفتوحا .. تطلت ووجدت أمي ترف بها ، فهمت منها أن أستمع طبيبيا ..

وعندما جاء ترتيبى الأول في الثانوية العامة ، عدت إلى البيت . بلغت الباب فافتح . وجدت أماما يرتدون الملابس السوداء . حالتي وأرأدهم . نقد ماب حالي . وعندما جاء ترتيبى الأول في اللمسانس ذهبت أنقل هذا النبأ إلى ، الذي وكل مريضا . سألتني إن كنت الأول قلت - نعم .. إن كان نحني بمرتبة الشرف الأولى . هلت نعم وسمعته يحمد الله على ذلك ويموت !

يوم عيبت رئيساً لتحرير مجلة «أحر ساعة» ذهبت لأمي في المستشفى
مخجنتها فارقت الحياة . هشرت صحيفة «أخبار اليوم» في صفحاتها الأولى
«عيسى رئيساً للتحرير» وفي صحيفه الوهبات : شجعت جدارة والتمنى .
وكتبت ألقى برفقات التنازى والتهانى معا إنها عليه حمالية «أخذ من هنا
وحصم من هناك»

• • •

وحررت النظريات والتفسيرات في يدى لما حدث زعالى ، ولما هو حادث ،
ويمكن أن يحدث ..

واهتمت به من الوقت إلى نصير مريح . ولكنه ليس مصحوظا بعام . ولكبه
مسورة لأخرى التي وجدتها .. وهذا يدل على «خيالى» .. وهذه الحيرة هي
بنى جعلتني أختار أى نصير يريح رأسي من دوله الدورى حول نفسى نهلا
وسهرا وتعدى لي لها أيضا ..

فقد قرأت عن قصة «أسرة برومى» . وهي أشهر عائلة أدبية في التاريخ
«الأسرة تصم لها أدبيا شاعرا قسيسا اسمه باتريك برومى .. وحصا من «بيدات
وولدا .. ماتت اثنتان وبقيت ثلاث بنات أدبيات . وابن أديب ورسم أيضا .

الأب القسيس باتريك برومى (١٧٧٧ - ١٨٦١) كان شاعرا غريب
«لهوار» . كان مرعجا منهوسا . عصبيا . لم يكن حساسا عطوفا رقيقا . وإيف
هو رجل عصبى . وهو الذى نوحهم أنه شاعرى لأنه سريع التأثر والبكاء .
وسحيفة أنه ليس كذلك . إنه عصبى صلب غليظ . وهو يعمل بداته كالأواع
من الحشرات والكلاب . وهو يهصب ويسفط ويسفط على الأرض ويلعن الأليم
لنى أنت بهر .. ثم يهص ويطلق النار في الهواء تحويها . أو تغريما لفصحه ..
وقد نشر الأب الكبير أشعاره .. ولكن لا قيمة لها . فهي منظومات موروثة ..
وهي شعر كدائس أخلاقى . ليس هيبا نوق ولا إمسلس . ولذلك كان لايد أن
حوت هوز ولأنها .. وهي ضرورية للدراسة إذا أردنا أن نعرف للرجل الذى
كان أب ثلاث أدبيات مشهورات ..

أما المثلث الثلاثة هذا مشرق شعرا في ديوان واحد . لم تبق من هذا النصوص
إلا نسخة واحدة .. والشعر يدل على الموجهة المبكرة . وعليه سمو الحسن وجمال
النسق وعلى الإبداع أيضا . والبنات نشر هذا الشعر بأسماء مستعارة .

البيت الكبرى هي : شارلوت برونتي (١٨١٦ - ١٨٥٥) . وكانت روايتها
« جين إير » . وتزوجت وتوفيت بعد رواجها بشهور .

والثانية هي : إميلي برونتي (١٨١٧ - ١٨٤٨) وهي اثنتي ألقت رواية
« مرتفعات ودرنج » وهي أكثر للثلاثة موهبة . وشخصيتها أقوى . وهي
أكثرهم جمالا . وفي روايتها هذه كل صور العذاب والحزن وقمة
الرومانسية ..

مكنت ولم تتزوج ..

والثالثة هي : آن برونتي (١٨٢٠ - ١٨٤٩) وهي أفضل موهبة بل هي
مبسطة الفكر في كل ما كتبت . وروايتها الوحيدة هي « آيس جزاي » .. وهذه
الرواية كانت نبوءة لما سوف ينتاب الشخصية الإنسانية بعد تلك بمانعة عدم ..
فالشخصية ليست شخصية ولا ملامح لها .. وإنما ينتابه كل الناس حتى
ليصعب على أحد أن يميز واحدا عن واحد .. ثم كانت الدعوة إلى أن يصبح
الناس مثل قوالب للطين .. لا خلاف بينهم ولا معنى للخلاف !

أما الأخ برنول برونتي (١٨٢٧ - ١٨٤٨) هذا كان أمل والده . وكان
حريصا على أن يجعله هو الأنبيب وهو الصالح . ولذلك بعث به يدرس الرسم
في لندن . وعاد من لندن هائلا . ونشر شعرا ويقال أنه ساعد أخته في تأليف
التصريحات الأولى من « مرتفعات ودرنج » . ولما كانت الأخت هذه قد وسعته
في روايتها .. تلك الشاب المشهور المذموم للعمور والمخدرات والذي حطم
مصه في النهاية .. وعاش وحده في غيبوبة تامة لا يدرى بالصبط ما الذي عمله
إبعوته البينات ..

أما الأم هذا فنجبت هذا العبد الكبير من الأبناء . ثم مكنت بعد تسع سنوات
من الزواج .. وجاءت أحدها لمساعد في تربيته هؤلاء الأبناء ، وتحول إلى
سعد من محزون والتهتم . فكان الأنب هو الملجأ الوحيد للبنات .. وكان الخيال
هو الملقى الآمن من طغيات النار وسورة العصب وتنشجات الأب من حين

بى حىر . ومهتيدة لهن بینه موب برك الليب هيدعلن به ويوسلن عند قتميه
.. يعنى من أجلهن !

وعلى الرغم من أن هذا الأث قد سروج عن حب فلقه كان بلهن زوجنه
وبقول : اللعة عليها إني تزوجنها .. اللعة عليها أنها ملكت .. اللعة عليها أنها
سجبت هذا المعد من الأبناء .. اللعة عليها أن تركهم .. اللعة عليها أن جاءت
احتها إلى البيت .. اللعة على البيت أنى ما أرل حيا أعنى وألمن كل الناس !

فأى وجه للثبه بين أسرتي وهذه الأسرة .. لم تسامل كثيرا . وبما
رئستيت هذه القصة نصيرا لحياتى ..

لا بد أن تكون للامبالاة والقسوة معا هي وجه للثبه بيما .. هناك قسوة .
وهناك لا مبالاة .. وهناك خوف من المرض ومن الموت .. ومن كل شيء
ومن كل أحد .. وهناك الأبواب المغلقة على صغار هاربين ومن الواقع إلى
الخيال .. هناك كتلة المتكررات سرا ، هناك الأمل في الحلامن .. هناك إغفاء
الأم ، بعينها ورعايتها وحمايتها وحمايتها .. وهناك إغفاء الأب .. فالأم وإلى
كانت موجودة ، فأى وجود هنا ؟ والأب وإلى كلى موجودا فأى وجود هذا ؟
ولو اخترت لويا يناسب هذا البيت لجعلت السواد هو اللون ..

لو أخذت طعما لهذه الحياة لكأنت الممررة ..

لو أخذت رائحة لهذه الأسرة لكان النمل ..

لو أخذت اشجاراً لأجعل سوراً لهذه الأسرة لكان الشوك ..

لو دمعت نهاية لكل شيء لكأنت النهاية هي البداية : لا شيء .. هالدياية
عاصصة . والغاية أكثر غموضا ..

ورجل الدين والشعر لم يطلع في أى شيء .. لا للدين جملة شخصية هامة
ولا الأندب .. وإنما هو صلتع بين الدين والدنيا .. بينما الدين لا دين لهم
ولا أندب ، هم الذين يملكون وينحكمون في الدين يعرفون الدين ويتنقون
الأندب ..

وكذلك والذي كان رجلاً مؤمناً شاعراً وقيفاً يندوق جمال الكلمة والجمعة ..
ولما كثرت وجدت أن هذه الصورة ليست منطقية تماماً .. بحسبها فقط ..
ووجدت في حياتي أنباء وفلاسفة كثيرين ما يطابق حياتي . وبعد ذلك لم أعد
في حاجة إلى البحث عن أناس أكون شبيهاً بهم .. ولا هو من الصنوبري .
فكل واحد له حياته وكل واحد صنعته ظروفه .. والظروف سبقنا إلى
الوجود . فلا أحد قد اختار أنباء وأمه .. ولا أحد قد اختار صفاته الوراثية .
ولا أحد قد اختار دينه وولمته ووصمه الطبيعي .. وبعد ذلك فإن هذه الظروف
هي التي تشكلنا ونحن نسلوها ونتمرد عليها .. ومن المعايير والمردود تتكون
ملامحنا النفسية والاجتماعية والعقيدة أيضاً .. فالظروف الواحدة التي عشت
فيها مع أقرني لم تجعلنا متشابهين . بل إننا صحتون أشد الاختلاف .. فليس
بين إقرني أحد له علاقة بصناعة الكتابة . ولا أحد أمجه إليها ولا رغب
فيها . رغم تطابق كل الظروف والأحداث . والمجتمع والإملاءات النفسية ..
فليس من الطبيعي أن أبحث لي عن مطير أو شبيه بين أنباء وفلاسفة عثروا
في ظروف أخرى وفي أزمنة أخرى ، لمجرد أنني أريد تفسيراً ملموساً
أستعين به على فهم نفسي وعقلي وآمالي ومخاوفي وكفري بكثير مما يؤمن
به الناس !

وفي يوم جعلت أنسلي بحياتي .. وتعبت قلبي مسارة أنسلي بها في طغولتي
أستخرج مخاوفي ، أو أسباب مخاوفي . إيماناً مني بأن المخاوف كالسمك . إذا
أخرجناها من الماء ماتت ..
ووجدت عجباً ..

وأعجبني من الذي وجدته . أنه رغم معرفتي بالأسلوب ، فلمي لم أفلح في
أن أعود إلى السلوك الصحيح .. أي لم أفلح في التخلص على مخاوف الطغولة ..
مثلاً ، لم أفلح في أن أعلم المجاعة . حاولت كثيراً . ولكن عقلي
لا يفلوحي . بل أن عقلي أصبح مثل الفرائل التي انصرفت بالمحمل . لماذا ؟
تعبت حتى وجدت السبب الذي كنت قد سمعته . أي تعبت سبيله . حتى
كانت معرفتي به اكتشافاً عظيماً ..

فقد حدث ونحن أطفال أن مرلنا معا إلى الليل . وأنكر أننى كنت أعرف
سباحة بدليل أننى أقول ذلك مع أفقرى الصغار كل يوم ..

وفى أحد الأيام غرق إبن حلقى . ولم أستطع أن أعود إلى البيت . فقد
معت إلى أحد المساجد . وبعث به . وفى الصباح المبكر وجدت أنسا كثيرا
واعطلا ووجدت والنسى سكى . ثم رأيت إبن حلقى هذا الذى غرق .. إبن
نم يعرق .. فخرجت حائفا وسمعت إسكى يتردد على شكل صراخ . لقد طنوا
نسى أب الذى غرق . وتوهمت أيضا أن إبن حلقى هو الذى غرق ..

وقد هز أحد أسدقائى من علماء البحر ما حدث بأنى قد بعث من النعب .
وأنسى بعث وظللت عائنا .. لو أننى خرجت إلى الشاطئ وبعث وظللت هكذا
بعض الوقت وأن إبن حالى بعث على فلم يجنسى . وكانت السباحة ليلا . فلما
مضت من النوم لم أجده فظننت أنه هو الذى غرق ..

ولا أنكر أننى بولت إلى البحر بعد ذلك ، وكنت أقول : أنسى لا أعرف
سباحة قط ..

ولم لكى أعرف الأسباب العميقة فى نفسى .

وعلى الرغم من أننى رأيت أجمل شواطئ الدنيا بعد ذلك . فإسكى لم أرتد
سبوحا ولا وقت إلى جوار الشاطئ مرة واحدة ..

وأنكر بعد ذلك بسوات عندما كنت فى جزيرة كبرى .. ووجدت بالزوارق
فى المعارة المعروفة بنسر . المعارة الرقاه . أن اصطدم الزورق بالجدار .
وحيل إلى أنسى سوف أعرق فصرخت وبكيت بسرعة . والندش للنس .
وذهبت أنا أيضا فادعيت أن شينا لسمعى فى الماء .. وبسرعة اتجهت العيون
س يذى التى لم تكن مبللة .. ثم أنه لا توجد حشرات أو أسماك من أى نوع ..
وحجبت من الذى حدث . واشغلت بالتفكير فى ذلك .

وعندما ذهبت إلى جزيرة هاواى . ووجدت الناس يتمتعون نصف عراة
على الشاطئ . ويامون فى انتظار مد المحيط الهادى الذى يصل إلى
فالمهم ثم أجسادهم مبهضون فى هرع . هذا المزعج للندش .
هو المطلوب .. !

ووجدت شجرة هريفة من الماء وصحفت عليها .. وكان جذع الشجرة على شكل مصطبة . وسندت على هذه المصطبة .. وكان للمحيط لهذه هائلة ، صلا .. حصيرة . حذيرا .. وكان القمر في السماء كبيرا جميلا . وبعث .. لا أعرف كم من الوقت نمت وعندما بصحوت وجدت المد قد رجع إلى منتصف جذع الشجرة .. فتولاني الحوف الشديد .. وبطرب إلى الماء .. ولم أجرو أن أفر من الشجرة لأعود إلى الشاطئ . وإنما طلت أنظر إلى القمر في السماء وهي الماء حتى طلع النهار . واكتشفت مع ضوء الشمس أن الماء لا يزيد صفه على شبر واحد !

وأول مرة أنزل إلى الماء وبالماء كان في مدينة الحديد في اليمن سنة ١٩٦٣ .. بعد كنت صغر وقد الأنباء يوسف السباعي وبجيب محفوظ وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل ومهدي علام . ولا أعرف من الذي اقترح أن ينزل إلى الماء . وكانت الملهوالت جاهرة . ولم أجرو أن أقول بى أحاب من الماء . ارتدت السيوف ونزلت إلى الماء .. وهتكت وقفه . والماء يصل إلى أعلى الساقين إلى الصدر . وهماة وجدت مضي تحت سطح الماء أشرب أفتر ماء في العالم .. لقد كان المرحوم صالح جودت يذاعسى ، فدعسى من الحلف ولم يصق أحد وأنا أصرخ وأقول كلاما غير مفهوم أنسى سوف أغرق .. ولا أعرف كيف خرجت طيبا من تحت الطين .

وبعد ذلك حاولت أن اسبح .. لم أنطح . واقترح الأصدقاء أن يعلمنى السباحة أحد الأساتذة ..

وكان السباح الكبير عبد المافى حسنين هو أول أستاذ لى . وذهبت إلى حمام المعلمين .. عندما يكون الماء دافئا .. وجلس عبد الباقى حسنين على معد عند حافة الحمام . وطلب منى أن أنزل إلى الماء . وأحاول الطفو ونرى مع راسى إلى أعلى . ونرى احرك تراسى وساقى .. ونرى أجعل راسى فوق الماء . وبعثت فى الحركة ولكن تحت الماء .. ولم أقدم فى السباحة ..

وأخيرا حاول الأستاذ العالمى أبو هيب أن يعصى . ولكن لم أطلوعه ! ولاحظت أنى لا أستحم إلا بالماء الدافئ . ولما كان الماء الدافئ ناس

من هو دائما ، ولا كن ضروريا في معظم اوقات السنة ، كن الجرحى عليه
رفعت موهبا للماء . فان في أعينى لا اريد الماء عموما . والماء البارد
خصوصا اى عه من زرار محدولة عصفه من -أحدى -البعث عن الماء ؟
ولكن أحدا لم يساعدى على فهم ذلك في من منكرة *

إنى لا أحب الشيكولاته .. ولم أنقها إلا أكبرا وزلا قليلا *
وفشت فوجئت ان السبب هو انى عندما كنت تلميذا في الثالثة الابتدائية
كد مدرس تاريخ الشعوب . دراسة مريضة . هى يوم قال المدرس : ان
الأحباش يلبسوا سودا . ولكنهم في لون الككاو ..

ورفعت أصغى أسأل : يعنى إيه ككاو ؟

. يعنى إيه ؟ لا تعرف الككاو ..

قلت : لا ..

قال : ولا تدرىها ؟

قلت : لا ..

وصحكت التلاميذ ..

وعاد المدرس يعرض : انت طبعا تعرف الشيكولاتة ؟

قلت : لا ..

وصحكت التلاميذ ..

ولا أعرف كيف كان وجه المدرس ..

ولم أفهم ما هى الملاقة بين الككاو والشيكولاتة ..

وفى اليوم الذى جاء بأفطر المدرسة وهو إى حالى . وكان رجلا صعبا .
معاينا ، لا يهده المترويون ..

وبحل الفصل وإنجه بأعيسى وقال : أنت قلت أنك لا تعرف الككاو .
ولا تعرف الشيكولاتة .

ثم أخرج من جيبه قطعة من الشيكولاته وزماني بها وقال : دى بلها
وتشرب منها .. هذه هى الككاو !

وخرج . وصحك التلاميذ والمدرس . فلم يجرؤ أحد أن يصحك في
حضوره !

وطالتْ طولَ عمرى لا أثوب الكلكل ولا النوق الشبكو لانه وإن فعلت
الآن فالتقليل جدا !

أنكر أنسى كتبت مجموعة مقالات في مجلة « الجيل » التي كتب رئيس
تحريرها .. عن الطول والنسب .. وما فيه : إن سقوط رجحة العطر في
يدك مقبلة لأحداث سيئة !

ولا أعرف من أين أتيت بهذه المعلومات في تلك الوقت من سنة ١٩٦٠ .
ولست شهدت بحوادث وقعت في بعض الأفلام ، وهي حياة ندى لبيب ..
ولاحظت أن شركات المطور حريصة على أن تجعل الزجاجات كبيرة غير
قابلة للكسر حتى لا يتساقط أحد من الناس !

ثم اكتشفت أنني كتبت مقالا في « امر ساعة » بعد ذلك بمسواتم أحدثت عن
تدوّل بعض الناس إذا سقطت من يده زجاجة الكولونيا .. وكانوا يقولون :
أجنت الفشر وبركت عطرها الجميل ، لكني نسيت ما حدث .. أو نسيت الزجاجة
ولا نسيت العطر .. ولم يكن ذلك إلا استسجا .

لم راحت زجاجات الكولونيا تتساقط من يدي .. نون سيب واضح لذلك ..
فلا أنا ارتطممت بشيء .. أو أني أهدأ دفعتني سقطت الزجاجة من يدي ..

ويوم سافرت إلى باريس لأول مرة سنة ١٩٥٠ برلت في هتق مواضع
جدا وكان لابد أن أحمل ملابسني إلى الحمام العمومي كل يوم .. فالتوكنت
بها حوص لتصل الأيدي . وليست بها حملات . ونكرت حكمة ، السيد
ومرله في باريس ، التي كتبتها بزم الموسيقى . وكان على روضة السيد
مدعب إلى الحمام العمومي ويصل ملابسها ونفني بالمساعات نون أن تعرف أن
تحول الحمام بالمساعة ..

ولكن أهم ما اكتشفت في تلك الوقت أن الفرنسيين لا يستحمون وإنما
يشدرون زجاجات الكولونيا الطويلة الرخيصة . وقطعة من الأنسج ثم
يستحمون بالكولونيا .. وفعلت ذلك يوما ويومين .. ولكن وجدت أنني
لا أستطيع أن أمر بالأنسج على كل جسمي ..

وصف في بيت آه ما هي في الموجهات محمد عند الوهب بفعل ذلك
بصبا ، جوعا من الميكروبات التي في الماء !

ويوم سخط الكونوب في عيني وهي لمي كنت أموت . ولا اعرف كيف
حدث ذلك . ولا كيف سخط الرجاجة هاتكسوت وسارت شطيفه على
الأرض تحت شعبي التعريتين وعلى جسمي . وهرعت بعد ذلك . وعشت عن
استخدام الكولوميا بدلا من الماء !

وكما هي العادة رحت أهش في طعولي عن سبب لكل ذلك . واهنيت إلى
السبب الحقيقي ..

كان ذلك في مدرسة مشهور الثانوية . وكنت أسمع تلميذه الابتدائية وهي
ماده الرسم ثم أكد أقرأ ورقة الأسئلة حتى رحت ليكي . وسقطت تمرعي
على الورق ..

وجأني للمراقب يسألني :

ماذا يا ولدي ؟

قلت : لم أر رجاجة كولوميا في حياتي ..

هبط المدرس إلى الأسئلة فوجد أنه مطلوب مني أن أرسم رجاجة كولوميا
وراءها قرص الشمس ..

وسألني الرجل : لم أر رجاجة كولوميا ؟

قلت : نعم !

قال : أبدا ؟

قلت : أبدا !

واندعش الرجل وظهر إلى الرملاء يستوضحهم فقالوا له : إنه أول
المدرسة ..

هأسى الرجل : أي نوع من الرجافات رأيت يا ولدي ..

قلت : رجاجة الريت .. رجاجة العيك .

وظهرت العيرة على وجه المراقب .

ولا أعرف بالتصحيح ماذا حدث .. فأخرج زجاجة صغيرة من جيبه وقال ،
مثل هذه ولكن أجعلها كبيرة ما والذى .. انظر إليها جيدا ..
ومسحت فموى ، وصعدت للتأمل ..

ونهب هذا الحادث مع جوانب أخرى كثيرة ولكن لا نزال نرى أثره في
أصمت زجاجة صخر ..

وكان من الممكن أن يكون العكس كل أفوم بكبر الزجاجة ، بدلا من إقائه
في سلة المهملات عندما ينهي استعمالها .. أو أنعمد كسرهما ، دفعا لهذا الحرف
القديم ، أو أنسى هذا الحادث تماما .. وأسفر عن كل ما أساسى عندما كنت
طليلا !

• • •

مرة كنت أعرض نفسي على أحد الأطباء .. وطلب مني أن أفصح في أن
أقول أه .. ثم أن أصعب الترمومتر تحت لساني .. وبسرعة عصبية صغطت
أساسي على الترمومتر فتهشم تماما .. وبسرعة لا شعورية حاولت أن أسطح
من بقائه في فمي .. فاذى ذلك إلى خروج كثيرة في لساني وفي خلق الفم ..
وطالت سنوات أجد صعوبة في وضع الترمومتر في فمي حولا من أن
يتكرر هذا الذي حدث ..

ثم وجدني أرفس أن يصح الطبيب الترمومتر في فمي .. وإنما كنت هذه
أنا وأصعب تحت لساني ..

وفي بعض الأحيان يكون حرصى على ذلك عصبى .. فحطفت الترمومتر
من يده ، أو أسمع من أن بعض ذلك . وأحاول أن أتناظر بالحرف ، كنسى
أصحت دائما . والطبيب لا يفهم هذه الحركة الطولية

وبعض الأطباء يستخدم ملقحة لكي يضعها على اللسان ليعرف إن كان الحلق
منهيا . ووضع الملقحة كان مشكلا عويصة . فلما لا أطيق ذلك .. ولكن
لا بد .. وأفوم كثيرا ، أفوم شينا في دخلي بمعنى من الاستسلام لرغبة
الطبيب .

وكنيت اندهش لهذا السلوك ولا أعرف السبب . وحاولت . ولم أجد

فقط عندما كتب أمير عن علاسى بجماعات العجوز حين كنت طفلاً .. كرس
من بين أصدقائى طفل من العجوز .. وحاولت للهروب .. وطلبت من إحدى
سيدات العجوبات أن ترحبني أبدا لها وزوجا لابنتها . وكنت فى السابعة من
عمرى أو ثور ذلك ..

كتب أحمل الطعام والسكر والشاي الى هذه البيت الصغير الذى طلبت يده
من عهده . أن ويريد يزيد أن يكون عندما أولاد صغار مثلنا نأكل معهم !!

وبسأ أن الأم تزعت من هذا الطلب العجيب .. وبسرعة جرحرت يدي
وجرحرت يد ابنتها وطلبت من كل منا أن نثوب من ثم الآخر .. فأصبحنا
هكذا زوجين !!

و سكر أنسى مرصت وارتفعت درجة حرارتي وبذلا من أن أعود إلى البيت
هنا إلى حياهم العجوز . وأنا أبكى . وجاءت يودينا وأخفتني إلى أمها .
حزرة راحت تنكك لي رأسي .. وقضت فسي .. وقضت لي مشروباً من
بيت الساحر .. ووصفتني في حبسها وعلى صدرها . وبعت ولا أعرف
ثم مضى من الوقت .. وبسأ أنسى كنت مصلاً بالعمى ، فكنت أهدى فراث
في رأسي وخرسى وجردي وجردي .. وبهجت مغروعا . ولم أجد أحدا .. فقط
بوسب والتموع في عينيها . ثم جاءت أمها . وطلبت مني أن نام . ثم
صمت متديلاً في فمي حتى لا أصرخ وكان في يدها مسمار أخرجته من النار
حدا . به تنكوبي . علاء للعمى . وقاومت ولكنها أحكمت المندبل على فمي
حتى لا أصرخ وكوبني بالشار !!

لا أعرف ماذا حدث في اليوم التالي . ولكن عرفت من يودينا أن أمي جاءت
سأ . وبركنسي على أن أعود إلى البيت في اليوم التالي .
به لاحظ الأثر الذى تركه المسمار في رأسي إلا بعد أيام ..
بعد أن شفيت تماما ، حبسني أمي حبسا إفراندي . وكانت تلقى لي بالطعام
من الباب .. وإذا اتسع فوضها صريرتي بالمصا .
ثم جاء ما هو أنسى من ذلك هذه المشقة عن الطعام . أو امتنت نفسي .
ذلك فسي أنسى على الطعام وكانت هي التى تصنع الطعام في فمي بانهم !!

.. ثم سمع وقت نفي وسمي ، لكي يسهي أحد إلى ما حدث .. وكيف يمكن
الاعتماد عليه ..

ولم أكن مؤهلاً عقلياً لدراسة بعضي وإطلاق الأضواء على داخلها لأعرف
الجوانب المظلمة والذي متراكم هناك ، بعيداً عن متناول ما تعلمه في علم
الإنسان .

ولكن عندما أصبحت قادراً على الفهم ، لم أجدني قادراً على أن أتحلص
مهايتها من المحاولات العنيفة ، والتعلق القديم .. واهلك السلام والأمن ..
والنموذج الحسن للحياة الاجتماعية .. وللعلاقات الإنسانية ..

ولكن أبناء الطبقة الوسطى ، عندهم كل أحلام أبناء الطبقة الأرستقراطية ،
وعندهم كل ميولات ومحاولات وعذاب الطبقة الفقيرة .. ومصيرهم نهاية أنهم
يريدون أن يكونوا طبقة أخرى ، لا هي نعت ولا هي فوق .. ولكنها تتمتع
بوجهل نعت ، وتكون في مدار فوق .. ومن النخاس والندر والطين ، والأمل
والياس ، تتولد كل مشاعر الإهداع عند الانسلاخ . ولكن ما أجدح الزمن !



هؤلاء الصغار.. وأما لهم
الكسرة

لهؤلاء الصغار .. وآمالهم الكبيرة

لا بد من معجزة لانشأتنا جميعا مما نحن فيه .. فأمس عندما جلسنا معا ،
أجسست أن كل واحد منا عرقان في شيء ما .. ولما هكذا فغصنا في أول
الطريق ..

هذا عرقان في القراءة - أى في القوم وهي أفكار الآخرين .. وأنه يرى أن
المهمة تبدأ بالكتاب وتنتهي به .. وأن الكتاب إذا كان يبدو مبسطا عليه في نفس
الوقت زورقي السجاة ..

وأن هذا عرقان في الجنس وفي العمر وفي طوس لجوبه ..
وأن هذا عرقان في الواقع .. هي الواقعية .. وأن الإنساني يجب أن يعيش
، على فقه ، .. بمعنى أننا ما نعلمنا طلبه فكيف نذكر كأسانة .. وإذا كنا من أبناء
نريف الفقراء ، فكمادا الإصرار على أن نلحد على أبناء المدينة الأغنياء ..
العرق بيننا هو أبدا .. فلا نحن سبب فقرنا ولا هم سبب في ثرائهم .. أى أننا
يجب أن نفكر ، على فقه ، أيضا .. وأن يؤمن بأن الفقر مرحلة .. والخوف
مرحلة .. والتلمذة مرحلة .. وأن أعظم المظلماء كانوا مثنا وأسوأ .. يكفى أن
نقرأ ما كتبه طه حسين في « الأيام » وما كتبه العقاد بصورة رمزية .. ويكفى
عذاب العقاد في حبه وهي كبريته .. فهو يرى أنه أعظم الناس ، ولكنه لا يلقى
من مناع الدنيا إلا ما يحده بواب البيت المتواضع الذي يمكنه . بل إني رأيت
حاتم العقاد يمسح الأكواب في طرف جلبابه . وليس في البيت فوطاة ولحدة
غير التي يسمح بها الأخذ بالعقد وجهه ويديه ..

وليس من الضروري أن تكون أغنياء مثل أفلاطون وشوبنهاور ، وإنما فقراء
مثل مقرط وأرسطو وألف فيثوف آخرين ..

ويجب ثوار لهم دين .. وثوار غير لهم دين ، لا الماركسية ..

والنفس لهم دين يريدون أن ينقلب الدنيا على رؤوسها جميعا وهم يريدون هذا ممكنا . وفي الإسلام حتى على أن يحقق المعجزات . ومنه لا حل غير الإسلام ولا علاج صحيح . وفي الثورة شية لا ريب فيها .. إنها مسألة وهم وظهور بحصر الشخصيات البارزة المكلفة من السماء ، بإصلاح هذا الكون وبعوها . وبعوها سوف يدلون بشيئا جميعا هي المبادئ العامة - غيرة وعنة لكل الناس .

ولكن لماذا ؟

لأننا نشغفنا بالطفعة عن نكر الله ..

وأسأل . كيف ؟ إنما جميعا في جماعة الإخوان المسلمين .

ويكون الرد . ليس كأيها ما يؤمنه من هزل . يجب أن نذهب إلى أبعد من ذلك فأخذ بأيدي الناس . وألا يكون لنا هدف وغاية غير ذلك النصبية هي أول المبادئ والشهادة هي المبدأ الثاني . وراحة الصبر .. والباقي على الله !

والذين يريدون الثورة بلا دين . لأن الثورة هي الدين ، يطالبوننا بأن نسطر إلى ما هي نبيذنا .. ما أدى فيها ؟ لا شيء إلا بغايا البحر وزالحة الطعام .. وقد لاحظ واحد منهم أن المفراء هم الذين يمشون وأصابهم مصومة . لأنهم يفتشون على الهواء .. أو يدومون أنهم يمشون شيئا في أيديهم . أو يحبون ذلك .. أما الأعياء فأصلعهم معروفه .. بكل شيء عذهم هي البتة .. هي الحق .. هي تلك .. طيسوا هي حاجة إلى أن يصموا أصابعهم .. والمفراء هي الدنيا أغلبية .. فهم قوة .. ولكنها قوة عمية .. هي حاجة إلى عيون ، نحن صوبها . وفي حاجة إلى جنة ، والجنة هي المستقبل . المستقبل الممكن وليس المستقبل المستحيل .. ولا يمكن أن نخضع لقانون الصدفة .. فمن النصف إلى والنك نزوح أنك .. ومن النصف أنك خرجت فصورا كوكبك . أو غوبا أو مريضا . رهبا أو حقرا . عشتلما أو متفتلا .. إنها الصدفة التي جعلتك أفر وجعلتني أغنى .. ولا بد من أن نعرض العدل حرصاً .. بالقوة .. بالتحديد بالشر .. لابد أن تكون هناك أمران .. وفوقها الناس .. أعداء الناس هم الحطب

، تحبب . وعصبها هو الكبريت ومرارنا هي اللبني . وسوف نضع جميعا .. هذه هي الثورة . ولا تزال الثورات هي أئبل وأظهر ما عرف الناس ، علاجا للإنسان . وتقويما للإحراف . واندفاعا لآلجته الموعودة .. جنة التي وعدنا بها أنفسنا لأنفسنا ..

وهنا هاتون وشعراء وأصون بالطويل من هذه الدنيا .. يبغي أن يكون لدى نفس إحساس بالجمال والحربة والعدل .. يبغي أن أقب أمام رهرة .. أمام عصفور .. أمام طفل صغير .. أمام هزة جميلة أو صورة لها . فالجمال لكل . والله سبحانه وتعالى قد جعل الهواء محلا والصوت صهانا والماء مجانا وشجر في الحقول بلا رسوم . أما السلطنة فهي لذة الطعام . طعام العين ولأفب والأش . وهزة جميلة واحدة . مثل رهرة أو وردة أو قطة تكفي .. نعبدة متبنة للذين أحبوا الحياة . والذين برأوا أن البناء أزوع من الهم . نسامح أصقل من الانتقام . والسلام أعظم من الحرب . ورمضا البشر أعقى من الحرارة .. وحب الالتيون أشرف من إكثارهما والبحث عن أباه أكرهين في تكلم أو في الشارع .

وهنا من يؤمن بأن هذه الدنيا هي كل ما لدينا لا قبلها ولا بعدها . هذا يومنا وه حباب . يجب أن نعيش هذه اللحظة . هذه اللحظة .. هذا العراش هذا — ويجب ألا نشتغل أنفسنا بما لا يعرف من الماضي ومن الاعد .. اليوم من البداية والنهاية .. فإذا صبحونا من النوم . فنبدا أبديا وجها وظهرا لأننا — من أهباء .. وأما سوف نعيش يوما آخر .. وأن ترتبط بالشمس ، بصعود معها وسام معها .. وفي صوتها مجرى وثلاث . ثم يرتضي ويسريج . ونحن — يجب ألا يكون لدينا أمل في يوم آخر . ففي كل يوم آخر ، فتنك سمات جديدة .

ومن يبتا أناس أو أحوال أنفسهم .. قالوا : نحن لا نعرف شيئا عن هذه الدنيا .. نحن عند وقت . ونست لئسا قدره على فهم ما حدث وما سوف يحدث .. هكز أي شيء .. ونحن لا نعرف إلى كلى هذا الذي يقول أو نسمع صانقا . كليا .. معلومنا عن أنفسنا ليس دقيقة .. ولذلك نحن في شك من كل سره . لا نعرف ما البداية وما النهاية . وهذا الشك عندما مثل . عامة . نحن بها كذا بعدد على الحياة من ساعت عينه وانسبد أنه وانكسرت .

ملافة لو ذواعه .. أو مات أبوه وهو طفل .. ثم مات أمه بعد ذلك ونقل بين
 « البديل » .. بين الأم والأب والأم والأخوة والأقارب .. وقد عرفنا وعاش
 أحدينا وسوف يموت شريدا .. فليس طيبا أن نشعر بالامتنان لأحد من
 الناس .. نحن جميعا قد أنقطنا من طائفة مجهولة على هذا الكوكب .
 ولا نعرف من أين وإلى أين .. ولا لماذا ولا ما هي الحكمة .. هل نحن ممتنون
 حقيقون في دراما الكون ، أو أننا كوميديا .. أو أننا هنر جوع عندما وجدنا
 القوسى على المسرح وعلم المعنى وصياح المنطق . هربنا إلى المسرح ..
 فلماذا لا نعمل نحن أيضا ما دام لا فرق بين المتفرجين ، والممثلين ، فكل شيء
 بلا منطق ولا حكمة !

• • •

وفي يوم خرجنا من بيت دكتور طه حسين بعد أن أقمنا بالحدث عن «شعر
 النهاضي» وبعد أن أتناع فيه اللون والذوق والشعاع والبذل .. سمعنا كنه أقام
 لنا حيمة في الصحراء .. ثم أدخل فيها الكهرباء والتريو والملاحة
 والمروحة أبها حيمة من الخارج ولكن هي داخلها حرم ووصل إليه الضيف
 في المعمار والتيكور والآلات .. ثم أتنا عن طريق لوانيو والسيور على صله
 بالعالم كنه .. تلك براعة طه حسين ..

ولكننا أقمنا بعينه الأمل ، فهو رجل شاطر ولكنه ليس مبدعا . به ربح
 فأنذر على أن يستخرج للولوز من البحر والماء من الأرض . ثم يغمس ذلك
 عفردا وأمرطاً وبسرعة يلقى بها من الناهة .. أو يستحق بأصابعه المسحرة
 هكون نزلنا ونحلقا .. كأنما في « ألف ليلة » ..

وجلسنا في حديقة الأسماك في الزمالك وشغلنا جريده بشرية
 الصعبة .. وكانت هذه الجريمة مثل غزال جميل نكثرت عليه كمجموعة من
 اللوحش والصورى والكواسر يريد أن يفتريه جميعا وانترما هذه
 الصعبة .

سؤال : هل كنت ترتكب هذه الجريمة لو سمحت أن أحد ، لن يرى بك ،
 ونكسب ألوم الجبهات والدولارات ؟
 قال واحد بلا تردد : نعم .

وكان هذا الجواب المريع أو المتشرع بريء أخرى . وقد علمنا : كذلك لا نتردد في أن نكون مجرماً ولنصاً ما دام أحد لن يكتشف امرؤك .. كأن المرء يحفظ هو العقاب .. ولكن الجريمة مقبولة ..

فأجاب : نعم ! وكذا ذلك الرجل . ولتص للقاتل والمجرم المعنى هو الذي يقع في أيدي البوابين !

قال أحدنا من الصعب أن يتصور الإنسان نفسه قاتلاً .. مجرماً . إنني عندما كنت أقرأ رواية : الجريمة والعقاب ، لنسوهسكي كان شعر رأسي يهف في التعليقات التي قرر فيها الطالب أن يقتل صاحبة البيت . وهذا الطالب اسمه راسكولنيكوف ..

وكان الرد عليه : قُت شعرك رأسك يهف لأن طالباً يحاول أن يقتل صاحبة بيت ، يخلص من دفع الإيجار .. ولكن شعرك رأسك لا يهف إذا سمعت هذا بيت بمن فيه من التلويح والأطفال والحيوانات إذا كانوا يستنزون على أحد من الثورة الحمراء التي ترننفا .. شعرك رأسك يهف للاضرار والترصد .. وبك لا يهف وإنما تصبح أضلع مثل لويس إذا أعدمت كل أصحاب البيوت .. ثم أصحاب الأرض والمصانع كل الأغنياء . يا ألعن شيء عجب .. إنني ؟ فهمك !

قال آخر : القتل هو القتل .. وهو جريمة .. حرماً الله . إلا في الحرب .. عن الإسلام . وإلا في الدفاع عن الوطن .. وعن الشرف . وإلا في خصم .. وإلا في تنفيذ الحدود التي شرعها الله !

وقد كثيراً .. وكانت هذه الجريمة مثل ما رأيت انتعلت سمناً بسرعة ولم يطع في انهرب منها .. فرجاً مقلع ملائسا .. فنعري أمليها .. لقد انتكش حقا .. به مثل جريمة المصلطيس في ألف ليلة ، فلا يقرب منها سبعة إلا انلمت مسيرها ، وأصبحت السبعة أنواراً خشبية طافية ، يطو بها الموج ويهبط .. في يحطه واحدة ، وفي جلسة واحدة ، كئيباً أنصفا ، واكتشها أعانفا مرة أخرى . لم تكن هذه هي المرة الوحيدة .. وإنما نحن مملطون على أنصفا .. بعد رأينا أنصفا كثيراً في أصواء كثيرة . كئينا محبوسون في صندوق سور ، ذلك الصندوق الذي أهدته آلهة الاغريق لأول مرة .. هي الصندوق كنت كل الردائل : الضع والحبس والأنانية والانتقام والغيرة والحمد والكتب

والسرفه والرفا والحياه . وهي داخل الصندوق بلائ كل الشرور وصاف
عفسها . فلا حبه لها إلا هي الناس ومن الناس مرقهم وحرهم . وتحرهم
بعضهم بعض ..

ونقول الأسطورة الإغريقيه أن الصاد ستورا . قد هكت للصندوق فخر جب
كل الشرور . وهي أحر لحظه أعلت الصندوق . فلم يبق فيه إلا . دمس .
الأمل في الخلاص من كل هذه الشرور ..

ولكن صندوقا الردي الصنع . أو صندوقا المصنوع من الورق . حرج
منه كل شيء .. وأول الحوارح كل : الأمل

هي تلك الأيام كانت لنا زميلة ، صملوكة . هي التي نقول عن مصها ذلك .
ونقول : إنها سمعت من والدها ، أنه كان أسعد صطوك في باريس .. فأبوا
مصري وأنها هرسية ألمانية يهودية مسلمة . ولم تكن تعرف ما معنى
الصملوكة . ولكن نطرا إليها ونقول : هكنا للصملوكة .

فهي تمشي بسرعة وتنكم بسرعة وبصوت مرفع وهي إذا تعثت تعرك
كل شيء هي هسها .. قامت وقمت . ونشازت بذراعها التحليل وسافها
الجميلتين وحداثه الذي يشبه أجدية الرجال ثم أخرجت عبة سمائر وأضعت
سبحارة .. وكان تنحب للطلالة شينا بانرا .. وبهذه الصورة نشره شندوا .
ولكنها صملوكة . أما شعرها الذهبي فكان قصيرا .. وسط بين شعر الرجل
وشعر العاه .. أو كان : الأجرسون . أي على طريقة الشين . وكانت تقول .
أ تكره العاه الأجرسون - غلاما - هو نوع من العمد على فكرة حريم
السلطان . حريم الرجل الشرقي .. فهي تقترب من الرجل وتظل هي نفس
لوقت نسي ..

وكانت هي التي تعثنا عن نياها . برقص وشرب .. وليس هي بيتها أن
مروح . وكانت ترفع يدها بالنحية لكثير من الطلبة والمدرسين ومن لا تعرف
من الناس .. إنها اجتماعية وعلى صلة بكثيرين .. ولكنها طالمة مجتهدة جدا .
تعرف حسن ألعاب . وتذكر وتتفوق على كل زميلاتها ..

هل السملكة هي الحرية المطلقة ؟ أو هي الحرية الآزمية التي تسهر مع
الحرية للشرقية ، أو الحرية التي تسرب حريتها بالجموع .

قلت وقد صرنا وحدنا في حقيقته الأزمان : هكرت ؟

في أى شيء ؟

في الهجرة إلى هرسا ، كما تناقشنا

ما أتى سوف أجد هناك ، ولا أجد هـ .. إني مرتبط بملعى العربية .
ثم أترسى . مات أبى ، ولا يمكن أن أعتمد على إحمى الأكبر ، ولا على
خالى وحلى . وأن قلبى لم يمتنع فى كل مرة أجد أبى الأصغر يمشى على
قدميه حتى يصل إلى الأنومى ليعمل فى آخر القاهرة .. إني أراه يعبث فى
صمت .. لا بد أنه يتوقع أن أساعده ، هـ ساعضى كثيرا جدا .. ب كل ورقة
مالية أقصها عنه . تشبه ، فندول البحر ، .. إنها ملهء باعنة ولكنها تفرز نار
فى يدي وفى جسمى . إني أريد أن أنهى هذا العذاب .. عذبا نحن الاثنين !
وتلك عيرت ريك سرعة . ألم يقل أن لك أقارب فى منطقة الأتراس
واللورين .. إني أعرف كثيرين هناك .. وأعرف ما لدى يمكن أن عمله .
أو عمله معا .. ولذى براء عربيا هما فى القاهرة سوف نجده مألوا هناك ..
وسوف تكون مثلى ربما أكثر ابتلافا .. ولولى شيء سوف عمله هو أنك سوف
نتخلص منى .

ومع ذلك نريدنى أن أهاجر إلى هرسا ..

نعم .. من أترك ربما سيعك أنا إلى العلاء .. منى ومك ؟

ليس بهذه السهولة .. فلا أنا قادر على الحركة والانتقال مثلك .. فأت
هناك لست غريبة .. وإما أنا لشعر بالمرية فى بلادى ..

لأنك تريد أن تبقى عربيا .. لأنك غير قادر على أن ترتبط بأحد
أو بهد . أنت الذى تقوم بتسطيع العلاقات بين الناس .. هل هناك سبب واحد
مقول أن يصدم زميلنا : أ .. لا سبب . ولكك أنت الذى لا تريد أن ترتبط ..
لا تريد أن تكون موهوبا بأحد .. ألا تذكر القصة القصيرة التى كتبها فى مجلة
لكلية وكل موضوعها وعنوانها . : لينى شجرة على نرعة تعيش ويموت
واقعة : .. ليس لها إلا معنى واحد هو أنك ترفض الأبوة والأمومة والأقارب ..

من ترهص الإنسانية .. ومريد أن تكون شجرة تعيش وحدها وموت وحدها
 إنك انحزرت شجرة . كذك احزرت علامة تعجب لها أعصى ، أوراق ، بها
 علامة تعجب منك ولك .. وأحب أن أطمئنك أن كل الصعاليك بذلوا جياهم
 هك . لك تفكر مثل أبى بعلما . والآن بعلما وجلس معه .. به قد صرف
 فى الارتباط بالآخرين حتى أصبح مثل جفيعر فى بلاد الأفرام مربوطا بالحيوط
 ولحال من كل شعرة فى رأسه وشارب ولحنه .. غم بعد فائز على
 الحركة . ولكن فى هذه الحيوط سعلنه .. نالما كما بعد فزاء اليهود يومهم
 للعقيق على المسلمير .. وكما بعل ، الرفاعة ، فى ريف مصر يصرون
 أنفسهم بالسحوف ويدخلون المسلمير فى وجوههم وبطونهم .. وتفسر أبدنا
 لذلك . أما أبدناهم فقد وسعت الخوف والألم منذ وقت طويل .

شئ عريب حقا هل جاء الخريف قبل الأول . فالأرض تغطت بأوراق
 صغراء دابلة .. كأنها قطعت من كراريس انطلة بعد الامتلى .. أو كأنها
 عملات مرورة طارت من أمد أقسام الشرطة .. أو كأنها كلمات فارغة .
 أو كأنها بقايا معركة بين السماء والأرض .. فالأرض غطتها جثث لم يدهها
 أحد بعد ..

حتى وجوه الناس فى الأخرى ، كأنها تارتت مهابتها .. فالرجوع شحبه
 والعبر دابلة والأصوات كسيرة والخطوات ثقيلة . والناس تكلمت ..
 شئ ما كتم أناس الكور فلا صوت ولا نغم ولا حياة ولا حركة .. وأنا
 أيضا تكلمت .. فلا ألفت حولي ولا أنظر ولا أقامل ولا أسمع ولا أفكر
 ولا أريد . ووجدت الكثير من المقاعد الفارغة .. كان الناس ، لسبب
 ما تركوها واختبوا . كلى هجوما عاجزا وقع على هذه المنطقة من
 « ميل الروسة » .. كأنهم المماليك الرجبة أو المماليك البحرية ظهوروا
 وسولوا على المنطقة وطوا الناس مره أخرى إلى تركيا كأل هذه المنطقة
 انتشت وأبتعت الناس .. كان القاهرة كما وصفتها هيروذوت تسبح فى ديلها
 وشوارعها المماشيح فلتهمت الناس .. ولم يبق سوى شاهد على العصر ..
 والسبعة .. وعلى تعريب الشوارع والبيوت والحدائق من الناس ..

وهجاء ظهر الناس .. وصحوت من هذا المرحل أو هذا الإغفاء أو الإغماء
 أو الإعياء .. لقد ذهبوا جميعا إلى بائع الآيس كريم .. ثم عادوا ولاندهم
 سحر فوا دقيقة أو اثنين . ولكن هذا الوقت القصير جدا ، أحسست كأنه
 شيء غريب ومعجب . أحسست الإنساق بالزمن . إن أحساس هو التي
 يجعل الزمن يكون في مزرعة عقارب التناهي ، ويكون في بلاد عذراء
 الساعة .. فالزمن هنا . هي داخل ولا علاقة له بهذه الساعة هي تيب
 ومنذت يدي إلى الكتاب الذي تركه . للصطوكة . العرسية وهي تقول .
 به بضم مجرد معترحات رديئة لا تترك ولا تساعد أهدأ على أي شيء .
 ثم بكلمت شيئا بعد .. !

الله يلعبك يا ليليان كل شيء عليك ومعك يلعب أنت مثل السحك
 الرعاش . من يلعبك تصعبه .. أنت مثل حل العمل .. إن أعصاه على
 نمس الرهيق ويعز العمل هي التي تكوي من بدو منها . السم والعمل في
 مكان واحد . كيف أنت هكذا . أجمل الكلام وأجمل الملامح والحبوبة وشباب
 والشجاعة والانطلاق والمطلق الحديدي والبساطة والبار والنور ست
 أسطورة ..

ومنذت يدي إلى الكتاب الذي هو اقتراحات رديئة لا تترك ولا تسعد حد
 من الناس .. وبسرعة قلبت فيه وصحكت .. ثم أقيت عليه من بدايه . أعود
 بالله ما هذا بهم شعراء وأبناء كيف كانت بهابهم التي وقعو فيها والتي
 حاروها . الكتاب عموما : ' بهابهم العجيبة ' :

نشعر الإعرافى انكاريون الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد كان
 يأكل اللحم ، فابحثت حيات في حلقه هبات :

والشاعر فريندز رماه أحد أسفله بحبة من السيل . فاسفرت في همه وفي
 حلقه ، هبات !

والأديب اسكلوس كان يجلس أمام بيت عمتا خلق بحر يحمن مطعنة بين
 محالته . فأعطته هزلت على رأس هذا الأديب هبات هورا .

والعولف المسوحى بوزن من هاجمه الكلاب هزقه ومب *

* * *

والفيلسوف نيو جاس طلق أن جدى على راسه ، بعد من العالم موب
يقطب ، فإنا لنقلب صائر وأنا على قدميه !

* * *

والفيلسوف العظيم أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) الذى سمعه فى البحر ،
عنده صخر على صخر سبب انبثارت الحورية ولما شعير فى اليوم الواحد
عشرين مرة !

* * *

والملك الأنيب عزيز بنس (١٢٢ - ٦٣ ق م) كان يهدف أن يموت
مسموما ، فطلب إلى حاشمه أن يضع القليل من السموم فى طعامه . حتى اعداد
الجسم على ذلك . وفى يوم قرر الانتحار . وأخذ كمية من السم ، ولكنه لم
يمت . فطلب إلى أحد حراسه أن يلقى رأسه بحجر *

* * *

والعبد كالحاس مات من العطش . بعد عاش يوما بعد اليوم الذى حننه
العراقون !

* * *

والفيلسوف هرقليطس عطى نفسه بروت النقر . حتى مات !

* * *

والفيلسوف زينون قطع أحد أنصافه عندما بلغ التسعين .. وراح يرف ثم
بذل الأرض بضميه ويديه مرندا يبدأ من الشعر القديم بقول :
جئت إلى هنا ، فلماذا أثبتت بهي ؟
حتى مات !

* * *

والعسكر الروماني قتلحو ماريديوس أنشل بلرا صحمة ، وزاح ينور
حولها وأدى إعدابه الشديد دأولها وأصولها ثم ألقى بسمه بها !

و لانيه الزومين - سبك ولوكاين وبيروبيوس - مرق كل منهم عروق بنه
، اسطر الموت سعيذا لأومر الطاغية بيرون الذي جلس يتفوح على هذه النهايه !

• • •

ما للتدعر خاموس سيبيا ، هذ طينه الجماهير واحدا من السحاحين فتكثروا
عنه و قتلوه !

• • •

و نيبوس أول من ألف كتابا عن الطهي في التاريخ .. هذ استدرجه لصدعاه
في قمة وليلة صمعة ، فقلها . ولما عرف أن القلوس التي بيعت لديه لانتكبيه
سهر ، طل يأكل من هذا الطعام جنني مات !

• • •

و اشاعر النصبي لي يو (٧٦٢ - ٧٠٠ ق . م) ركب زورقا في بلة
مصرة و شرب بيها و غنى و سطم شعرا ، وعندما حاول أن يهمل صورة العمر
على سطح الماء انقلب و غرق و مات !

• • •

و اشاعر الإيطالي بتراركه (١٣٠٤ - ١٣٧٤) نمدد على هرائه و أعطوا
به مات و تركوه يوما بناء على وصيته .. و هوجنوا بأنه اعتدل و قام و عاش بعد
سك ثلاثي عاما !

• • •

و نيلسموف الانجليزي هرائيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) كان يحشو
تحيوانات المينة بالجليد ، لكي يعرف كم من الوقت تظل هذه الطيور
حيا جوية .. فمات من شدة البرد !

• • •

و لانيب بن جوسون (١٥٧٣ - ١٦٢٧) طلب أن يتعز واهما .. فدهوه
حت كيسة كانتربري واهما !

• • •

والمؤلف الانجليزى روبرت برنز (١٥٩٥ - ١٦٤٠) توفى فى نفس اليوم
الذى توفى فيه !

• • •

والشاعر المجرى والزعيم السياسى ميكلوس ريسى قد هاجمه حبيب
وهله !

• • •

وماب شيكسبير ، الأديب الانجليزى سرهفتس فى يوم واحد . ٢٢ أبريل سنة
١٦١٦ !

• • •

وموليير (١٧٢٥ - ١٧٨٣) كان يمثل نورا فى إحدى مسرحياته . النور
هو أن يظهر بالمرض هائل يميل ويهرب . وعندما برل الستار مات .
المسرحية اسمها : المريض بالقوم ، !

• • •

والأديب الأمريكى جيمس اونس (١٧٢٥ - ١٧٩٣) . يمسي أن يموت فى
السماء بأن يحملة أحد الصور ثم يموت بين محبيه . كان يمسي فى الحقل
فأصابته صاعقة مات !

• • •

الشاعر الانجليزى لورد بيزون (١٧٨٨ - ١٨٢٤) مات عندما نقل منه
الأطباء أربعة كيلو جرامات من ثمة لملاحه من العلاريا !

• • •

الشاعر الألماني فون بومل مات أيضا سنة ١٨٢٤ وطلب أن يدفنه فى
جوف شجرة . للشجرة ما تزال حية !

• • •

الشاعر البريطانى شيللى (١٧٩٢ - ١٨٢٢) مات عرقا . وعندما أحرقوا
جثته ، لم يحرق قلبه . فحملته زوجته معها فى كل مكان !

• • •

أمير الشعراء الروسي بوشكين (١٧٩٩ - ١٨٣٧) مات في معركة بالسيف ،
 ، الشاعر الروسي لومنتوف (١٨١٤ - ١٨٤١) نظم قصيدة بعنوان « موت
 ساعر » هو أيضا مات في معركة بالسيف مع أحد خصومه !

• • •

والأديب الأمريكي هوونز ولد سنة ١٨٠٤ كان يتشامع طول حياته من رقم
 ٦٤ فكان يحدد رقم ٦٤ من كل كتبه ومذكراته . ويكتب بدلا منه ٦٣ مكرر .
 سنة ١٨٦٤ !

الأديب البريطاني تاتكري (١٨١١ - ١٨٦٣) مات من اللحمية ! والعلمسوف
 لإيجليزي بشأن (١٧٤٨ - ١٨٣٢) ترك ثروة ووصيته بأن يطل جسمه
 معروضا على طلبة الجامعة مرة كل سنة . الجسم معروض الآن بصفة
 .. سنة !

• • •

الساحر الأمريكي مارك توين ولد يوم طهر المنفب هبلى سنة ١٨٣٥ وأعلن
 « سوف يموت عندما يظهر مرة أخرى » وطهر في سنة ١٩١٠ ومات مارك
 توين !

قال مارك توين : إن الله سبحانه وتعالى لابد أن يكون قد قال : طهر هذان
 المجموعتان معا ، وسوف يختفيان معا !!

• • •

والكاتب سلام عليكم (مخلومو عليحيم) كان يخاف من رقم ١٣ .. لا يكتبه
 في كتابه ولا في كتبه .. وإنما كان يكتب « ١٢ مكرر » مات في نيويورك
 يوم ١٣ مايو سنة ١٩١٦ .. كتبوا على قبره : توفي يوم ١٢ مكرر مايو سنة
 ١٩١٦ !

• • •

، الشاعر الاسكتلندي دافيدسون (١٨٥٧ - ١٩٠٩) كان قد اقترع من ماشي
 حبه من زرد شو . قرر أن يعيدها بسرعة . فعمل ليلا ونهاراً على إكمال
 حب 'عصاه المسرحية . فخلعت المسرحية . فالتقى بنفسه في بحر الملح !

• • •

الأديب الإنجليزي فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) مات يحمي الشعب بعد أن شرب كوباً من ماء نهد السبع حياشراً لذلك على أنها مياه سامة صحبه !

الشاعر الروسي سرجي اسير (١٨٩٥ - ١٩٢٥) هجم عرفاً في نراعه وكتب قصيدة بنعمه ، ثم شقق نفسه !

الشاعر الإنجليزي روبرت بروك (١٨٧٧ - ١٩١٥) ندعه بعوضة قعات وترك ثروته لثلاثة من الشعراء هم : جيلمان وأركرومبي ووالفردلامر !

الكاتب الإيطالي كارنوجو بدى مات بالنصمة عندما هم بترجمة لاتيينة للبابا ، اكتشف فجأة أن خطأ مطبعياً بكلمة واحدة تكرر في كل الكتاب - ولها معنى مختلف تماماً !

الأنية الأمريكية ألين جلاسكو (١٨٧٤ - ١٩١٥) أوصت بأن تدفن مع كتابها .. ولما نقلت هذه الكتاب إلى نعشها بعد تلك .. وألا تدفن مطفأة على مسافة أقل من ألف كيلو متر من هيرز ولداها الذي كرهته طول عمرها !

في سنة ١٩٢٣ أمر هنرمان بيلغ المؤلف أرنست مولر ، كتابة الذي كتبه صد للبارية - الكتاب من ٤٧٠ صفحة !
وطل بأكل كتبه حتى مات !

الفيلسوف أفلاطون في ٤٥١ ق م أحرق كل قصائده التي عظمها ، وقد قرر أن يكون تلميذاً للفيلسوف سقراط !

الراعي الإيطالي سافويارولا أحرق في سنة ١٤٩٧ كل مؤلفات الشعراء ، وقد تبرع بوزيريس وموكلشيو ودينه هذا الراعي أحرق أيضاً !

في سنة ١٥٥٣ أحرقت فرنسا المؤلف ميشول سوهينوس . مع كل كتيبه !

• • •

١٠ من الرابع عشر حرق مولفات بالسكال في سنة ١٧٣٤ !

• • •

عشر كتب التي أحرقت في القرن الثامن عشر في كل الدول الأوروبية هي
من كتب جيلسوف الفرنسي فولتير !

• • •

١١ - في لغة الجنس . للعثم هاهلوك ، إليس صبيثنه جمارك ديوبورك ،
من كتب تمام عيسى المؤلف !

• • •

١٢ - في ميسوري ، الأمريكية أحرقت رواية ، عاقبة المصعب ، للكتب
من يكي شامبيك !

• • •

١٣ - عبر إلى الأبد ، للأنيبة : كاتلين ويسور ، أحرقتها الجمارك
من حبيبة !

• • •

١٤ - كن هؤلاء الناس وكل هذه المصائب .. ومطلوب أن أختار في نهاية
سري . بيد غيري .. ولكن لماذا ؟ لأنني لا أريد أن أعاجر إلي فرنسا .
١٥ - لا أريد أن أنسلي بها ومعها إلي هناك .. حيث يترق عند أول
مصرع في طريق وأنا في طريق .. ولكننا هنا في مصر في طريقين
١٦ - لأنها تزيد أن أجد بوجهة نظرها بعض الوقت ، ثم ألتحق للعبات
تجدي بدني هذه الحفاقة !

١٧ - من كل طدى فرأت لم يبق إلا هذا المعنى يجب أن أقطع صلتني
شخصي .. لا كل الماضي وإنما بعضه .

١٨ - يجب الماضي هو مجموعة من الكتب القديمة التي حرصت على
صنعه . وأصقتها بالورق اللاصق والندبيس .. وهي جميعا كتب مدرسية
١٩ - جميعها إنها شبه ملائسي القديمة . ولا قيمة لها .

واستبعدت أن لحررها .. أو أن ألقى بها في التل ، كما فعلت عدة مرات .
واستبعدت أن أقيمها بالآفة ، فأنا لا أطيق أن أرى البائع يرميها ويضع فيها
الحبار أو اللب .

وأخيرا تفكرت قصة فتيمه سمعها .. ووضعت كل كتيبي في سؤال
وطلب إلى أحد أن يحملها عني . ثم وضعها على ظهر حمير ودعينا مع إلى
مكان يعود من إسميه . ورحنا نحو الإثنين نجر في جانب من الأرض ، وذهب
كل هذه الكتب . مناب . وقد بللها الطين .. وأن يمضي وقت طويل حتى
تكون طينا هي الأخرى .. هل برلت نعمة من عيني ؟ برلت نموع كثيرة ..
كنتي واحد من الجامهليه رزق بسا ، وهو بكره القدرات .. ويراهما عارا فراح
بدهما حبة .. أما الولد هبط هو المعجرة . وهي إسمه . لحمه . نعه .. ولكن
هذا حكم المجتمع البدائي للهمجي العصبى .. ذهت ساني وأهلت الطين عليها .
واشتريت صمغ الطلح الذي كان يقد الحمار ، فأعطيته بعض المال ووعده
بمزيد . وحمل الحمار كبا أخرى إلى أماكن متفرقة .. وكان الولد وكاتب
للموع ؟

واشترحت نصبا لذلك ، ولأشباب ليست واضحة تماما . ربما كان هذا قرار ،
مؤجلا يطلعني كل يوم .. أما القرار فهو : لأد من التخلص من الكتب ولكن
كرب ؟ وتخلصت منها ..

وانطلقت من أمابة إلى القاهرة إلى بيت في مواجهة مسجد السلطان
أبي العلاء . ومع البيت عمود الجيراني والرملاء والأسنفاء . وبغير الطريق
دعنا وإيانا وسط القاهرة .. وعميرت المشاهد التي أراها من نافتي فوق
الأسطح ..

وتباعدت - دون تبرير وتفكير - المسافة بين كل للرملاء والأسنفاء . وكنا
نلغى يكون اليوم رهقا . كأننا قد سلمنا بأن هذا هو الطبيعي . وكأننا قد قبلنا
معنا ، أننا لا نرى بعضنا لبعض . ولا لوم على أحد . فهذه هي الأدب
الواسعة .. لفتي لملأت بألس كثيرين . وهذه هي القوافل الحبيبة والعلاقات
والمشاكل والصداقات الحديثة .

ولا أعرف كم مضى من الوقت .. ولا بالاصط ما الذي أعفاه .. وما هو
الطريق الذي سوف ألكه . وقد انشغلت تماما بالطريق عن نهيه .. للمهم

.. بد' وأن أسعرو وسوف تكون النهاية فيما بعد . كل شيء سوف يجيء .
شكك ما ، بدرجة ما ، قى وقت ما ..

هو هو استسلام للواقع ؟

نعم

هل هي توكليّة ؟

نعم . ربما كما تسافر بطائرة وسيسلم هي مقمك وسام .. فأنت لا تعرف
حصرا ولا علوم الطيران .. وأنت انحزت للطائرة وسيلة للمواصلات ..
وانحزت معها أن تستسلم ، وليكن ما يكون .

• • •

وفي يوم ظهرت ليليل ، أكثر إثرافا وبريقا وحيوية ولحملا ومرحبا . قلت :
كيف حالك ؟

قالت : كما ترى . كيف نزلتي ؟

قلت : في أروع حال . مني تسافرين ؟

قلت : بل أريد أن أهاجر !!

قلت : وأنا أريد أن أهاجر !

قلت : لا أنصحك . كنت أدعوك إلى الهجرة عندما لم يكن لك عمل ..
بعد . لكن قد بدأت .. أما الآن وقد بدأت ، فمن الجيد أن نهاجر . لبدأ
.. سمر وكمل وغير طريقك وأنت في بعض الطريق

هـ : ما عظمك .. ما أروعك .. ما أنصبا بعير عطفك ..

هـ : أنت صادق .. أنت صدقتني . إنني فرت ألا أهاجر خوف أنني ..

هـ : سمى .. ومعا ثالث : روجي . فقد قررت أن أفرج صطوكا مثلي

..

هـ : أنا أنصبا كنت أبا عطفك . فأنا عارق في عملي الصعبي .. لو عملي

كسري . وعندي رغبة قوية أن أعود إلى الطلحة ..

هـ : جعلها فاكهة .. لا طعاما أساسيا .

فت: وكيف كلُّ هؤلاء الروح هذا ؟

فت: هؤلاء صغارك ..

فت: كيف ..

فت: - ولا حاجة . هو سائل هؤلاء الروح ؟ فقل له لا يصح وسره
تدبناك وتكون العصمة في بيتي قتل موافق . فتتبه واضرني
قال هم أصغرتني أيضا ولا أريد اضداد موافق على بيتي . وقلت -
ان يعيش في بيتي والذي موافق هو يريد . نفس معك أنت أيضا . عد
عزائي فوق السطوح . احداها يسكن فيها . روح .
- من روح ؟

- صديها .

- روح جميل ؟

- مجاهد نعم .. سمع أن محسن حتى بعد أن حكى مائسا . - ع . لك
وحد . ذهبت بزيارتها من حين إلى حين . وسنا عكسه صحته . فاف للك
والروح . لأنطوائ . .. فقال .. كأنها بعثة دراسية هي فربما التي تقع في
فت: انهارة ما ريتك ؟
- موافق .



موعد في الكباريه
ولكن الملك لم يحضر

مرعرتي الكباريه . ولكن الملك لم يحضر

المكان مظلم . إلا من أتوار حافته .. صحراء وحمره .. وهرقعات الصلحك . والموسيقى عاتبة في كل مكان . وهبات كثيرات يجلس إلى المناصه وحده .. ثم يسطر إلى مناصه أخرى .. ولم أستطع أن أتابع واحدة منهم . فالتفت مظلمة . ولا أعرف ماذا يحدث لو جاءت واحدة وجلست معي . مصيبة وقد سمعت أنه من الممكن أن يقاتل لها : اسف .. إني أسطر صبروا

ويقال إنها لاتجلس ولا تعرض نفسها .. لم تكن مشاعري والشفعة . ولا حتى رغبتني في أن أجيء إلى هذا المكان . وارتفع الستار .. وأصغى المسرح وظهرت فرقة موسيقية . وبعدها راقصة . أول راقصة أراها هي حياتي . لا أعرف اسمها . ولا أعرف جسمها . فقد كنت عنها كثيرا . قصة وراء قصة حتى يبهني أحد الزملاء إلى أني أفرقت . مع أن هناك أشياء أخرى تسحق هذا الاهتمام أو هذا الشوق ..

وظهرت راقصات أخريات .. وكل واحدة مثل موجة البحر ، تسمح الموجة التي قبلها . ولم تحتفظ ذاكري بلامح كل واحدة . وكان لا بد أن أذهب مرة أخرى . ودعيت ولكن بعد أن أصبحت أكثر شجاعة . ورائضي رميل لا أنجل منه . فهو الآخر ليس صغيرا . ولكننا معا ، أصبحنا رجلا شجاعا وحرينا أيضا . وكنت المرابيزة التي جلسنا إليها قريبة من المسرح . وجاء الجرسون أكثر بشاشة . فهو قد عرفنا . وقدم لنا المرة من التمرين والتجبة بطماطم والبودابي والبطلانين ومن تلقاه مصه أتى بالبيرة لصديقي . أما أنا فقد أتى بشيء غاري ، لأنه لاحظ أنني لا أشرب ..

والتفت بأهمني وقال : أنت سمجوب بماريا ؟

.. من هي مآريا ؟

.. الراقصة ..

وكل ذلك صحيحاً . ولكن كيف لاحظ ذلك ؟ وكانت ماريا هذه من أصل
إيطالى . وهى تعمل موظفة فى إحدى شركات القطر بهيرا . ولكنها فى الليل
تدرس . ورفضها أوروبى محترم .. فهى لا تسعى ولا تسعد إلى أحد
ولا تجلس إلى اثرائى . ويقال أنها تكمل تعليمها فى الجامعة . ويقال أنها عندما
تجمع مبلغاً من المال سوف تهجر إلى أمريكا .. ويقال أنها سوف على والسها
المريضة .

وعندما بعد سمعت مثل هذه القصص كثيراً . فكل راقصة محول من بوكه
نُها أرغمت على هذا العمل . أى أنها لا تحرمه . فالضرورة أقوى من كل
الظروف . وماريا كانت مثل كل الرافضات . ولكنها جعلت لنفسها نوع من
« الساعة » أو « لوفاتها » . هذا النوع هو هذه قصص التى يحكيها
عن نفسها . والحقيقة أنها تحب رجلاً ، وهذا الرجل يسي إليها أحر القيل بأحدهم
هى وفلسفها ويحدثى ..

أما ماريا فكانت تظهر على المسرح سمره ضوئية رشقة حركتها
انسحابية .. والأولى بغير على وجهها وجسمها . ولكن أفضل الطرز إلى
عينيها فطراتها بلا معنى .. حركاتها صابئة . لا تدعوا لها ولا تصدى
أحد .. وليس فيها ما يدل على مفهوم به . ولا صدق لها تشبه من به
المتفرجين عليها . وجسمها ينور ويكتم وينفرد مثل أهمى يتحرك مع مرمر
هذى . وبعد ذلك ، يدخل الكيس الذى خرج منه .. وكان يعجبني أنها تقف
على حافة المسرح وتوهضك بأنها سوف تسقط . وتم أنهم لصدا تعجبني هذه
الحركة . وأخيراً عرفت أنها مثلى تماماً عندما وقف على حافة السجن
لجامعى أمام الباب . هى مثل لنا خطر الوقوع ولكنها لا تقع .. أما أنا فقد
وقعت فى المحيط الذى هو خارج الحسنة .. وليس ذهنى إلى الكاربهات
إلا نوعاً من حب الاستطلاع والتعرف على معالم الدنيا ليلاً ..

وكتبت عن الرقص وأنواع الرقص . الفصح والحدث . والرقص فى
المعابد .. واللى والحس .. والموسيقى .. والتعرف من كل ذلك .. فقد كان
الذى أثير به يسمون بالنتج . كما حدث فى أول مرة ذهب إلى تكبريه فعندما

حيث إلى أول كبريه وجدت واحدا من الجرسونات يعمل ساعيا في جريدة
«الأنيس» وقلت له : لا أشرب !

قال ولا بهمك !

وسئ باليسون - الذي هو في لون الويسكي - ووصع فيه التلنج وقال لي :
شرب .. أو حلول !

وكان طعمه لعينا . وهذا يضر القرف الذي أصابني في أول ليلة ..
وعرفت فيما بعد أنه يمكن أن مشرب الكوكا - وأن الخمور ليست إجبارية .
وسعدني ذلك ..

وعندما حاولت أن أصبر بالصبر ماالذي أصابني . وجدت أني بحيث يصي
مصرها في أحد الكباريهات . وكنت أتمنى أن أكون مطربا . وليس من المعقول
.. أكون محمد عبد الوهاب من أول أعية .. ولا بعد مائه . إذن نو كنت قد
حب الطرب أسلوبا في الحياة ، لكن من الممكن أن أكون مطربا متوسط
نعم . وأن يكون الكباريه هو المكان الذي سوف أغنى فيه . فيه الناس
يستمعون . وإنما هم مشغولون عن المطربين بالفتيات والخمور .. ووراء هذا
نفس الكبر من الفتيات والرافعات صاحب المحل الذي يريد أن يجمع أموالا
.. في شكل وسرعة .. فهو صاحب هذه السلحفة البشرية .. وسوف يكون
سمعي محندا برصاه وغصبه .. واستجابة الناس لصوتي .. وأرغمتي هذه
تخبره وهذه الصورة وهذه النهاية . فكان التفكير في ذلك أسوأ طعاما من
ليسون بالتلنج !

في يوم أخرجت إحدى موظفات البرنامج الأوربي أن أراها إلى كبريه
كدرسيه .. وهو كبريه عظيم الاحترام . وقالت : علي حطلي .. وسوف
.. رملت فأزرق .. والمطلوب هو ألا تنسى الكراهة !

ومن الموعد المتفق عليه ذهبت أقف أمام الكبريه . العربات كثيرة
هنا مدسوس ومسائون .. وسعرجية . وموظفون يرتدون اليوبيهورم .. وجاء
حتي التخرطه .. وأصبح الوقوف أمام الباب صعبا .. ثم لمسي لا أعرف من
تسبب هناك تذكرت لندجول .. أو كانت هناك برليزية محجورة ولا إلى كال من

المتكبر في انخل ونل النظرها . ثم من الجائر ألا تجيء في موضعها
ولا أعرف إن كانت عندها مجازة أو أنها سوف تجيء بالأنوبيس ..

وجاءت بعد ساعة طولها مئات الساعات !

ولم نكد تراني حتى وصعت نراعها في ذراعي وحلينا .. ولكن لابد أنه
الموقف الذي يحسم أن يكون الناس اثنين اثنين .. ولا أطرق أنسى قلت شيئا
مصمكا أو حتى قلت شيئا يجعلها هكذا تصحك وتمايل بالحنين وتحني رأسها
هي نراعي .. هي أملي وأنا وراءها . وحلينا . وقالت لي : يا أخي أنت حبيبة
ثقيلة . طول الوقت أكلمك وأنت لا ترد .. أنت إيه .. ألم تر الحرم الملكي
أمام الباب ووراءه .. إلى الملك سوف يجيء .. إنني لابد أن ساميه جمال
سرقس أو كاريوكا .. حظك من نار . لقد جئت هنا أكثر من مرة .. فلا جاء
الملك ولا واحدة منهما رفعت لنا !

لابد أنها للكرافة هي التي جعلتني أشعر طول الوقت أني مصروف . ثم
إنني لست مسرورا لأى شيء .. لا للملك ولا للموسيقى الأوربية . ولا لأنها
تشرب كثيرا وتتلث حولها أكثر .. كأنها هي انتظار أحد . وأن لست
إلا مرة .. ثم إلى كثيرين يعرفونها .. وبصافحهم .. وتقدمي لهم على
أننى إلى حالتها . وأننى غريب عن القاهرة . وكثيرون يحدثنها رمزا . أى
أن بينهم حكايات مشتركة وبعضهم ترك بطاقته وكتب رقم تلفونه . وبعضهم
طلب إليها أن تستقل إلى مقادهم . وسألتني إن كنت أحب ذلك . وينتد أننى
رفعت وبقيا وحدا طول الليل . أو على الأصح بقيت وحدى فهي قد وجدت
أشياء تشغلني . فهي في حديث مستمر مع العناصر المجاورة بالاطالبه والبرسيه
والانجليزى واليونانية .. ودون أن أسألن منها ، أصبحت وعدت إلى البيت .
ولم شألى . طعنها ظلت أننى سوف أذهب إلى دورة المياه .

وحاولت بعد ذلك أن تنبهني إلى أنها سكريرة إحدى الجمعيات الدينية .
وأنها مسؤولة عن إقامة حفلها السنوى . ولذلك هم جميعا يعرفونها . وعرفت
بعد سنوات أنها كانت مسؤولة حقا وصنفا . وعرفت أن صيفي بها دليل على
مداخني قيم لي حق عندها . ولا لها عدى . وإنما هي دعوة إلى سهره
وإذا طلع النهار ، فكان شيئا لم يكن .

وبعد ذلك وجئني أختار الكاريوهات التي أتعجب إليها . وأنتحلها وحدى وأنا
مطمئنة تمام . فابرا على أن لرى كل شيء بوصوح . وعدى إجلته عن كل
سؤال وأجيبا لسأل ولستكر مثلا ألا يوجد معرض النطف ؟ ألا يوجد معهد
لبي مشلوعا !

وكانوا يفتخرون المعرض . ويأبسون بمعهد سليم . أو أقول : هذا السمواتي
مهم .. هذه البطاطس لها رائحة الجار ! أين المنيز ؟ أو أين ليست صاحبة
يكريو .. من معلول ؟ !

وجدت صاحبة الكاريو . وقدموها . وقمت نفسي . قلت :

لست نجى هنا كثيرا .

ليس كثيرا .

ولماذا لا نجى كثيرا . هذا أحسن محل .. وأحسن عمر . أنت به ؟

صحي .

تعرف فكرى لبطلة .. وإحسان . ومصطفى أمين . التابعى عرفته ومن

لرى ..

نعم .

وكم أكر رأيت واحدا منهم حتى ذلك الوقت . ولما هي أرادت أن تقول أنها
عرف من هم أكبر مني .. وأن وجودها معي ليس إلا تفصلا عظيمًا منها .

سجبت أو حرجرة لزجلى .. أو مجاملة لصحفي مثلى . دعنى أصعب لك
بمهمي . بحيث جدا . أرندى قميصًا وبتلونا . اتقميص واسع والبتلون
حب وشعري قصير جدًا . ودراسي حاتم . يحمل إنيك لمني استعد للخروج

و . أحسن على طرف الكرسي .. وأتذكرك بعينها وشمالا . وإذا نظرت
حينئذ ، فإن هذا العلق بصايفك . وهي إحدى الثمرات . هههههه هذه السيدة
ها سوف تربطني في الكرسي .. حتى لا أتدركك شربت وأكلت وأريد أن
هرب قبل أن أرفع !

وبعد قالت لي . بحرف أمني أحب للكتابة . لقد كتبت شعرا . بحب

سمعه ..

و . انت على أحد الثمرات وتنى بتوسجه من أحد أتراج مكتبها ..

ونُحرجت الورقة الأولى . وقرأت ولاحظت أننى أشكك فى أن يكون ذلك من نظمها . وقلت : معك حق .. فأنا لم أتعلم الشعر . ولكنى أحرص أن عدى رعبه فى أن أقول كلاماً موروباً .. أنا عوسمه على صلاح جونت . نعرفه .. وعلى مأمون الشنوى . نعرفه . أنا عدى لك معاجاه بعد أحضرت للعدد الذى صدر من جريدة « الأسبلى » وكانت لى قصيدة مترجمة من الألب لألماني .. وكانت موروبة ولكن لم يكن لها قاعه . فإذا بها قد جعلت للقصيد قافية ..
بعض القصيدة مع تغيير بعض الكلمات 1

ولم تكن أسود أنها موهبة . ولكنهم فى الكباريات يعرفون كثيراً . وأكثر مما تصور .. ولم أستبعد أن يكون أحد الجرسونات قد أحضرها إليك !

وبعد تلك بسوات طويلة سألت قناعين صلاح جونت ومأمون الشنوى عنها . فأكد أنها شاعرة ممتازة وأنها انحطت الطريق إلى المسجد . وأنها لا تريد أن تصحح المسار .. فتدار الشعر والفر !

وقرأت كثيراً عن علاقة الأبناء وللشعر والعائين بالعائيات . وعن حياة الليل والكباريات والعذبات والمواهب . ووجنت هؤلاء العائين سعداء فى هذا الجو البعيد عن عيون الدس . البعيد عن قيود المجتمع .. على هامش القانون والحروح عنه .. هى استطاعة كل إنسان أن يفعل ما يريد .. وأحفظه كله مقبولة .. وكل هؤلاء اللبس هاريون .. لاجنوب . جاءوا يسبون أنهم آباء وفرواح .. إنهم مسئولون عن شيء أو عن أحد . مثل الذين يهربون إلى أحد للمحبة أنه العازات الحوية .. فهم فى حالة هزل من شطط . من شمت . إنهم مساهمون فى أكتوبة عامة : فلا أحد يرى أحد على حقيقته .. ولا يريد ذلك .. وكلهم يكتفون .. ولكن الكذب لا يكلف شيئاً . وهم يحقونهم .. يندخون هذه الأماكن ليصنعوا عروبتهم بماذا كالتى يحب ليعقد عقله .. والذى ينص ليعقد لرائحه .. والذى يستسلم ليعقد كرائحه . إنهم جميعاً مرضى وأطباء . والأطباء مرضى .. والتواء هو الذاء .. والكثير من رواد الكباريات ومن كل الأكواف والرجاجات والصلوات الشوعد للكنية . فالبس بسفوس وعود بالنوبة وعوداً بلعب وعوداً بالزواج . ولكنهم يسبون كل ذلك عندهم يضع النهار . فإذا طلع النهار . بدأوا يستعدون للنيل . هرباً من النهار . وقتل أن يطاع عليهم نهار جديد ..

وكنت على بعد من إسي لا أستطيع أن اسمع طويلا من السهر . فذهب إلى
صحنو مكررا . وأن أقرأ وأن أكتب لابد هذه عادة . وهذا المطلوب حياتي
- إسي لا أستطيع أن أكتب كل أسبوع عن مشاعري في الكاريكاتير . ثم إلى
في نهاية أتياء أخرى كثيرة يستحق اهتماما مائلا أو مصاعفا .

وفي يوم ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى هذا الكاريه . وجاءت صاحبة
، جلست إليها وقالت . أتم صيو في ' ثم التفت لحيبي : لا مؤاجنة . هذه المرة
صيو في أد . والمرة القادمة فاما معهم صيو في !

وكانت هذه السبلة لا يشرب الخمور . ولا تأكل . والفترت على وسائلتي .
- هل أنت تذهب ؟

- قلت : لا ..

- قلت : أفصد إحدى الليالي هنا ؟

- لا ...

- وأنت لا تشرب .. فلماذا تجيء كثيرا - إسي لم ألاحظ أي تطور عليك ..
ولا حتى .. الانسحاب .. فلماذا تجيء - نعمال فقط عندما تكون مرهقا وبريد
ب نفرتي .. لاتعد مرة أخرى !

ولم أعد إلى هذا الكاريه . ولا إلى أي كاريه آخر . وكنت هذه السجربة
بمعملها وحدثت مكاسي منها . وبعد سنوات ذهبت أبعت عن هذه السجدة
بصيه التي أدهشتني بصحتها ، وهرسي أيضا . ويقال إنها فعلت ذلك مع كثير
من الشبان الذين توسعت بهم في يكمروا أحسن ..

وهذا ما سمعته من الأستاذ محمد التاجي بعد ذلك !

وفي ذلك اليوم أصبحت ليلة ممعة جميلة . نرجسا . وتحدثنا معها ومع
عمره . وصحبنا . وعند الفجر عدت إلى البيت . وعندما ذهبت إلى مكسي
! جئت رئيس التحرير قد ترك لي رساله عاجلة . وترك لرفاه ليفورنه في كل
مكاسي . وأر عجمي ذلك . وفي الشيعون قال لي ' اليوليس يبحث عليك أين كنت
- أليس ؟

ولم أتيه ونحن في الكاريه إلى أن حذافه مشمت وأنهم بسرعة قد أجمعوها .
و تسعوا حول أطراف الحديقة بسرعة . لدرجة أن الزبائن لم ينتبهوا إلى ذلك .

وأن رجال البوليس قد عرفوا أنني كنت أحد الموجهين وأنهم يريدون أن يتحدوا أهلي .

وفي بضعة يوايس الأربكية التبعيت بأحد الصباط وكان زميلي في المدرسة

وهو الذي يريد أن يمسو صحتي ما الذي حدث . وكان الحوار هكذا :

أنت كنت موجوداً ؟

نعم .

بالمصط ماذا رأيت ؟

لا شيء .

كف . إنها الترابيزة المجاورة لك .. وكانوا يلاحظون لك متابع كل ما يقومون .. ولما وصلت الحديقة إلى حد الترائق بالرجعات كنت نهض .. ولكنك عندما لاحظت أن رجلاً جاء من الخارج ولقي ماء النار على إحدى الترافعات الجليلة ورامك إترعجت وكنت نهض ..

قلت : هذه أول مرة أسمع فيها وصفا تفصيليا لما كان حولي .. فإن لاسمعت ولا رأيت .. أنت تعرف من أيام الدراسة أنني أشرح كثيرا .. وأبدو كأنني أسمع وأنا لا أسمع وكأنني أرى ولكني لا أرى .. وهذا يسبب لي مشاكل كثيرة .. هذه واحدة منها !

لولا أننا رجلان من أيام الدراسة وأعرف عنك ذلك ما صدقت كلمة واحدة ..

ثم روى لي تفاصيل ما حدث .. وهو أن إحدى الرجعات كانت تسيب في رأسي .. وأن واحدة استشهدت بأنني كنت أتبع ذلك . وكأنني أعرف الرجل الذي ارتكب هذه الجريمة البشعة التي قصت على مسقبل هذه الرافضة الجميلة !

هل أردت لي أحرق كل الذي فرأت وتعلمت هي كهوف الليل .. نعمت ذلك ولكن لم أستطع . لقد عشت بلثما اقراً . فهل فررت أن أسناب اليوم ولكن بصورة أخرى ؟ ربما !

ثم عندما أطلت الكلام الآن عن تلك الأيام . أردت أن أحرق ذكراها أيضا ؟
بحور ..

وعلى مدى كيلو متر واحد من شارع السوارى توجد دار الأوبرا .. مديرها
الفضل الكبير سفيان نجيب .. ووكيلها صديقى الشاعر عبد الرحمن صخفى .
وسكريرها : الأديب صديق صلاح دهس .. ومدير المسرح للصديق شكرى
راعى ..

وكلى مكسى المفصل وراء الكواليس .. ومن غرفة شكرى راعى ترى
وبصيح الأوبرات الإيطالية والباليه الروسى .. والعرضيات الإنجليزية
والفرنسية . ولم يكن هناك سمب من وفوقى وراء الكواليس إلا أنسى لا أنسى
بدلة قائمة - لابد من بدلة ولايت أن تكون قائمة ..

ولكن المسرح له مذاق خاص من الكواليس . والممثلون والراقصات
كائنات بشرية نصحك وتفرق وتحاب . ولكن إذا ظهر الواحد منهم على
المسرح أصبح إنسان آخر .. أو حيوانا آخر .. وانتقل من هذا العصر إلى
عصر المسرحية ، كلاما وحركة .. ولم يعد يملك من أمره شيئا .. فهو أداة
أطفاله المخرج بكلمات الممثل فى قيود وفولاب معدة نهائيا ..

وكانت الأوبرا من أهم أحداث حياتى .. وأروع أحداثها .. وكانت قصة
منصلة تبدأ كل ليلة ولا تنتهى .. قبل العرض المسرحى ونساءه وبعد أن ينتهى
ويبدأ الكلام عنها فى غرفة شكرى راعى . وفى المطعم بعد ذلك ...

وفى لأوبرا وجدت رفقة الليالي العالمية نمارا مومانوفا . أعظم راقصات
روسيا فى تلك الوقت . إنها صاحبة أجمل ابتسامة . ولكن عندما تظهر على
المسرح فهى إنسان آلى دقيق حساس . ليست هيها لغة إنسانة من أى نوع .
وفى إحدى الليالي اكتشفت أن حذاءها قد سرقوه . وهى عادة مألوفة فى
أوروبا . يسرقون حذاء الراقصة التى يحبون بها .. وأحيانا يصنعون همه الجديد
ويشربوه . هارت فى شوارع القاهرة حافية القدمين ..

ونقلت نمارا أحد المطاعم اليونانية . وأقيم صلحف المطعم أن يصل
قدمها فى طشت بالشمعها .. وأن يحم ذلك لمن يريد من الصيود . ٩٠
شربوا !

وزيت العليميرو الألمانى فورتسجلر أعظم قائد الأوركسترا فى أوروبا
كلها . وقد أنقعه عبد الرحمن صخفى أن يذهب إلى مقهى العشوى . وقرر

لرجل أن يصف . ولم أعرف ما الذي أقصده به . أو ما الذي أقوله . ولم أكن أعرف أنه إن نكتة إلا عندما نظر إلى حى ميند لصين و رأى الناس فى حركة متصلة .. وخصوصا . ورائحة الشواء والبخور والشيئ . وقد نه بنوقف قاتلا - لايد أن يكون الكون عند يده الملقية هكذا . ثم إن الله يطمع بعد ذلك !

وعرفت الممثلة الفرنسية ميشيل مورجان . وجلسنا إليها ووجئنا بتكلم فى الأديب كاتبة . وفى الفلسفة كأمثلة . وهى التحدث والعوسيقى ونيللى باريس وحيدة للكباريهات . ومن هم الأبناء الذين فصلوا الكباريهات على أرفع الشرجات الفلسفية . ومن هم الأمانيات اللاتى تركن بصماتهن فى الأديب الفرنسي .. وكمن عند الأبناء الذين تزوجوا غايات . وكيف أن الأبناء يوتلون مرتين : مرة فى البيت ومرة فى الكباريه .. وفى الأبناء يتناولون الحبر مرتين : مرة يتناولون الحبر المقصص المعموس فى البيت من يد الكاهن ، ومرة فى الكباريه من يد الأرتست ..

وهالت : إنه لولا الكنائس والكباريهات ما كان الأديب والفر .. فالكنايس حدثت حرية لى . فغير عليها . والكباريهات أكتت هذه الحرية ، فهرب إليها ...

وهالت : إن الأديب اندربه جيد قال إنه كل يستند أحداث قصصه وروايته من تعصبات الجرائم فى الصحف .. لأن هذه الجرائم هى نتيجة الصراع بين الفلوس وحرية الإنسان ولم يكن فى استطاعته أن يذهب إلى الكباريهات لأنه بفصل الشباب على النساء .. ولكن كل أبناء هربا للعظام أنصروا نصف أعمارهم فى ظلمات الحانات .. وفى غياب القانون والعادات والتقاليد والتسمير أيضا !

وقالت ميشيل مورجان : إن كل الذين أحبهم وأحفظت فى فهمهم كانوا جانيين معها فى معاقى باريس .. وكل الذين أحبهم كانوا معها فى الكباريهات .. فقهوة بعد العقل : والصر نصلحه ؟ !

ومن ميشيل مورجان عرق ماكن أكره من دنيا الليل ومخوقات الليل وعشاق الظلام الكاهن بالشمس والمعطق وكل المذاهب الفلسفية !

وفي يوم طلعت بالبريد نسخة من كتاب « تملأ قلب الحظوة » للاتب
العرسي لاكو . « يا الأهداء فهو » . إذا لم تكن لديك علاقات حظوة . ميشول
مورجل .

وعلى مدى ممتاز من الأوبرا : سور الأزيكبة .. أعظم معرض للكتب
المصرية والعربية والأجنبية .. وكلها كتب قديمة . رحبصة الشعر .. كتب من
كل لوب ونوع وحجم وسعر .. وقوامين ودوائر معارف .. وأمام السور التقي
كل أبناء مصر عشاق الكتب .. عشاق السوق الثقافية . وأصدقاؤنا الداعمون
هم طباعة .. تبني وشيوخ .. يعرفوننا ومحبتهم ويحبوننا . ويربطنا جميع صلة
وحدة : أخرى .. نحن عندما نذهب إليهم نحن قراء .. جاءوا بفرح
على الكتاب . كم قديمات اشتريت كم دائرة معارف بقروش .. كم كتب على
لسور وعليها إهداء المؤلفين .. هل باعها أصحابها ؟ . هل هي سرقت
مدهم ؟ .

سأسي الحاج إبراهيم : هل تريد مؤلفات أنانول هراس كلها جلد ذهبية ؟
أريتها طبعا . ولكن أن تكون هي جلد ذهبية سوف يجعلها غريبة الشعر .
فعلت : أتمنى لو كانت من غير هذه الجلد الذهبية .

قال كما يقول كل يوم . ولايهمك . بكرة إن شاء الله كتبك تباع هي جلد
ذهبية .. عندها وإذفع على مهلك !

وكانت هناك باتمة للكتب لاسها ، ليست أم حبيبة .. روجها مات عنها ودرت
بها ضد من الأولاد .. ووجدت يسعوية هي أن تعرض كتبها على سور
الأزيكبة . ولكن كان هناك من يبيع لها كتبها . فكان يقول ' أم حبيبة نسلم
عندك ...

الله يسفها . مانا عندها ؟

عندك كتب ، الإمتاع والمؤانسة ، لأبي صائق التوحيد هي طبعه
بيروت .. ليس غالبا .. عندها ، السحابة ، لتلحظ طبعه هناك .. عندها ، سيرة
بن هشام ، طبعة بيروت .. وعندها ملكولي وهارليت وكارنوش ورائيه
ومرسيين مجلة تجليا فاحرا . ولكنها ليست كاملة . ورحبصة الشعر ..
يمكنك أن تذهب إليهم هي ليست وتفرح على مهلك .. كان عندها العاد والمصري
وعند الرحمن صفدي وهدام طه حسيين ...

وكاتب الست أم حبيبة لا تقرأ بأنه لغة أجنبية . ولكنها تعرف أشكال الكتب
والأولها .. وسأهل كثيرا جدا عند النفع .. وعلى الرغم من أن حاشيا الثمانية
صحة . فبها لم تكن تلج في النفع هورا .. فلا يملك الإنسان أمام ألبها ورقتها
الا أن يدفع في أسرع وقت .. ولم يكن ظهور أولادها وحسن يتفرح على الكتب
وسيلة للصمت عليل لكي يحد طرورها .. ولما البيت مكون من عشرين فقط .
جداها لمر من الكتب ...

ولم أقبه لوجود جمال إبراهيم باشا في ميدان الأوبرا . إلا متحرجا .
ولا رأيت . حروبي . القريب من الميدان أيضا . ولاكتاريه سبعة مصاصي
إلا بعد أن أصبح اسمه كشاربه صفيه حتمى . فقد كان مسرى محب . بما ..
أخرج من بين البرازيلي وأمشى في نفس الشارع إلى بهبه .. فاجلس في
دار الأوبرا .. وبعدها عند سور الأريكية ..

ها إن مسرح العمليات الصحفية والاذنية هي تلك الوقت .. إنه مستطيل
ببدا من شارع الشواربي والإذاعة والبرازيلي ومكتبة سميت ومطعم
الكسبيور ومطعم أربعين بالقرب من الأوبرا فرحس المدعوم ونسجها
وأصغرها أيضا . ثم سور الأريكية دهايا وإيها . او قوق أو جلوسا هذه
المنسجة الصيفة من الأثر من هي المسرح . هي الورشة هي حفل التخرج .
هي العمل .. هي . البيت . التي تتحرك عليه الأفكار المتراصة . هذه هي
منطقة إطلاقا إلى سماء الصحافة . الألف والمستولية من بهاية أربعين هذا
القرن ...

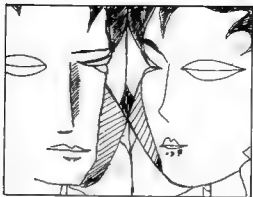
ومع بداية التعصبات ذهبت إلى العمل في جريدة الأهرام التي تبعد عشرات
الأمير .. ومنها هي . روز اليوسف . التي تبعد عنها مئات الأمير . ثم إلى
أخبار اليوم . التي تبعد مئات أخرى . والتي أصبحت فيها ربع قرن وعلى
مدى ألف متر من . أخبار اليوم . ذهبت إلى دار للتعريف لإصدار مجلة
« أكتوبر » ..

وكنت تعجب كيف أن الرافضة بتحرك كقاعي في مساهمة صغيرة من
الأرض .. تشير الموسيقى ونعانها .. إذا منحت في الشارع فهي لا تعرف
كيف تمشي ...

وأنت رافضك بينكم في الشارع ، وتكاد التواجد به مع ، ماذا حدث ؟ إنها
فترة فقط على الحركة في مسافة صغيرة ، ولكن إذا اتسعت المسافة ، وكنت
المطلوب أن نمشي لا إلى بعض ، أريدك أن تجولها وتعتز جرمها . .

وسنأين . قانرون على الحركة وعلى النشاط وعلى القراءة والكتابة في
هذا المجال وفي هذه المسافة ، فإذا خرجنا منها لم نعد قانرين على فعل شيء
آخر . . فقط القراءة والكتابة . . ولتعلق على الذي قرأنا والكتابة عن الذي كتب
لا حرو . . فهذا هو عالمنا . . وهذا هو مجالنا . . وهذه القاعة التي انطقت منها
كل واحد في اتجاه . انطلقنا ونحدد مدارات عالية حول ، الكلمة ، كسنا
نحرق في كل ذلك . .

وسنحرق أيضا مشغولين مشغولين مجانيين ، نحاولنا مرحلة : الإثارة
والإثارة . وإذا حاولنا أن نطقت من الكلمة عدنا بها إليها . . نحن محكوم علينا
بالأفكار الشاذة المؤيدة حتى الموت !



في البدء كانت كارمن

في البركات كانت كرامة

عندما رجعت إلى مذكراتي وأنا تلميذ في المدرسة الثانوية أدفستني
ما كتبت وأدفستني أكثر أنسى كتب حريصا على إبقاء هذه المذكرات عن كل
أحد في البيت أو في المدرسة مع أنه ليس فيها شيء شخصي . ولو كتبها أي
إنسان هل بلغت بظرف شيء . ولكن حرص الصغار على أن يندوا كبارا . لهم
أمرار . ولهم خصوصيات . وأن هذه الأمور الشخصية يجب أن تظل بعيدا
عن عيون وأبصار وألمة الناس . ولأحظت أني كنت تحفلا لملامح
المتربين . ويندو أني كنت في تلك الوقت أعقد أن كل صفات الأساتذة مذكورة
على وجهه : فالجبهة العريضة دليل على الذكاء .. والرأس الصقم والعينان
اللامعتان والشفتان اللصومتان والصوت العالي والأصابع .. ولا أعرف من
ليس أتيت بهذه المعلومات ، أو حتى على أي أسس أقمت قواعد مصبة لعلم
أي إنسان ..

وهي ولا شك أفكار ساذجة .. تدل على أني إنسان حجول .. بهذا من أن
أجزي حوارا مع أحد ، فأنني أغلق باب غروفي وأدير هذا الحوار كتابة
، تحليلا .. فكأنني أتعامل مع زملائي وهي جيبي ، دليل ، صغير لسلوكهم
، مدح أصغر لشخصية كل واحد منهم .. فإذا حدثني واحد منهم ، فأنني
سرعة أصبح لما يقرول محسنا خلاصا . كأي الذي يقال لي عبارة عن أفلام سلبية
بحسب () ، وأنا أقوم بتخصيصها وتلويحها في صندوق سرى في عرفة مظلمة
في عيني .. فكأنني معهم ولست معهم ..

وبعد السرعة التي أحكم بها على الناس ، كنت أغير هذا الحكم . لأنه
يحدث الواقع .. وهذا يدل أيضا على أنه من السهل التأثير على أحكامي .
قد يمس عائلتي . ولكن محاولة أن أكون مطلقا تحليليا هي حيلة أحق بها
سحتي ، وخجلي ..

وهي هذه المذكرات، أراء مصححه وحكايات صغيرة ، حاولت أن أجمع لها معنى كبيراً ، ولكن لم يقع في حياتي حادث كبير . أو صانعت شخصاً بهراً ولا قرأت كتاباً حطمتني في رأسي وجعلتني أفيق مما عما فيه . أو غيرت أسلوب حياتي . أو حولت طريقتي من جهة إلى أخرى .. فلم أكن هي تلك الوقت إلا تلميذاً مجتهداً .. نسياء هي الكتب المدرسية ، وأحرره أليفاً .. والهدف أن ألتحق وأن أكون الأول . لماذا ؟ لا أعرف . ولكن هذا هو السبيل ، وهذه هي الغاية .

وسمعت من زملاء لي أنهم يكتبون مذكراتهم أليفاً . ولم أسأل ولم أعترف . فقد كنت هذه المذكرات حواراً خصوصياً . هل هي منعة ؟ هل كان لها أي منفعة آخر .. كإن نشرها يوماً ما أليفاً .. إني أفضّل الباب وأخرج الورق وأكتب . وأسجل وأعنف على الزملاء وألئس الأنهم . لماذا ؟ ولتعتد عن اللعب وأنا لا أعرف ما هو .. ولا أحببت . ولا أعرف كيف أحب لو أردت . ولكن سمعت زملائي يتحدثون عن معامرات وقصص . ولا حظت أن كل اثنين يتحدثون عن اللعب هم الذين لهم شوارب وهم الذين يتحدثون أليفاً .. وهم الأغنياء . إن التلميذ المعنى هو الذي يرمى شاربته وينثر ويحب ، وتعيه الهبات !!

ووجدتني أسهل للشعر الذي أحفظه ولا أعرف الشعراء الذين يظمون . وإن كنت قد عرفت فيما بعد .

مثلاً كنت في مذكراتي وكنت في الثانية الثانوية بالمصورة . وأن الأن نقل من ورق أصغر صمير . هو طهر البرقيات ، فقد كان أحد إخواني يعمل في التلويحات والتلحرافات ، وكان يمدني بهذا النوع من الأوراق :

على قدر الهوى يأتي العتاب
ومن عاتبت بغيه لأصحاب
ألوم معذبي فألوم نفسي
وأعضبها ، ويرضئها العذاب
ولو أنني استطعت لفتت صه
ولكن كيف عن روعي المتاب

يلوم اللاتمون وما رثوه
 وقيماً ضاع في الناس الصواب
 إنا ما اعتصت عن عشق بعشق
 أعبد للعهد وامتد الشراب
 كأن رولية الأنواق هود
 على يده ، وما كمل الكتاب ..

ولا أعرف الهوى ولا أعرف الشراب ولا أعرف لوم اللاتمين ولا أدرى
 ما معنى أن يمجس الإنسان أن ينوب عن الحب .. ثم ما هو هذا الحب ؟ ولكن
 لابد أن أعجبي الشعر وموسيقاه ، ولا بد أنني كنت أكرر ذلك كالبيغاء . طيس
 المعنى وإنما هي الموسيقى !
 وفي صفحة أخرى وجدتني قد نقلت بعض هذه الحكم ، ولا أعرف من هو
 صاحبها :

لا تطالب بطلامتي أحدا
 عيني وعقلي في دمي اشتركا
 * * *

ولا رأي في الحب للعاقل !
 * * *

والجوع يرغضي الأسود بالجيف !
 * * *

وهكذا كنت في أملي وفي وطني
 إلى العيس غريب حينما كنا !
 * * *

وأصبح شعري منها في مكانه
 وفي عرق الحصاة يستحسن العقد !

والهجر أقل هما أرقبه
أما التعريق هما خوفى من لئال

• • •

وضعت بالقتيل وأول نظرة
إن للقتل من الحبيب كثير !

• • •

إذا ما الناس جزيم لبيب
ففى قد أكلهم سافا
لم أر ودهم إلا خداعا
ولم أر دونهم إلا نقابا !

• • •

وصفحات أخرى كثيرة من الشعر الذى له مذاق الحكمة .. ولعلنى قد بعضها
من كتب ، انب النبا والنبى ، للمواردى .. لعلنى .

هى تلك الوهت كنت أرى ، بل كنت أعنفد .. بل كنت دور تفكير مى ،
أذهب إلى المدرسة ثم إلى البيت .. ثم من البيت إلى المكتبة والعكس ، هذه
هى الدنيا ، ولذلك لم أتوهب لحظة أمام إحدى دور السيمما ، سيمما عنى
أو سيمما ركنى .. هى مداخل السيمما توجد صور للتجوز .. والناس يعرفون
ويتحلقون ، ويخرجون ، ولم أفكر مرة واحدة أن أدخل للسيمما ولا مصرى
ولا صعب ولا حبرر . ولم تسأل أحدا عن السيمما ولا ما الذى رآه ، ولا حششى
أحد ، ولا فعلى أحد ، وحتى عندما يعشرون على الأعلام الحبيدة بالمدن وحمل
صور التجميلات فى الشوارع ، لم أكن أتوهب لأرى ، فلا رفقت ولا رأيت
ولا فكرت . وهو شيء غريب عجب . كى السيمما طعم لا أتوهبه ، كئيب
مكن محرم . كئيبها لا وجود لها . ولكن لماذا ؟ ثم نجد أمينا واصحه ولكن
هذا ما حدث ..

وفى تلك الوهت بالصنفعة وجدت كتابا اسمه ، الحب والتسمية ، للشاعر

لأنماي شغل من برجمة حمص صائق .. وفراأت القصه هي جلمه شعلى هذه
القصه ولم اكس اسنو عنها . عذب إلى فراسها مره أخرى . وحدث حوارا غريبا
بين الأب وإيمته . حفظت جمله أو جملتين حملة نقول . إذا بأص الشيطان ببصه
أفرخت بنتا جميلة 14

وجمله أخرى نقول : إلى الشاب الذى يطلب منى لأحطب له ابنتى ، لا ياهمنى
الشفه به ..

هذا كل ما أتذكره من تلك الرواية . هما معى هنتين الجمشيين . وما أثرهما
فى نفسى ؟ ولمأنا هانس الجمشلى . لا شيء إلا تركيب الجملة وغريبة
المعاني . فلا هي حياتى حب ولا تسيبه . ولا أنا ذلك الشاب الحجول الذى
ذهب إلى والد الفتة يطلب مساعدته فى اتقاع إيمته بالزواج منى . لا شيء ..
ويكن لأبد أنسى كنت ألتصص على عالم المرأة من بعد . لا عدى فرصة ..
ولا وقت ولا عدى شجاعة .. ورغم القصص التى أسمعتها . ورغم التغيرات
سى أراهم . لا أجوز على النظر إلى واحدة . وإذا نظرت لا أعرف ما الذى
يمكن أن يحدث بعد البطرة أو الانسنامه أو السلام أو الكلام .. لا شيء من كل
ذلك .. ولاحظت أننى أحب الاستماع إلى هذه المسمرات . وأنسى عندما أعود
إلى البيت أسجلها .. أى أعيشها مره أخرى .. لو اقترب منها أو أشرك بها .
ويكنى فى ذلك الوقت لم أعود بوالجده أو بقصة أو معلومة . وإن كنت أنمى
لك . وهى المفكرات وجدت أنسى أحكى قصه من خيالى ومن وهى .. قصة
واحدة جرة .. ووجدتني أصعبها هكذا : شعرا أسود وعيناها أيضا . وحاجباها
وشعبها . ومشيها كأنها بطلة أو وزه . إذا تجاورتني كأنها لا تعرفنى . فبدأ
سبعنها استدارت تنظرنى بسرعة .. ثم يتولاها العجل عند صبطتها ولذلك
سدفع إلى بيها ويعلق الباب وراءها بشده . وهى للمره الثانية عندما اقتربت
منها وهى تقول : أحبك .. حتى إذا لم تكن محببى !

وهى قصة لم تحدث . ولكن أريدنا أن نحدث . وأن نكون هى البائنه . وهى
اللى يحب وأنا أفرند . أو أرفص . واللمعى : أنسى قروهم ما ليس كذلك !
وهى إحدى الممرات وجدت هذه السماء تغلق مع رميلات لها أمام سبعا عنى ..

ووجدتها تنشر بالتذكور في يديها ، أو هكذا نوهمت . أتى أنها تقول . تعالى
معى .. معيا .. أنا قطعت لك تنكرة !

ووجدتني أكتب في مذكراتي . أنها نهجت ووسعت التنكرة في يدي
وقالت : تعالى ..

وتذكرت زليخة زوجة موططار وما فعلته في النبي يوسف عليه السلام .
إنها هي الأخرى قالت له تعالى .. القرآن الكريم يقول : " وقالت هبت لك !"
وأبى رفضت . وهي قصة أيضا لم تقع . وإنما أنا نجسها . أتى أنني أتمنى
لو تحدثت . أتى أنني أتى أرضى الحب والفتنة معا .. ويكون هذا أرضى تعالى
وكبرياءه . وهي عده أن أحدا لا يكلمنى ولا أكلمه . ولا اقتربت ولا عرست
أنا ولا هي عرضت . لا شيء من ذلك !

والتمنى : أتى أتريد ولكن لا أستطيع . لماذا ، لأن هذا يخرجنى بالقوة عن
المألوف .. أتى عن الذى اعتدت عليه .. ولما اعتدت على أشياء أخرى غير
ذلك .

ولم أبحث نفسى في ذلك الوقت : ما هذا الذى أعمله أو الذى لا أعمله ؟
فمثل هذا النوع من التأمل نرف عظيم .. فلا وقت للتأمل : إنما أجمع
المعلومات وأزنها وأعيد ترتيبها من حين إلى آخر . ولا وقت لتعبيرك !

ولما ذهبت إلى القاهرة ، لم يتغير شيء . كنت أمر على نور السنيما
والصراح والملاهي . وأزهر رئيسي ثم أنيرها . وكنت أتمنى لو أن أحدا سجل
هذه الصورة . شاب رهيق يمر بكل هذه الأماكن ويرصها ويرصد فيها ويتأمل
عليها . وأنه لفكك شاب مستقيم وأنه أفضل . وأنه قد تفرغ للعلم فقط . ولكن
كل هذه أوهام أيضا . فلا أحد في القاهرة يلتفت لأحد . ولا يدري به ولا يهمه .
ولا يهتمه إذا ذهب إلى السنيما ، ولا يهتمه إذا لم يذهب .

حتى تخرجت في الجامعة وانضمت للندى شوارع وميادين ومطاعم ومصارح
وأوبرا وميمنة ومطارات وموانئ ورجالاً ومساء . وكنت حيرى أعظم .
ونوحى أكثر . وقلقى أعشق . وروعى أشد ، وعزلتى مطلقا . ولا حظ أسمى
اعتدت إننا جلست أن نقبل على المقاعد . وإذا سرت إلى جوار حائط أن نتمسح

فيها ، والمعنى ، أننى أرثت صغفا ، ورغبة فى المشى ولعمى الأضياء .. لى
 فصر على هذه الدنيا الهائلة فى القاهرة . وأنى غريق وأنى فى حاجة إلى
 من يسألنى . ولكن أحببت هذا الشعور عن الأصدقاء .. وربما كان هذا الشعور
 بكسح هو الذى دفعنى إلى التزند على الجمعيات الدينية والصوفية والفسفية .
 فهنى أريد أن تربط بعدد .. ألا أكون وحدى . ألا يعرف هذه الدنيا الجبارة
 شخصى الضعيف . فأنا أريد أن أسعين عليها بالآخرين .

وفى تلك الوقت اعتدت أن ، أقف ، أمام محل اللبن البرازيلى فى شارع
 سماعيل بشا .. وأقيمت للكثيرين من زملائى أن يعموا متلى . وضلنا سنوات
 صالحة بعب لأمم محل اللبن صلبا وساء .. وكان الوقوف مربعا .. فلا يصح
 فى ، الصل ولا يصح خارجه .. وإنما نحن كأننا كنك . أى كأننا فى دخله
 ، كد خارجى منه .. ونشور مع الوجهة التى براها .. ونشور مع الوجهة التى
 سحنت إليها ، وعندنا حرية التناول والتفروخ والوقوف .. عندما حربة علم
 سعاد التفرار .. عدم الإحبار .. وفى بعض الوقت لدينا هذه للشجاعة فى مواجهة
 كل شيء دون أن يرتبط .. دون أن نلزم . على أمل أن يفعل يوما ما ..

وفى تلك الوقت أيضا لاحظت أننى أستطيع أن أنظر إلى الناس فى عيوبهم .
 سيء غريب . لم أكن أنظر على ذلك . وأن أفعل ذلك مع الصبات أيضا .. وكنت
 تابع . ولم يكن المعنى أننى أبحث عن معنى أو أشتق جمالا . وإنما فقط أن
 مرس شيئا لم أكن لأدرك عليه .. تماما كما يكتشف الطفل كلمة هبط
 بكرهه .. وخاصة لإلفاظ الدابة التى نزع والده . وكلما فرغ الولدان بالغ
 حبل حتى يصبره نواه .. وكنت أطلع حتى سمعت من تقول : إيت إيه .
 ست تتعلق ثم لا تتكلم إيه ده ١٩

وعسى الجانب الآخر من ، ليس البرازيلى ، يوجد فشق
 وبب دى زور ، وكان اكتشافا مشرا جدا .. فى هذا العندق يعيش فرق
 منهن الأجنبية شعراوات .. صغيرات . يجرن كل يوم ويشربن لبن الصائفة
 من ، ليس البرازيلى ، .. يتكلمن للعربية والإيطالية والألمانية .. شىء غريب
 عجيب . كللت كأنها هبطت من كواكب أخرى .. لا يكاد الجرسونات
 محمودين حتى يغموا القهوة السوداء والقهوة باللبن والشاى .. إنهم يعرفون
 - صمد ما يردن كل يوم . ودون كلام معرج الغيت يهررون كأنهم صفاير

على أشجار ملينة باللشوك .. هه لا يمشی على الأرض وإنما يلتمسها فقط ..
ويطرون إلى حيث لا أعرف ..

صدفة فقط أن سحبت واحدة منهم فجاءها فسائر على قميصي .. وهي
شديدة الإضطراب وبالإنجليزية : هل تعرف الإيطالية ؟

هررت رأسي وذكرت للقاء الذي كنت تمسك بذكره أمام سيمبا المعبودة
ووصحتها في يدي ولكني مررت بالذاكرة ورفضت أن أجلس إلى جوارها في
داخل السيمبا . وذكرت قصة رابعة ويوسف عليه السلام .. ثم أتتني أقول :
إنني أعرف الإيطالية ولا أن أستعرض معرفتي بها .. وإنما هررت رأسي فقط
كأنني أرفض أن تنشأ علاقة ما بيها . مع أنني أتمنى ذلك . وما دون ذلك ..
فما كنت تقول وهي شديدة العجل : عندما في إيطاليا يرون أن سقوط النسر
على الملابس دليل على أن شيئاً جديداً سوف ترنديه قريباً . وأعتقد أن إحدى
شيئاً جديداً لك .. فبمبا فاجراً إلى أخي رمبلي في العرة العراقية وهو في
مثل طولك وعرضك .. لحظة واحدة وأعود إليك .

واندفعت إلى خارج المعمل .. كم مضى من الوقت ؟ ما الذي دار في
رأسي .. ما الذي أدركني من أولي لأخرى .. وهجاء عانت ومعها قميص
وبسرعة فككت زرر القميص وبسرعة برعته وبسرعة كتلت أرندى القميص
الجدید .. وبسرعة انحنيت لتسمل قميصي وتميده في اليوم التالي .. استغرق
هذا الحادث دقائق . وفي تلك الليلة لم يسمعي كل ما جففت من شعر .
وما قرأت من قصص وحيالات وأحلام وأوهام .

وفي اليوم التالي جاءت ومعها قميص ملغوف في ورقة ملونة .. ودعنتني
إلى قهوة لأعرب أحاسا في هذق « أونيل دي روز » .. ووافقت وعرفت في
العرقة سوف نساو في اليوم التالي . وقد دعنتني لأن أنفجح عليهم في « أوبرج
الأخزام » وأنا ومن أريد من الأصدقاء صيوف عليهم . ويستمتع ذلك .

ولم أنهب . لماذا ؟ يمكن تفسير ذلك اعتماداً على ما رويت من لحظات .
ولكن ما حدث في محل ألين البرازيلي ، ظل يتردد في عيني وفي أمني كل
يوم - وبسرعة وجدت شريطاً مسجلاً في أنسي وعيني لا يتوقف عن الدوران
ليلاً ونهاراً .. بل إنني كنت في بعض الأحيان أقفز إلى يدي .. هي بعض

لأحيان أحس كأنها قد أمسكت يدي .. مل وأصحو من النوم على لمة من يدها
في يدي ومن شعنها في أنفي . وكنت أسمع اسمها يتردد ألوف العرات في
أني . فعنتما سألنها قالت : اسمي كارمن ..

— وأنت ؟

— فلان !

— فلانو ؟

نعم ..

وكنت أول قصة قصيرة .. وكلي عنوانها : في البدء كنت كارمن !

ولم تكن قصة جيدة . قد كلى شكلها عبارة عن موبولوج أحدثت فيه
رحدى .. أناجي .. وأنعمي .. وأنتمرق وأنثر عطف الأشجار والأزهار .. على
فكر مثل هرائات ملوبة صعبة شحوم بعير هذب .. وظلت هذه العرائات
سفل من حديفة إلى حديفة إلى عاية حتى أرهقها الطبران هؤوت إلى رحدى
لأشجار . وامتعب رهور هذه الأشجار واسترجعت العرائات واعصرنها
وكلفتها .. وانتهت القصة !

والهيلة لمست صديحة ، علم تمت هذه العرائات .. وإما هذه العرائات
لا تكاد تمر على حديفة بها أرهار حتى تحول الأزهار إلى هرائات إلى
سحب من هرائات . وسعقد هذه السحب وبهبط مطرا . نموعا .. طرب ..
سى علي الذي لم يكذب بدأ حتى انتهى ! فما هذا الذي بدأ ؟ وما هذا الذي
سهي ؟ أليس الحب .. وإما هي . لسة . دار أو نور .

وهي تلك الوقت اعتدت الوقوف على أبواب السبما وارى الاعلانات
والصور شيء عريب حقا لقد وجدت معتلات كثرات يشبهون ، كارمن ،
ووعت ملوبلا أفرح . وامدبت يدي إلى الصور . وإلى المجلات الصية
كنهن شعراوت .. أو أوروبيات طليعا . رشيفات .. راقصات .. لهن عيون
لا ينظر لأحد .. لهن أحسام تشعير إذا سرى على الأرض فلا هن بعشرين
على الأرض ولا هن يطرن في الجو . لهن بين الأرض والسماء
لا سترات ولا طائرات .. تعان كنواقص أمام التل للبرازيلي . لا هم جالسون
ولا هم مسطرون .. بهم على الحافة بين الجلوس والانتطاق .. وأفكر هم في
سماء أيضا ..

وهجاء مررت على إحدى دور السينما .. ووجدت ، كلهم ، .. هم اسمهم
 ، كلهم ، .. وكلهم هذه رافضة .. عجريه .. ألوانها وزنيه ووجهها صبرم
 وعيناهما فاجرتان . وتوقفت أنفراج وأفرا .. للممثلة هي ريتا هيوث ..
 والصور لها فوق الجبال .. وهناك حمير وبغال وحيول وحيود . ولكن كلهم
 هذه ترقص في كل الصور .. وقد وصفت رجلها على عبق أحد الرجال !!
 لهم أن اسمها كلهم . ولأول مرة قررت أن أنحل السينما ، وكنت قد
 تخرجت في الجامعة قبل ذلك بسنين . ولم أطلع أحدا على هذا القرار .
 فلا أحد يتصور أنني لم أعرف ما هي السينما ولا ما الذي يفعله الناس في
 دخلها ..

وذهبت إلى السينما فلم أجد أحدا أمام شباك التذاكر . فاستمرت حتى جاء
 الناس ووقفت في الطابور لأرى ماذا يقولون وماذا يذهبون .. ومثبت ورامهم
 وجلست إلى جوارهم . ورأيت العلم . لم أسوعب بما ما رأيته . لكني
 انشغلت به تماما .. وبعد يومين ذهبت مرة أخرى لكني أملاً عيني من كلهم ..
 وفي هذه المرة خطفتني في تماعي بعض العبارات الصعبة ..

ويبي وبين نفسي أحسست أن هذا الفيلم هو « الزلزال » ، أو هو
 « البركان » .. فقد هرسى بعمق . وصدعني .. وجعلني أمشي عني رسي .
 وأتقلب جالسا وإنما .. لا أعرف بالصخط ما الذي حدث .. ثم ذهبت أنفراج على
 الفيلم مرة ثالثة .. وكنت حريصا هذه المرة على أن أسمع بوضوح ما قاله
 البطول فقد قال شيئا كهربي .. صفني . ما هذا الذي يقول ؟ لماذا ؟ كيف ؟
 وما علاقتي أنا بذلك ؟ لا أعرف العمليات الكيميائية التي قلت كياني من
 دخلني .. أمي كلهم ؟ أبدا .. هو البطول .. هو ما يقول بسخط وغضب عني
 كلهم .. وليس كل الذي قال . ولا كل دوره في الفيلم .. ولكن عبدة
 واحدة .

وظللت أكتب عن هذا الفيلم وعن هذه العبدة مفلات ومصصا وشعر ..
 حتى يهني أحد الأستاذاء أن أكتب عن للكتابة ههناك أفلام أخرى كثيرة .
 ولم تكن قد لاحظت ذلك !!

هذا الفيلم من نفسه أديب فرمسا بروجير مريميه (١٨٠٣ - ١٨٧٠) وهو

يت هذا العالم بعد أن ظهرت قصته مدد مائة عام تماما ..

لقصة . مع الموسيقى الجمعة الأبهة والرقص المجزى المجوم ترى
حسدى نون حوسبه . هو شاب جميل عنده طموح أن يكون شيئا ما يوما ما ..
وعندما وصل إلى مدينة أنشيلية رأى القاعة العجورية كازمى . حلوة .. حمزية
نسبة .. كلها حيوية وتمرد .. التقى بها وأحبها . وفى إحدى الليالى أقعده بأن
سرته وطيفته كجندى وأن يعيش عجزيا . وكاد أن يقتنع .. ولما علم رؤسائه
عشوه بالسهر حارسا طول الليل . ذهبت وألعت عليه . وظلّت منه أن يهرب
بها معها . وكان قد أحب العجورية ، وغضب على رؤسائه وعلى حياته
عسكرية . فدفعه المصعب والحب إلى الانسحاب ، والاستسلام لها . وهرب
معه ..

وبعد أن أحبها راحت تسفر منه وكان يحلو لها ذلك كثيرا . وكثما عثبته
بأنه حيا لها .

وفى إحدى الليالى ذهب إليها فى بيتها . وفجأة دخل أحد الصباط . إنه
عشيقه . ولعلت السيوف بين الرجلين . وسط الصباط مينا ، وأسبب هو
جروح فى رأسه . وظلّت كازمى فى غرفها لا تأبه بالمعركة ولا بمن سوف
يموت فى النهاية . ولما خرجت ووجدت الصباط هنيئا ، غضبت ولعلت نون
حوسبه وانهمته بالمباراة . لأنهم سوف يطارئون ويقاتلون بدمه ..
ثم أحصرت له بالطلو بتكر فيه ويهرب بطلته .

ورصدى الباطل ، وخلع كل أماته فى أن يكون شيئا مما كان يعلم به .
فقد دفعه الحب إلى أن يكون مجرما . وكان لابد أن يعيش خارجا على
تعمون قاطع طريق مع عدد من النشالين ..

وكى لكازمى أصدقاء كثيرين من النصوص وقطاع الطرق .

وبم يكن أماته إلا اختيار واحد : أن يعيش معها لصا عجزيا . وأن يجمع
هبة عندا من النصوص ليكوبوا قوة . وكثمت كازمى تحسب لهم ..
. علنت الحكومة عن جائزة مالية لمن يعثر على نون حوسبه حيا أو مينا .
.. عينا وإصرارا على أن يكون كما أرادت الطرود مجرما ولصا .
. مع بأن الذى يملزمه هو التصحيح وأن العسدية هى المرفقة الرسمية .

صحيح أن هذه الحياة ، ليست هي الحياة التي كان يحلم بها ، ولكن لابد أن يعيش ، كان لطيفاً وهو الآن عفيف ، كان رفيقاً وهو الآن حزين ، كان نبيلاً وهو الآن سافل . كانت له كرامة ، ولكنه مع نقمة العيش وكلمة الحب ، بلا كرامة !

وكان على يمين من أن كل من نحوه ، أو سوف نحوه في أية لحظة ، ولكنه ابتلع هذا الهول ، اللهم أن يجدها ، أن تكون له بعض الوقت . ولكن عندما عرف أنها عشيقته لرجل أعور فقته ، وجاءه أحد أفراد عصابته وقال له : أنت رجل محط .. أنك قتلت زوجها . قد التزجج كان على استعداد أن يبيعها لك بمبلغ ثافته !

وكون نون حوسبه عصاة جديدة . وقالت كارمن بدور الجاسوسة لهم . فكلت تذهب كل ليلة إلى متبة غرامطة تجمع الأخبار وتشتري الطعام والسلاح . وهناك قابلت مصارع الثيران لوكاس . وعرف عشيقته ذلك ، فصعبها أن تكون له . ولأن تعيش معه ولأن تهاجر إلى أمريكا رفضت كل الذي طلب وقالت إنها تفعل ما تريد ، الحيلة مع أي عدد من شس وألا تكون له وألا تهجر القنولة وألا تهاجر من أسبانيا .. ثم إنها لا تتلقى أمراً من أحد .. أي أحد .. وأنها شجيرة . عاشت وسوف تبقى شجيرة حرة تفعل بنصها وبالرجال ما تشاء .. فليقبلها هكذا ، أو يتركها هورا .. ولما أنهست بأنه يهوى قتلها قالت له : قرأت في العجالي أننا سوف نعيش معا ونموت معا .. ولم يصدقها !

ودفعت إلى لوكاس لدى ألبابه أحد الثيران . ووجدتها هناك وطلب إليها أن تعود له .. ولأن تهاجر معه إلى أمريكا . رفضت . ودعت إلى أحد الزعماء وطلبت إليه أن يصلي على روح إسمان ميهند بالموت .

وقتلها . وبعض السكين حفر لها قبراً . وجاء القسيس يصلي على روحها ! انتهى الفيلم على اللشاشة ست أو سبع مرات . ولكنه لم ينته في داخلني فقد استمر العرس والموسيقى والحوار لمحات طويلة . أما الذي مرني في هذه القصة طيبت الأحداث . ولكن بعض العبارات التي

جاءت على لسان البطل . فهناك عبارة تقول : اللعنة على من قتل إن الإنسان
ثم يكون !

ومعنى هذه العبارة : إن هذا البطل قُتل بطريق والحقيقة أنه ليس كذلك .
وبما هو قد اضطر إلى ذلك . لمضطره الحب ، وكرهه الإجرامات
التي . أو هو الحب نفسه لأن يكون مجرماً وهو ليس كذلك . أي أن الذي
حكم عليه من مظهره يظلمه . فكل حكم عليه ظالم تماماً !

ولا أعربكم عدد العزب التي تكررت فيها هذه العبارة وعلقت على عمقها
وعظمها .. سقط البطل على كل من يسيء إليه ويضطّر إليه على أنه مجرم
حقيقى .. إنه مجرم ، لكن ليس باختياره .

ومن الغريب أنني عندما شاهدت هذا الفيلم بعد عشرين عاماً ، ثم أجد هذه
عبارة . إن هذه العبارة قد تكررت من أعمالي . أنا الذي وصفتها على لسان
البطل . أنا الذي قلت . لو أنا الذي هممت الذي أراده البطل والمؤلف معاً !
وأعجبني أيضاً أن يخلع الإنسان ملابس الجندي أو ملابس التمساح ليكون
في شيء من الحب . المهم أن يفعل ما يشاء باختياره وحريته وإن يكون
مسؤولاً عن هذا القرار . المهم أن يكون حراً . فإذا كثر حراً فهو مسؤول .
ثم إن الإنسان لا يولد جنسياً أو يولد لساناً ، ولكنه يصير كذلك .

ولم أنكر عبارة واحدة على لسان كارم . ولكن عندما رأيت الفيلم بعد
سنة ، وجدت أن عبارات جميلته وقوية قد جاءت على لسانها السليط .. ولكن
لم ألتفت إلى ما تقول . وإنما ألتفت إليها .. إلى جمالها وحيويتها ونموتها .
فأعجبني بعبارة العجوز له تاريخ طويل يرجع إلى طفولتي . يوم تسميت أن
كرو شجيرة . وإن أعرب مع جماعات المعجزة . ويوم تسميت أن نسياني إحدى
المعجرات ويوم تسميت من ثم معجزة وتسميت من ثم . وكنت طفلاً . وعندما
كثرت أعجبني حياة المعجزة . حياة الانطلاق وعدم الارتباط بشيء أو بأحد ..
عدم الارتباط بالأميرة .. سقط أن أظل أفتقل من مكان إلى مكان . وأن أعيش
على حافة المدن والحافة بين القانون والحروب عليه .. أن أعيش في خطر .
كد تصعب الفيلسوف الكبير ببشرته .. أن يسيء بيوتنا على معوج البراكين وعند
هـ هـ . لم أشعر بهذا المعنى إلا مرة واحدة عندما ذهبت إلى الطبيب وبحثت

عن المطاعم التي وصفت مملكتها في هوة البراكين الحامدة . ولكن الأرض حدث المصائد لا تزال ترجف .. كل أحد يفهم بتلك تلك الوحش النائم لعله يصحو . أو لعله يظل مستغرقا في نومه .. وكان شعورا عجبيا أن أكل الأيس كريم في قلب جورة هند .. الأيس كريم يتجمد .. والأرض من تحتها ساحنة ترتجف .. وأنا أحلم بما قلته الفيلسوف بيشه .. وفي نفس الوقت أنتحل بعسى وقد قضى البركاني في الهواء والنظمي واحد من النصور التي جاءت في ألف ليلة ، وينور في حول الأرض ولا يهبط إلا ونحن معا . موسى في هوة بركاني يتدق بالنار والفلجان !

ويوم استأجرت طائرة صغيرة في جرد هواي أشرع على بركاني قد ثار فجأة بعد يوم فرين من الزمان .. وكانت الطائرة تنور والوهج يند من رجاجها وأن أبواب عرقا .. أحمست أن اللحظة العسبة التاريخية البهوتية قد جاءت ، الطهران فوق القمم .. وأعظم قسم البراكين . والسقوط في معبر التور والمار معا !

ولم أفكر في ذلك الوقت عن معنى هذا الذي نادانا به الفيلسوف الأنتماني ! وعن دلالة ذلك ! ماذا نصفت ؟ وماذا أهدت .. وما قيمة أن أموت أنا أو غيري في بركاني ؟

لأبد أن الفيلسوف قد أعجبته الصورة المروعة الرائعة . فقط للصورة . وإن كانت بلا معنى كبير .

وكذلك صورة المعجزة كازم .. جمالاتها ودلائها ووحشيتها وألوانها الوردية ..

وعندما ذهبت بعد ذلك أشرع على الأماكن التي لم يهب تصوير فيلم كازم ، لم أجد شيئا مما لحبط عقلي وشوثر على قلبي . وتدعيم الفكر والتوجدان . وطلعت صحبة لهذه المعركة غير المتكاهة وفي طويلا ..

واتخذت هذا العلم عملا وجوديا كاملا . أنا الذي قلت ذلك ورحلت لتعصف في تفسير كل حركة وكل عبارة . والبدائية والنهاية . فقد كنت في ذلك الوقت من الحمسينات في حاجة إلى حجاج قوية هيبة لتدعيم الفلسفة الوجودية التي أدعو إليها في الصحف وهي محاصراتي في الجامعة .

وهجة وجنتكى أذهب لأفروح على قيم أحر اسمه ، شمشون وثليثة ، البيطنة
 هي هيدى لامار ، مملووية جميلة . وقصه شمشون وثليثة حامت هي التوراة
 لشمشون رجل قوى ، وقوته هي شعره . إذا طلق تماطعت قوة عضلاته .
 وأصبح قادرا على موارته جيش وقهره أيضا . وأحبث ثليثة هذا البطل الذى
 عم لحظتها أنجها . فصببها ذلك . وفترت أن ستولى عليه بالقوة وأن تقهره
 بنعما منه . ولكثر خصومه ورسدوا مكافأة لثليثة إن هي عرفت سر قوته
 . طلت تستدرجه إلى أحضانها حتى عرفت . وقصت شعره . وأصبح رجلا
 عذب . وصريوه وعذوه .. وعقوه في اللواحين بدورها أطلس المقمح . ولكن
 سبة هربت على حقدتها لدى دفعها إلى ثعيب هذا الرجل الذى تحبه .
 وشترطت على أعدائه أن يفعلوا به ما يشاؤون إلا إزاعة قطرة دم واحدة منه ..
 ولكهم أفتره النصر بوصع أعواد من الحديد المنحرف أمام عينيه .. حتى صار
 عصى |

وطال شعره .. وطلب إلى ثليثة التى جاءت تساعده أن توفقه بين أعمدة
 المعبد .. وهدم المعبد على أعدائه وعلى مصه .
 ثم هذا الفيلم قد أعجبتني ثليثة وليس شمشون : جمالها ودلالها .. ولم أجد
 بها عبارة واحدة نهيمى . ولا وجدت لشمشون .. وبط مسوات تبيت أن سب
 عجائبي بثليثة هو أن جارة لى هي للمصورة كانت شديدة الشبه بها : الأنف
 والجبال والشعر الأسود والشفة بالشف .. وكنت أراها جميلة من كتبها التى
 توقى . فقط .. بينما ثليثة كانت كاملة الجمال . فانا لم أشعل بشمشون ولكن
 سلبه . ولم أشعل بكازم ولكن دون حوسبه .

وهي الفيلمين : امرأة جاذبة شرسة .. شريفة .. وأن الانتقام عندها أقوى
 من الحب .. وأنه ليس الحب هو الذى يهم المرأة وإنما العنك ، والنسل ..
 فهي لا تريد رجلا ، وإنما تريته ثليثا .. فإذا أصبح ثليثا ، اتجهت إلى رجل
 حر قوى .. تعجب بقوته ويستمتع بأصعاف هذه القوة وسعها وإدلالها .
 سجد إلى صبية أخرى .. إنه تاريخ الاستعباد والذل والهوان الطويل الذى
 عشت به المرأة .. هذا التاريخ جعلها تريد أن تنتقم من سيدها الذى حبسها في
 بيت سطره بجىء أو لا بجىء .. ومن الممكن أن تنكى المرأة لأنها قتلت

وحلا تحبه . ولكن شرها أقوى من حبها .. فهي تحب الرجل ، وتحب أن يحبها
الرجل وأن يتخلص له وأن يموت من أجله .. ولكنها تحب أيضا أن تستولي
عليه حيا أو ميتا .. فلماذا ماتت بكت عليه .. فهي تحب عذابها معه ، وعذابها
من بعده ، وتكره نفسها في الحالتين .. فللمرأة مصاصة للدماء .. وصحبتها
هو الرجل ، هكذا كازمى ودليلة ؟

وفجأة ظهرت في خيالي ، مازلين موعرو ، أجمل من خلق الله وأحسن
أيضا ..

لم أفسد بأفلامها . ولكن بحيلها .. بها هي .. كيف عاشت كيف كانت في
الملكوت . من هي أمها ومن أبوها ؟ وكيف تزوجت مصارعا .. كيف تحدثت ..
كيف تفتحت بين الأتارع والأسديرات .. كيف يعرضونها لثعنا ورنثا .. وهي
لا تصنع على البائع والمشتري .. ثم كيف آلت في النهاية إلى الزواج من
أدب كبير هو أرثر ميلر .. إنه جراح .. إنه سحاح العواطف الإنسانية حاول
أن يدير رأسها ناحيته لم يستطع . حاول أن يصح رأسه فوق كتفها ولو بعض
الوقت .. لم يستطع ..

ودار حولها الرئيس الأمريكي كينيدي وأخوه وروج أحبه .. وتحالفت
المعابر الأمريكية والمصليات: على هذه الجميلة للتصنع وفصو ، عليه ..
ونولى الدفاع عن جمالها وشبابها وبراءتها وجوونها ألباء أكثر جنونا منها ،
وأكثر سحالة من آخر أولادها .

ولا أنكر قسي رأيت لها هلما خرجت منه ، لكني أكتب سطورا واحدة .. فأنا
راض أن أراها .. ولا يهم ما لدى نقوله .. هي تظهر ونروح ونجني ونحب
وتكره ونعسى ومرفس وأنا أتولي عنها المكالبة !

وحتى عندما رأيت ريتا هيوثرث في القامرة مع زوجها على حد ، ووقف
الانتان أمام هذق سميراميس للنعيم ، ولم يجدنا سيارة تنقلهما إلى السحارة
الأمجاسة واستوفنا أحد الديكسيات .. وطن على حاش أمني أحد المرءهين سألني
إن كان معنى ظنوس .. وأعطيته حمصة وعشرين قرشا أهداه وأعطاهما للسائق
مقعدا .. لم أجدنا جملة كما زأنها في الفيلم .. إنها أكثر سحافة ورقة ولم أجد
الوجه الجميل الذي التصق في عيني محولات . وكبت مثل عقارب الدقائق

والماءات أتتكم ليلا وبهرا هي داخل هذا الوجه الذى كل يتسع ويتسع حتى يكون هي رغبة السماء .. وأنا حائر دائر دلتح بين سلامحه ..

ولكن انتعلت كثيرا جذا بهيدى لاملر ولم أستطع أن أرى لها أى هيلم احمر غير شمشون ودليلة .. ولم نعب عن خيالى . حتى طهر كتاب عن حياتها .. وأحضرتى الكتاب عليها .. فهي تروى كيف أتممت الفخر والمصدرات .. وكيف أن أعد أصحاب الملايين طلب إليها أن تظهر عارية تماما . مقابل مبلغ من المال . ثم هدهدا بعرضه على الناس إلى هي لم تزوجه فهدنته هي أيضا بأن تروى كيف كثرت علاقتهما الجنسية .. وما هي عيوبه وعجزه .. ثم إنها روت علاقتهما بعدد كبير من الناس بأسمائهم .. وعددت هي هذا الكتاب بمصاح آخرين إلى لم يدهسوا لها مفعما . إلى هذه الدرجة ساحت حالتها المنيعة .

وجمعت قصة حياة عدد كبير من الكوكب .. ربما ملئة قصة وأكثر في ثلاثمائة كتاب استعدادا لدراسة نفسية اجتماعية هية تاريخية لهذه الكائنات شديدة الجنسية من الجميلات :

ولكن التصيب الأكبر من الكتب لمارلين مونرو . فقد كان أثرها عميقا وموجعا .. وكتبت هن ذلك كثيرا وطويلا ..

ولم أعد أنكر من كل صور مارلين مونرو إلا صوتها هي خيالى يوم رأيتها هي هوليوود وقد خرجت من الحمام والتتليك وبحذر المطور . لامعة براقه هراثة نظير ومن بعد قالت لى : أزيك يا ليت !

ولا يستغنى قللى أن أصف لك كيف اشترك في هذه التجربة : نراهاها وإحدى صافها وعين غمرت بها وشعة ضمطت عليها وكتبتها .. كل ذلك من أجل ولعد جاءها من آخر الدنيا سنة ١٩٥٩ .. كانت هي غرفة راقصة غنائية موسيقية .. أغلبية ساحقة وأنا هناك بعدد أقلية مسعوقة غليظة !!

في ذلك الوقت كنت قد رأيت الممثلة راقية إبراهيم .. طويلة أنيقة .. فحمة .. ولكن لا أعرف ما معنى هذا الذى تقول وهي تتحدث في الأتوب وهي سياسة وهي الاقتصاد .. وكان الناس يستمعون إليها .. وكان صوتها أجمل من غيرها .. وكنت هي تعرف أن الأنوثة في هذا الصوت .. ولذلك نبالغ في تكسير الحروف وتفسيرها وتطويلها .. رأيتها أول مرة في مكتب اله مل أنور

وحدى .. وقدمني لها هكذا : واحد من الشعراء للشاعر الحديث معجبك . ينكلم
عنه لغات .. وحاولت أن أضعه في منزل هي السيف ، ولكنه رفض . ما رأيك
أنت ؟

ولم تعرض في أظهر على الناشئة ، وإنما هي دعابة !
وسطرت راقية إبراهيم ناجي ، لدرى إن كان صحيحا ما يقول . ولم تقل
شيئا .

ورأيت العملة كالموليا ، وكانت تنزد على إحدى مجلات الأسطوانات
ولم يمجس .. هي غير متقة ولا بحس الكلام . وإنما شذرك في أي حديث ،
بدأت كنت هي موضوعه ..

ولا بد أن يكون سبب عدم إعجابي بها أنني معجب بعيرها تماما : هدى
لأمار ومالين مودرو ..

وهي جميعا بعيدات عني . لا صلة . ويستحيل أن تكون صلة . وهضت
الأكثر بعداً واستعالة .. هضت الحبال الذي أعيشه على الواقع الذي لا أعيشه .
وانتقلت باهتمامي بالسيميا إلى نجوم ليطلها : سلفانا مانجانو .. وسيلفانا
بمبوسى والياورة روسي نزلجو .. وصوغيا لوريس . وجيسا
لولو بريديا . ورقيهم جميعا ونحدث إليهن عن قرب .. وفرت وكبت
كثيرا . وهري هيلم « مرارة الأرز » بطولها سلفانا مانجانو .. ورأيت في
سلفانا هذه كارمن وفيلة معا . لولا في سلفانا كانت من عمل التزاحيل في
ايطلها . نكتف عن ساقها طول الوقت . ولكنها قوية بجسمائها الصارخ .

وأعجبني الممثلة الإيطالية الياورة روسي نزلجو .. وهي أجمل جميلات
السيميا الايطاليا .. أطلقتها السيميا تسرب بها سيلفا وجينا . ولكن تزوجها
أحد أصحاب منات الملايين .. فلم تظهر إلا في ثلاثة أفلام واحضت . وكانت
الياورة هي كارمن + فيلة + مالين + جينا + هواء الطائدة الأنوثة والميرة
والاستقام والكتب والحداد ..

وهي ليست كذلك إنما هو المؤلف والمخرج والمنع نامورا مع على إطلاق
كل طائفتها الكلمة ووضعوها في اطارات جميلة مثيرة !

وهي سنة ١٩٥٦ نشرت في « آخر ساعة » حديثا عن الألب واللمعة والعباءة

في إيطاليا بعد الحرب مع البانورة هـ .. وكان لابد أن يتعمش القارئ كيف يمكن أن تكون هناك جميلة جدا ، متفقه جدا .. وكيف أن جمال الجسم والفكر قد جعلها واحدة من بنات آلهة الاغريق .. وكيف أن هذا الحديث بعد أن ظهر طبعت ترجمته إلى الإيطالية ثم بعثت لي بصورة من الترجمة ومعهما هذه لعمرة : كنت متعني مصاعبة عندما قرأت ما قلناه سويا ! ألا يهزينا هذا معروفة الحوار ، إن كثيرين يريدون أن يشتركوا معنا مع أصدق وأخلص نحبنا واحدة مبتكئة في كل شيء .. الحياة والأدب والى ومعرفة مصر

وقد نشرت هذه العبارة مع صورة البانورة في مجلة : آخر ساعة : .. وكان لابد أن أعرف من هو مؤلف : كارمن ، أو : غراميات كارمن : .. به الأديب الفرنسي الرومانسي بروسبير مارييه . وقد عاش في عصر الأبناء الفرنسيين القديس : هيجو وديكارت ولستندال وبلزك وبولتير وزولا وفلوبير . وكان هادي النعش . ميالا إلى القبلل حاول أبوه أن يبعثه معاهيا . واشتغل بالمحاماة بعض الوقت . ولكنه كمل ميالا للأدب واحتاروه عصوا بالأكاديمية الفرنسية سنة ١٩١٤ وكان غيبيرا في الأدب الروسي للمعاصر .

سافر كثيرا . وفي رحلاته إلى أسبانيا استلهم قصة : كارمن : . ثم انشعبت عن هذا الأديب بمثابة : كارمن : هـ .. ورأيت أوبرا : كارمن : للموسيقار بيرييه على مسرح الأوبرا في القاهرة . وكنت أعجب عيني وأنا أسمعها فالموسيقى هي الإضافة الجمالية الحقيقية لمعنى القصة وعبارةها المنقوشة بعمل في أننى وهبالي ..

وهي مكتب الصديق شكرى راعب مدير مسرح الأوبرا أشار إلى هناك جالسة أمام وقال : هذه كارمن . بقصد بطلنة أوبرا كارمن .

هناك أسبانية غمرية الأتولى العبيد والشقيين والقبشرة وكلت الأفرط مثيرة في أنبيها وكذلك الحوائم والسلام في عبقها وفي بنديها .. والحلاخيل هي سافها .. والنحل يجرح من أعفها ومن همها في عصبية شديدة ..

هرسى شكرى راعب قائلا : منك . أنت علور تكلها ؟!

ولم أفلح في أن أشرح له الأسباب الحقيقية لهذه الفرحة والنشوة أن أرى : كارمن : لحما ونما . وكلما حاولت أن أقول شيئا يعمى قائلا : عارف

ما سوب تقول .. تقول أنك مشغول بالقصة والإخراج والموسيقى
والتيكوير .. كذب .. أنت وأنا مشغولان بهذه الحلاوة والطعامه طبعاً سوب
سجى عدا تتعرج عليها .. لا بد من البذلة والتكرهه .. وإلا والله العظيم لنزل
أشبهك هيله بيله ولوعيك أنت وكمال الملاخ خارج المسرح !

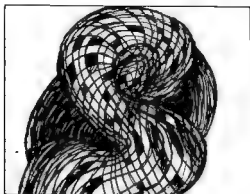
وفي تلك القيلة الساحرة لأول مرة أشاهد أوبرا كارمن ، جئمت في الصلابة
ممشوراً مبهوراً .. لا أعرف عن أى شيء سوب يرتفع الستار .. وقبل
ارتفاعه بلحظات كانت الموسيقى .. رهة عروسة غجرية .. مظاهره
أوركستراثة .. أغصنت عيني بسمع واستسلم للموسيقى وللمعاني في رأسي ..
وعندما ظهرت كارمن بصناتها القموى الفجرى وورودها وعصافها والفرانها
والصاغت هي بندها .. لم أجد في حاجة إلى شيء .. يكفي هذا في تلك
الثيلة .. على أن أعود غدا .. ولكن لا أعرف كيف أقوم .. ووجنت أصابع
تدق كغنى .. إنه شكري راجب يقول : فم بلاش هصبحة !

وخرجت معه . فأنا لم أفهم من العودة إلى البيت واقترح أحد مساعدي
شكري راجب أن ارتدى جلباب أحد المسرحية وعمامة كبيرة متفوعة بإحكام
. أى ترى الوطني لأبناء التوبة والسودان .

ونحن خارجون قال لي شكري راجب : لازم للهادرة .. هل تعرف أنه
يوجد ثلاثة من عملاء السودان من الحاصريين .. وأنهم في السودان لا يرتدون
هذا الزي .. هنا زي بواب يا أستاذ !!

وأخضمت إلى غرفة الملابس . وطلب مني أن أجد معي بنقطة سموكيج لأن
الملكه فاروق سوف يشهد الأوبرا عدا !

ورأيت كارمن بعد ذلك على مصارح برلين وندس وباريس .. جميلات
أبديت متعربات طعنات . كلهن كارمن !



و قررت إنهاء هذه الطفولة
المتأخرة فكتب ونشروا

وقررت انهاء هذه الطفولة المتأخرة فكنت ونسروا

من المؤكد أن لا ضرورة لوجود . قلنا لنصنف ألف مرة . حتى أصبحت
أسمعها دون أن ألتفت بها !

بعض لا معنى لأن أولد وأن أكون أي شيء .. هتلى كتيروب جيا . ولست
لى موهبة حارقة . ولا هي إمكاني أن أسمع شيئا هاما للبشرية . إن وجودي
هو استمرار لسوء التقدير واستمرار تحكمه أن يكون من الناس والحيوان
والنباتات : شيء رائد عن الحاجة لا ضرورة له .. ونحن ونفوس أئمة بب
الجماعة : كل الوجود واحدة . كل العيون . بل إن قفرا كبيرا من الغارة
والبلادة هي من أهم معالم الجميع .. وكأنني مطلب وحدي بالبحث في هذه
النظرية ومدى صحتها وخطئها ، أخذت ألتفت للوجود .. والعيون والاشعاع
والأصوات ، وقد لاحظت أن أصواتنا قبيحة وأسطودا هي التعبير عن أفكارنا
محبب .. وأني لم أجد واحدا من زملائي يقول لي : أسمع نعل هنا .. لنذهب
إلى حديقة الأورمان ولنفكر في حالنا . ما الذي يمكن عمله في هذه الدنيا ؟
ما الذي تعلمناه ؟ كيف نستفيد من هذا الذي تعلمناه . هل الذي تعلمناه يمكن
أن يكون الواحد منا إنسانا هاما .. مثلا : أنا أريد أن أذهب إلى المريخ ولكنهم
لم يملؤوا إلا ركوب القمر . بالله عليك قل لي كيف أرتفع بعماري إلى
السماء . أو أنهم علموا كيف يعمل أنديا قبل وبعد الأكل ، فهل هذه الملاحة
اليومية بالماء تجعلنا قادرين على التوصل في أعماق المحيط لمعرفة أسرار
هذه السموات المصنوعة من الماء .. السموات التي تحسن .. فالماء عرفنا
محيط من الغارات ، والمحيطات بحسب سموات من الماء .. هل تعلمنا مثلا كيف
يعبر طريقا وطريقنا في الحياة ؟ ما الذي تعلمناه ؟ وإذا كنا لم نتعلم شيئا فعلى

أى أناس تعصب من تصويبا المتواضع في هذه الدنيا ؟ تماما كما يعطيك أبوك قرشا وتندب حطك لأنك لا تستطيع أن تشتري به سيارة ، وفيفا ؟ هل لك الحق في أن تمنى ذلك ؟! إن الذى أعطاك العرش ، أعطاك في نفس اللحظة مجالات صيفة للإختيار .. أنت قادر على أن تشتري اللب والمودافى فقط .. هذه حدود قدرتك .. وهذه حدود قدرة أبيك - وكذلك الذى تعلمته في حدود قدرتك .. هي التهمة الذى تعلمته من الجامعة ؟ هل أنت ضرورى لأحد ؟ أمك وأبيك مثلا ؟ ماذا لو مت الآن .. ألمت مالى هذه الأوراق التى تسفطت من هذه الشجرة .. وسوف تبقى الشجرة لتجدد شبابها وهيويتها في الربيع القادم ، والشجرة هي المنتج أو هي الاساية .. وأنت ورقة نبئت .. سقطت .. أو سقطت قبل أن تدب .. أو قطعها إحدى الأيدي قبل أن تكون شيد .. هل تستطيع أن تتوقف عن الجري - حين يجري مد نعلنا المدرسة الابتدائية .. يجري ونلت .. قبل حيننا وقت لكي بمد أرجلنا ونسند ظهورنا إلى شجرة أو إلى حائط ويضح عيوننا وننظر ونفكر في مستقبلنا ؟ هل علمك أحد كيف تفكر في مستقبلك ؟ هل هي التفكير الطمعي والأدنى هو هو نفسه في التفكير في لقمة العيش والدور الاجتماعي الذى سوف يكون لنا ؟ هل لأننا نعلمنا السير نستطيع أن نرفض البالية ؟ هل لأننا نعلمنا الجري نستطيع أن نسابق القطار ؟

لم أجد أحدا يقول لي - ما رأيك نلقى بأنفسنا في الدبل .. ويكون موتنا المفاجيء رغسا للسماء التى وهبنا الحياة للحكمة .. ونهى نحن ونعلم أننا نرفض هذه الحكمة ، لأن وجودنا بلا حكمة أو أن استمرار حياتنا ، هو لتطبيق نظرية خاطئة ونقول : إنما مخلوقون لحكمة .

وبن لا نرى هذه الحكمة !

ولا وجدت أحدا يقول لي : لماذا لا تعمل دبرا من الأثيرة .. سوف تقول أنا مسلمون .. فليكن .. تقول أنا مسيحيون وندرس الديانة المسيحية ونطلى على إسرائيل .. المهم أن نحصل على هذه الحكمة البصية .. وهي نفس الوقت نعل هما يربنا وبين أنفسنا : إلهنا الطمعى ..

ولا أحد يقول لي : ما رأيك لو قررنا السياح .. سيمان كل الذى نعلمناه .. نذهب إلى الحمامة وشرب وشرب .. حتى نمط على الأرض .. كل يوم ..

ويكون لسطوط على الأرض سقوطاً لكل الذي تعلمناه .. ويكون المنكر والمعزى
بحرير لسطوط من قيود السقوط الكاذب .. فإذا اعتدنا على ذلك ، رحد يبحث
عن مصادر شغال .. فلا يحدثنا بما تعلمناه ، يبحث عن عمل ينرى .. وسوف
نجد ..

ورحمتي وأنا أجرى هذا الفجر هي رأسى أسمع جويوب بطلوسي إلى
البحر يحيط منها بعض حبات اللب والحمص ..
ومن عبر أي سلسل سطوع وجدنتي أقول لإحدى الزميلات : ما ريتك ..
دست ، مانا ..

قلت : نذهب لسماع معاصرة د . ويهر هي كلية العلوم ..

من هو ؟

- سند جاء من أمريكا بحاضر في موضوع هام . الملوك الجفسي لذكور
وبناث بعض الأسماك والطيور ..

ونذهب هذا الموضوع وهذا الحديث المفاجيء .. وأذهبنا أكثر أننى مصر
على ذلك .. وأنى وصحت دراعى هي دراعها .. مع أننا لم يكن أصدقاء .
ولكن بسلمتها العافية تدل على أرباب بأن يعرض عليها أحد رثا أو قمر
و يرعها على الذى لا تريد .. وأن تلك تطور مفاجيء هي سلوك معوه ..
كم أن بطرائى لها تدل على أن شيئاً ما هي بالحق قد بولد لصالمتها ..
ومسبها .. واستلمت .. وانتظرت ما الذى سوف أقوله .. ومن المريب حق
أننى لم أنق شيئاً طوال ساعه هي الأنوميس إلى كلية العلوم . ولكن دور فكبر
واصح كنت حريصاً على أن أكون قريباً منها .. ملاصقاً لها . إما لآسى أريد
ذلك ، أو لآسى أحول ببها وبين ملامسة الركاب الآخرين . وكانت سعيدة
لسك . ثم إنى مندب يدي أفضلت جعبتها التى انصحت .. وعندما سمعت مندبها
سارعت بالنقطة . ولم يكن مطيعاً فاعدت عن ذلك . ولم أعلق كنى راس
نعام ، وكأنه لا يهم أن يكون مطيع أو فترا .. يكفى أنه مندبها ، ولها فرصة
لكى لحنى أمامها وأهوز بانسلة . والجمعية أننى لم تكن أعنى شيئاً من كل
ذلك . وإنما لدى شعور بأننى لا أريد أن أذهب وحدى . ولا أريها أن يفكر
لحظة واحدة هي العذول عن المعاصرة ، وعلى الرغم من أنها قد وافقت بتماما .
ولكن من ينرى ربما جاء واحد أو واحدة ، هي أى وقت ، وأقعها بعبر ذلك ..

وحدث كثيرا مع كثيرات . ولو فطنت لا سرحت للمرأة المائنة إلى نظريتي
أن الطلائع باهات . وهذه لم تفكر هي أن يذهب إلى هذه المحاضرة رغم أنها
مطالبة هي كلية العلوم ، ولكن الذي أقعها ، فمسي زاعنها ، وأنى عندما عرفت
عليها ذلك كنت أبوء كس يزيد أن يستدرجها لكلام آخر أو قرار آخر .. فهي
قد واهت حبا لاستطلاع ماذا أريد . وليس حبا لمزيد من المعرفة ..

لا يهم . وأنفقت جهاز التفكير في رأسي . وجلست في الصف الأول . وهي
إلى جوارى . وتحولت إلى شخص آخر . لا أتكلم . ولا أزد ولا أصد . وكأنها
ليست هناك . ولم يكن شيئا هاما أن تكون هناك .. وكانت نهدي .. فنظاها
بأنسي دتح .

ولم تكن القاعة الكبيرة إلا إغارة كبيرة للرجل .. فلم يحضر إلا عشرون طيب
وعندما ورجلا أعرفهما .. أحدهما ساعى اليهودية والثاني سائق سيارة
نيروغيسور وبلر ..

بهس الرجل .. حيانا . شكرا . تقدم بالإعتذار عن الذين لم يمتكوا من
الحضور لأن الوقت غير مناسب وأن الجو حار . وأن الاعلان عن المحاضرة
قد جاء متأخرا . وأنه يرجو للمحاضرة القادمة بعد أسبوع ، أن تلقى من وقت
الطلاب وعديتهم نصيبا كبير ونوفر .. وأن مثل هذه الموضوعات حتى في
أمريكا لا تلقى عادة أكثر من هذا العدد . ثم روى قصة الفيلسوف الإغريقي
الذي هوجىه بنزله عند المتردئين على بيته .. وفي أحد الأيام وجد رجلا
من المصعبين . فقاطعهم مشاعلا : ترى ما هو الخطأ العظيم الذي تتوقعون أن
أسقط فيه اليوم ؟

وحكى له قصة الأنيب القروسي الذي قاطعه للسمعون بالتصديق كثيرا
فصاحل . هل أعطت أو أنكم تهربوني أن أعطى ؟

بها بداية مبررة لعالم جليل جاء من آخر الدنيا لمعرض علينا نظريته في
السلوك الجسمي عند بعض الحيوانات .

قال الرجل في هدوء ساهر : إن الحياة قد كلفت الذكر بأن يمد الحياة ..
وعندما شاعت الحياة أن يكون الذكر هو حامل هذه الحقيقة .. أو ناقل هذه
الرسالة . جعلته قويا . فكفر حجما انفر على المطاردة والمناصه

والمشاهدة .. هي عالم الأسماك يجد الذكر هو الأكثر حركة .. والاكثر انطلاقا . وهو الذى يتصخم طولاً وعرضاً ويطلق أصواتاً وألواناً .. تلعب لأشياء ويثير غيظ للذكور الأخرى .. إن الحياة قد أودعت في كل ذكر هذه الحكمة : فتش عن الأنثى أكثر عليها ، علفها ، تكاثر أى أن طريق الذكر ستهي بالأنثى . والذكر يطلق حيواناته المنوية التى هي أيضا كثيرة الحركة . وبهذه الحركة أن يستقر هذا الحيوان في البيوض . وتبدأ دورة جديدة للحياة . ويشتر الأسماك أمامها غرائط وصورا ملونة للأسماك في البحر .. وبعض بطيور أيضا . وقال : بعض الذكور تطلق أصواتا معروفة .. وبعضها يطلق صراخات ..

فأصبح ، الذكر ، هو هدف العلماء يتابعونه ويدرسونه ويحللون سلوكه . ويكون ذلك هو السلوك العام لكل الحيوانات والطيور .

أما الأنثى فلا أحد يهتم بها لأنها سلبية . ولأنها هي بهيمة الطريق وتساؤل الرجل : هل تعصب من الرجل الذى هو ذكر ، لهذه الذكر أيضا . فكان الرجل يريد أن يجد نفسه في الحيوانات والنبات والطيور . لمؤكد أن الرجل هو البعيد وأن المرأة هي المتجلبب السلبى الذى لا دور له ؟ يجوز .. والعلماء في مئات الميادين قد ركروا عيونهم وأجهزتهم على سلوك الذكر فقط .. تعجب كما تذهب للممرح وتفرح على روميو وجولييت ، فلا سطر إلا إلى روميو ..

وسكت الأستاذ بعض الوقت . وقال : إلى هنا أريد أن أقف بعض دقائق . وسأعود إليكم بتصويره الجديد لسلوك الجنس عند الذكور والإناث ! أى أن الرجل له رأى آخر هي هذا السلوك .. والرأى الآخر هو أن الأنثى بها دور .. وأن دورها ليس سلبيا ، كما اعتاد العلماء أن يقولوا ..

في هذا التأصيل قد أنعش تفكيرنا وحيالنا ، وأيقظ روح التحدى عند سكور .. أو عند الذين استمعوا إلى المحاضرة . ولم يكذب مرح من القاعة حتى دانت المناقشات بين الحاضرين . بين مؤيدين له تماما ، ومعارضين .

ومعيت لو أن الأستاذ قد تركنا اليوم على أن يحتفنا غدا . فمكون لنا بعض نوبت تفكر وتأمل وبهضم هذا الذى قال في ساعتين .. ملاهم بالتواثر

والصور والحكايات التاريخية ورحلات المكتشفين لأستراليا وجرر هاواي ودول أمريكا اللاتينية .. وعن حوالت الطاعون الذي احصد أوروب وعصر الإنث والتكور وأقرها على مقاومه المبيدات . الإنث طبعاً . كانت المحاصرة صمة حقيقيه . وهواء ملوثاً بالأكسجين الذي هج كل حلاًيا العقل والجسم .. بل إنه يكاد يكون قد أخرج أحشائها وغسلها وبشرها وعرضها للسوء ثم أعادها إلى جوها ملثمة بالمعاوية ومطوخة الشبهة ..

قلت لي جارتى : أنا سمعت كلامك وجئت إلى هذه المحاصرة ..
قلت : أه .. إنى أنت لا تزيدى لي تستمعى إلى نصحتها لئلا ؟
وعرفت لى المحاصرة مطبوعة وأنه يمكن هزاتها كاملة .. وأسعدنى ذلك .
قلت : إلى أين ؟
فالت : إلى هناك ..
قلت : أين ؟
فالت : حديقة الأسماك .. كما هي العادة !

• • •

هل هذه المحاصرة قد أراحتنى ؟ هل كان هناك شك فيما قلته الأستاذ .. هل كانت هذه هي القصيدة التي تشغلنى ؟ لا شيء من ذلك . وإنما المحاصرة قد أمتعتنى هذه المتعة أراحتنى ولذلك أحسست كأننى فى نصف عمرى .. وكأننى مصاعب الحيوية والفسلية . فلم أكن أزل إلى صيغة الأسماك حتى لا أحفظ لى الأعشاب قد اريدت احمرارا .. وأن الزهور شائرت بألوانها المتعطفة فى كل مكان .. ولئ الأطفال الصغار حولنا فى غاية الجمال .. وجمالهم ومصارفهم وحيويتهم وبراعتهم وقوتهم وثقتهم فى أنفسهم .. وشيء آخر ضرورى للمعادة : الإستغراق .. فاطفل للصير يمسك رهرة أو لعبة أو يباع قرائنة .. فهو كله من أوله إلى آخره قد تلعبها وانصرف إليها .. معلما كأحد العلماء أو الزهالى .. وبغير هذا الاستغراق والتفكير لا نجاح فى شيء .. ولا سعادة أيضا .. والحب : استغراق وتركيز على شخص واحد أو كما قال الأنبياء القيسى استبدال : الحب لى تتلور كل انصائلك حول شخص واحد . أو حول صفة واحدة فى هذا الشخص فحبت هذا الشخص

كانه ، من أجل الصفة الواحدة .. كأن تكون عيناها جميلتين .. أو شعاعها .. أو
ساقها .. وبعد ذلك نكتشف أنها ضيقة أو مفعية أو محروزة أو مشلطة ..

هذه الرميطة مثلا أسقتها لك : متوسط الطول والحرص والذكاء والجمال .
والذى أقول ذلك .. ولكنها ترى نفسها أجمل واحدة هي الكليات النظرية :
الآداب والفنون والتجارة وأجمل من نصف طالبات الزراعة وربع كلية العلوم
وحسن طالبات كلية الهندسة .. هي نقول ذلك ولا نصل كيف حبسها وكيف
سبها إلى هذه النتيجة وهي ترى أن كل الشبان يعولون أن يتحدثوا إليها ولي
يقدموا لها أية خدمة . وعندنا حكايات وسوافر . وهي لا تنعبد من تكرارها .
لأن تكرارها عبارة عن حيلة تكريم لشخصها . والمعنى : أنها أجمل
جميعها . وأمي يحب أن أحمد ربنا لأنها تجلس إلى جوارى .. سواء كان
ذلك من أعيانها أو من إرغاسي لها على ذلك . المهم أنها جالسة إلى جوارى
وتتحدث وتبسط ألوف الطلبة ..

قلت لها : ممكن ؟

فألت : ماذا ؟

قلت : أن يكون بيضا ..

فألت : ممكن .

قلت : ولماذا ؟

فألت : هذا يروق عليها .

قلت : واحدة مثلك في استطاعتها أن تجد ألف معجب ، ما الذى يجعلها
سرك كل هؤلاء للجلوس وتتحدث وتفكر مع واحد مثلى .. ليس عنده أمل فى
ي شيء . لا عيب ولا فى عيبك فى هذه الحياة ولا ما بعد الحياة .. ما معنى
أن تكون علاقة .. صداقة .. حب . إذا كان الطرف الثانى ليس طرعا
ولا يريد . وإذا أراد عيسى قلدا .. وإذا قدر قلبى راغبا .. وإذا رغب فليس
مصدق .. وإذا صدق فليس مؤمنا بحدوى هذه العلاقات الإنسانية .. لأنها إلى
ثم تكن كذبا قهري مؤفة .. مقفلة ..

فألت : بنى لم أتمتع فى العطلة ولا فى علم النفس .. ولكن ما سمعت يؤكد
س .. مثل هذا النوع من الرجال هم أضعف الناس . لا أقصد أنه ضعيف ..

ولكن أقصد أنه سوف يقاوم ويعاند حتى يتعب هيفط عند أول «تسامة» مثلا أنت تداقمني وتزعمني وتكرسي وربما صار عنك .. ودافعت عن كبريائي .. وسهل هكذا .. يوما .. شهرا .. من المؤكد أنني لن أتعب ، فالمرأة صبورة .. عليها للرياح أن تدب لأنيها هي التي سوف تعود في النهاية .. أما هذا الرجل فلن يهدأ ولن يستمر .. سوف يعب .. فلذا تعب استسلم .. وقد يكون الاستسلام لولادة أخرى غيري .. كمسألة تعد بديها قبل أن تصل إلى الإسكندرية فوفقت في الصحراء أمام ربيعة بهائم .. لم نعب خارج القاهرة ولا خارج الإسكندرية .. وإنما وفقت عندما نعد للبرين .. وكذلك هذا العيد .. أنا لا أقول ذلك عن طسعة ولا عن دراسة ولكن عن مطلق بسيط .. وإلا قل لي ما الذي فعله من هو أكثر عمادا وعذارة للمرأة .. انتقلوا من امرأة إلى امرأة أخرى .. أي استسلموا من واحدة لواحدة .. ولحمرا لزوجها هي لم أولادهم !

- بانخ !

- نغصد هذا الحوار ؟ فعلا بانخ جدا !

• • •

قلت لها : قولي لي يا آمال

فالت : أنا فاطمة

قلت : يا آمال أي إنسان في هذه الدنيا .

قلت : إلا أنت طبعاً !

قلت : صح !

قلت : كذاب !

قلت : صح !

وصحكتا نحن الإثنين ..

- نعرف - هي التي تقول بصوت هادي جميل باعم - أنا محبلة عنك بلما .

ولكننا نلتقي في بعض الأحيان ..

- قولي وسوف أسمع لك .. قولي .. فمستك يجب أن تقول .. وأن يسمعها

كل إنسان يحبه أمل في هذه الدنيا .. قولي ..

وأنا أنقل من مذكراتي للقيمة التي سجلت جانباً منها في أواخر سنة ١٩٤٧
بعد أن رحلت أمشي في شوارع سليمان باشا وهصر النيل وشوارع الجبلاية هي
أزمالك وكنت أسميه شارع الشهداء .. وبعد أن ترددت هي لي أدنى بلد ..
بله حبيب .. وبعد أن تسلفت من صالون الأستاذ العقاد .. كان يوماً طويلاً ..
وكانت رغبتي في الكتابة قوية .. وكان عذري ما أقوله .. ولكنه .. وتمنيت أن
سمعتها .. وسمعتها .. وعدت فكنت طويلاً وكثيراً .

هي يقول : تعرف . كلما رأيت شجرة . تسميت أن أجلس تحنها . أن
أجلسها بأصبعي . أن أتمرر أوزانها على شعبي .. على عيني .. على صدري
على ساقى .. كثيراً ما تحيلت بعيني أتمرع عارية على أوراق الشجر .. على
ورق الورود .. وأنحبل هذه الأوراق قد تجمعت على شكل جناحين كبيرين إلى
سماء .. أو على شكل مرجوحة تهذب بين الأرض والسماء .. فوق السحاب ..
وكنت أترك نفسي لأحلم بأن يهني في السحاب .. أو هو السحاب .. ولأن يهني
به موافد كثيرة وسدائر شاعرة كالسحاب وأنني أرفع المسائر بعيد
وشمالاً .. لكي أطل من فوقها بحثاً عنك .. وأجنتك .. وأحياناً أصحك وأحياناً
أحزن عليك .. على كل مرة أنظر إليك أجنتك جلستا في هذا المكان وأجنتك
تصاهل قليلاً قليلاً .. وأندھش لماذا ؟ ولكن أقول لأنك تأكل بصك .. لأنك
محرق نفسك .. لأنك مصوح على داحلك .. فأنت سقى من منجراتك .. فليست
بك مورد خارجية .. لأنك قد أغلقت موائد وأبواب الإحسان بالخير أنت
تكنم من وراء الباب .. أنت تنظر من ثقب المصباح .. إلى أبوابي بلا مدائح ..
بل وجبرسي بلا أبواب ولا موائد .. إنها شاعرة .. سألتني أمي يوماً عن هي
أحلامي .. أي العشي الذي أحلم به .. أو العشي الذي هو بطل الأفلام
والمسرحيات والأوبرات التي أديرها في رأسي وهي عيسى عسما أكون
وحدى .. فكنت أقول لها : لا أعرف كيف يكون .. الشكل لا يهم .. وإنما
الحسن هو الذي يهمي .. ليس الذي يملأ العين ، وإنما الذي يملأ القلب .. الذي
- حر إلى جوارى أحسست أن قلبي يريد أن يقهر من صدري إلى يديه إلى
فنديه .. دور لي يكون لي سلطان على هذا القلب . إله الذي أجد تحريمه مذاق
حائساً . وللمسة يديه معنى حائساً .. وحتى إذا لم يكن هناك ، فإني حسه
وأسمعه وأراه وأتمناه . كما لو كان إلى جوارى . إله الذي أشعر أمانه بالحيرة

والأمل .. بالعيرة لأننى لا أعرف لماذا هو وحده الذى أحبه .. لماذا هو ؟
 ومن أين جاء وكيف ظهر ؟ إنه الذى لا أفارق بينه وبين أحد من الناس .. فليس
 فى الدنيا سواء .. ولا وجه للمقارنة . إنه هو وحده وكفى .. والذى أشعر معه
 بالأمان .. فكل كلمة مفقودة من حبيب .. وكل مطرة سحابة باعثة لتمدد عليها .
 وكل ما يقوله وما لا يقوله صدق .. وكل ما يؤكده لى ، ليس فى حاجة إلى
 تأكيد .. إننى صدقته .. إننى وثقت فيه .. إننى أعطيتنه عقلى وقبلى وما يتبقى
 منى لا يهم .. إى شاء ، مشكورا ، قوله .. إى شاء مشكورا ، رفضه .. وأنا
 المتعبدة فى العالَمين ..
 أمى قالت : مجنونة .

قلت : مجنونة إى لم أقل ذلك .. أنت لا تعرفين يا أمى .. المرأة فى الحب
 بدوية .. نملأ كيانات البادية .. للحب لا علاقة له بالتيدير .. الحب صحراء
 وسحرة عند بنى وخيمة صميرة مربوط بها حصان .. الحب هو الصحراء
 الشاسعة الواسعة ينفى فيها قلبان . والحب مثل النحلة تثبت فى قلبين معا ..
 والحب هو أن يفرد الإنسان بمن يحب ، ويجد النحلة حبة تجرى من تحتها
 الأنهار ... الحب هو أن يحلم الإنسان بأنهما وحدهما ، بعيدان عن الناس ..
 وأنهما سعيدان بهذه الصحراء .. وأنهما ينميان أن يهربا معا على حصان إلى
 آخر الدنيا .. حتى ولم لم يكن أحد يطاردهما .. وإنما هما يريدان أن يكونا
 معا .. فى الرمال تحت النحلة فى داخل النحلة على ظهر حصان ..
 بلا سبب .. بلا منطق . ولكن فى اللحظة التى يمسك كل واحد منهما قلم
 وورقة ويكتب : لماذا ؟ ثم يحاول أن يجد جوابا ، هذا يموت الحب . تقولين
 مجنونة .. ليكني .. ولكن جنون الحب هو العقل .. عقل الحب هو جنونه
 صدقيني .. وأنت لى تصدقيني .. ولكى لا أكتب على نفسى ولا عليك ..
 تعرف ؟

وقلت : أعرف ماذا ؟

قالت : تعرف هذا ؟

ونفخت ورقة أخرجتها من حقيبتي : تعرف هذا ..

قلت : ما هذا .. إنه قلم ..

قالت : ليس قلما ولكن ربح قلم .. وله تكري ..
قلت : لاند لك كتبت به خطايا إلى الله تشكره على نعمة الإحساس الجميل
والإحساس بالجمال الذي أعطاه لك ..

قالت : تعرف .. أنت محروم من أشياء كثيرة في هذه الدنيا .. وأن هذا
الحرمان بختيارك .. أنت لذي فعلت بمسك كل الذي أهد عليك حينك .. ليس
صحيحا أنك بهذه القسوة .. ولكم تحاف أن يبتد صعبا .. ليس صحيحا أنك
لا تدرك المشاعر الصغيرة والأشياء الباعمة .. إني أراك تتوقف عند الزهرة
وتتمسك بأصابعك كأنك تلمس شعير .. وأراك بمسك القرفة برفق تحاف أن
يموت بين أصابعك .. أراك تفرح لقاء الأطفال الصغار وتبذل لهم
وحودهم .. أراك تحب القطط والكلاب .. أراك تملط على القطير وتبكي له
بص .. أراك تحب الصديق والمعلم والرحمة والحرية وكلمة الإنسان ..
ولا تحقد على الأعمى ولا تحقر الفقراء .. ولا تحقر نفسك لذلك .. بل أنت
سعيد الاعتراف بعفتك ، شديد الثقة بنفسك .. وإلا ما لذي أعجبك في الأستاذ
المعتمد ؟ علمه وكبريائه .. وما لذي أعجبك في طه حسين ؟ فنه وتمرده ..
وما لذي أعجبك في والده ؟ سماحته وشاعريته .. وما لذي أعجبك في أمك ؟
صبرتها وتضامنها .. إنك حطمت القرآن الكريم ، أجمل وأعظم كلام .. وإنك
حطمت الكثير من الشعر .. أي من الكلام الجميل .. وإنك تهمش الأغاني
وترددها .. إنه إنش الجمال والإحساس بالجمال .. أي بموسيقى الكون .. أي
بالانسجام .. أي بالمعدل والخيير والكمال والصفات الباقية في الأشياء .. ولذلك
لا أصدق ما يبدو عليك وما يحاول أن تظهره للناس .. إما تعرف الأطفال
بصر حوى وهم حاتون .. بصرخون لأنهم يريدون أن يحووا الآخرين .. إني
سكر أنهم عندما كانوا يتركونى وحدي في البيت ، فإني أضيء كل المصابيح
وأفتح الراديو وحميمات المياه .. وأضيء من غرفة إلى غرفة .. لكي أروهم من
يكر في السطو على البيت ، أن جميع أفراد الأسرة موجودون .. وأن القرابة
في البيت محاطة .. كل ذلك جوعا من أن يكتشف أجد ، إني وحدي .. وأنتى
حققه .. إني أراك وأسمعك هكذا !

تعرف .. إني أحيى أنك تقول من حين إلى حين مثل رجال الشرطة : مين
مين ؟! تقولها بصوت مرتفع وتقولها بصوت غليظ .. وتقولها بتهديد .. مع

من أحدنا ليس هناك .. ولكن تريد فقط أن تقول للموصى أن رجال الأمن
ساهرون .. وأنت رأيت القاص .. وأنت قريب منه وأنت مخيف .. إنني أسمعك
من حين إلى حين .. كأنك أحد رجال الشرطة تهدد وسخر وتحيف .. أنت أو لا
يريد أن تقول : أنت لا تحاف .. ويريد أن يقول لميراث : ألا يقترب لأنك
مخيف ..

وأنا أسمعك لذلك .. وكثيرا ما رأينا في الأفلام رجل الأمن يصرخ وهو
يقم : مين هناك ؟!

إنني أراك وأسمعك هكذا .. ولذلك فإنني لا أطلبك بل أنتزل المسرح أو
تخلع ملابس الشرطة وأن تبحث لك عن هـ مين هناك هـ أخرى .. أو لا داعي
لها .. ولكن يكفي أن تعرف أنني أعرف .. وأنت أيضا تعرف .. تعرف ..

* * *

لم أجد عندي أي استعداد لأن أعرف أكثر ، لقد لمضحتني أمام نصي .. ولم
أعد أعرف كيف أنظر إليها .. أو أسمعها .. لقد جردتني من كل ملابسي ..
ثم لم تكف بذلك بل شرعت جلدني وشعر رأسي .. بل أخرجت عيني وفتحت
وطليت مني أن أفرا .. وأخرجت قلبي ووضعته في يدي فقط إلى يديها ..
لا أعرف بالضبط ما الذي فعلته .. لقد كسرت أسناني وأظفاري .. وأنتت بي
عازيا في الهواء .. إنني أنا هكذا .. وهي وحدها التي تعرف ذلك .. فلا عندي
بساط الفريخ ولا حاتم سليمان ولا مال قارون ولا قوة شمشون ولا مرمير داود
ولا عيون زرقاء القمامة ولا قلب روميو ولا عقل سقراط ..

ولكن كلنا كذلك . وكل واحد يحاول أن يرتدي الأزياء التي تناسبه والتي
يشعر تعنها بالذنه أو بالقوة أو بالإيمان أو بأنه ملك الملوك وأعلى الأضياء
وأقوى الأقوياء .. وكل ملابسنا مستعارة وكذلك أفكارنا ومشاعرنا .. ونحن
كلنا هي الأخرى .. إنها حررتني لتضعني .. لكي أبدو أمامها صميغا ..
إنها أرادت أن تحتصر المقاومة الطويلة .. فأبطلت معون كل الألفاظ التي
أصطلت بها نصي وعقلي وقلبي .. كلها أرادت أن أعرق أملها ، لكي
تنتشني .. لكي أطلب إليها أن تنتشني .. لكي أرجوها .. لكي أتوسل إليها ..
نحبت .. عني تعب .. قلبي تعب .. ضقت بها وبكلامها وبأى كلام آخر ..

وكان من علامي في ذلك الوقت إذا جلست وحدي أن أجد دموعي على
حدي .. وأنفدش لهذا الملوك الطغوى .. ولكنه العلاج الطبي الوحيد لشفاء
النفس من تورماتها العصبية .. وغسل العين من لعنتها الممطر .. وبكيت ..
وبكيت ..

ورجعت في جيبى ورقة مكتوب عليها عنوان .. د . عبد الوهاب عزم
كتبة الآداب . لقد تصحى أستاذى د . شوقي صيف أن أذهب إليه .. لمسه عني
في العمل في جريدة « الأساس » .. ولم يكن ليأسا عدي ما هو العمل في
صحيفة .. ولا الصحافة ..
ومررت الورقة ..

وعازلت استخدام كل الملابس والدروع والأسلحة التي اعتدت عليها
واسرحت إليها .. محاولا أن أنسى كل الذي سمعت في هذا اليوم ..
وفي ذلك اليوم وعلى إحدى التواصي ، فررت لي أكون جانا في أن أجد
عملا . وأن يكون هذا العمل قريبا أو عناسا ثامنا لاستعداى .. واستعداى
هو الكتابة والقراءة ..

في ذلك اليوم ، ولعنصارا لطعوتى المتأخرة ، وإيهاء للأس والتنازم
العلمى ، وتسيرا على مسيحتى العصبية هذه ، فررت لي أكتب .. ولأ أذهب
إلى جريدة الأساس وأن أطلب بشر الذى موع أكتبه ..
وكتبت .. وبشروا !



شاعر الكوخ : لم يلتفت إليه أحد

شاعر الكوخ : لم يَلَفَتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ

أول ما حفظت من الشعر الحديث : شعر محمود حسن إسماعيل
 حفظت ديوانه ، أغاني الكوخ ، لا أعرف سببا واضحا لذلك .. ولكنه أذهننى
 أعجبني بهرسى . واعتدت وأنا طفل على حفظ القرآن الكريم فى السابعة من
 عمرى وحفظت ، التوبة ، النبوة وألوف الأبيات من الشعر الصوفى . فقد كنت
 أبى شاعرا متصوفا . ولا أدعى أنني كنت أفهم الذى أحفظه . ولكنى أهتم طويلا
 ولتأهلي به بين زملائي الصغار الذين لا يروعهم هذا الذى أتقنه طويلا على
 مسامحهم بل كان يشعلهم أى شيء عن مواصلة الاستماع .. وكان يعطينى
 ذلك ، فكانت أملك بشجرة وأكمل لها القصيدة .. أو كنت أصرخ غويلا وأصيح
 فى الغاء الشعر ..

بها الصدفة التى جعلتنى أتخلى ديوانى ، أغاني الكوخ ، الذى نظمته
 محمود حسن إسماعيل من خمسين عاما ، وكان وقتها طائفا فى كلية دار
 العلوم . وهو شاب أسمر نحيف واسع العينين طويل مجعد الشعر .
 قدم من الصعيد .. من إحدى قرى الصعيد . أما عالم هذا الشعر فهو للكوب
 كله وقد جمع فى قرينه .. أما أهم معالم هذه القرية فهو المقابر والعربان واليوم
 : تساقية والثور والقليل والصح .. وهو يرى فيها الدنيا .. فى غداها
 ورجوها . وفى بكائها وعويلها وسعيها وسعيها كل ذلك هى دنياها . وتنب
 كى للناس ..

به شاعر الكوخ الوحيد فى الأندلس العربى الحديث .. فالكوخ أى تلك البيت
 حصون من الطين وأغصان الأشجار .. لا هو بيت ولا هو مقبرة . ولكنه
 ديسر معا .. محمود حسن إسماعيل صاحب البرج الحصى . أو البرج
 حصى . إنه يحمل هذا البرج معه إلى القاهرة . نعام كما تحمل السلحفاة
 حجارها ، والهيل حوطومه ، وحيوان الملوك أسداهه ..

ولا أدعى أن هذا القوي قد أحدث ثوبا في الشعر الحديث . ولا في الأدب الحديث .. ولم نعرف في تاريخ الشعر كله أن ديوانا هر مجتمعا أو فتح طريقا أو أصلح كونا .. فالتدب يبحث عن صدى ديوان ككدي بلقي بورقة من مطرفة ثم يحرج أنديه من باطنها ليسمع انعجافها على الأرض . ولكنه كب بداية المنمة الأتية ، وبداية الطريق إلى البحث عن الشعراء والشباب . الشعراء المحنثين في مصر .. وفي كل كتاب عن الشاعر الحديث ، لا أجد سطر واحد عن هذا الشاعر محمود حسن إسماعيل ..

وعلى الرغم من أنني ولدت في بلد الشعر والأدب والفلسفة والعماء في مصر : المصورة فلم أجد أحدا من أبنائها يتحدث عن هذا الشعر الذي اكتشفته لنصبي . هي المصورة ولد الفلاسفة لطفي السيد وعبد الرحمن بنوي وركي نجيب محمود والأبناء على باشا مبارك ومحمد حسين هيكل وشا وأحمد حسن الزيات ورشاد رشدي والشعراء علي محمود طه والهمشري وكامل الشيمسي وصالح جونت وولدت أم كلثوم والموسيقار المصاطي وولدت أم الأستاذ انعقاد .. هي هذه البيئة الثقافية كنت أسمع وأنا طفل كل أسماء الأبناء والشعراء ولكن لم يذكر لي أحد اسم الشاعر محمود حسن إسماعيل ..

شيء عجب . ولكنه شاعر ممتاز رغم أن أحدا لا يذكره . بل إنني أحسبت أنه شاعري الماص ، فانا الذي أتعدى به الناس لا يحفظون إلا شعر شوقي وحافظ وعلي طه وغيرهم . . وعلي الرغم من أن محمود حسن إسماعيل قد أصدر دواوين أخرى : هكذا أغني . ولدت وصوت من اعه . وفي المعز . . ولكني أراه شاعر ، الديوان الواحد ، فقد نال كل ملذبة في ديوان واحد . أما بقية الدواوين فهي منكرات تصورية أو بقعة الموسيقى نوبومات على لوح واحد . أو رواء شهر واحد . به شاعر الكوخ الذي لم يدرجه ا



وفي الشعر العالمي ، نجد كثيرين قد أودعوا كتبهم لأول كل ما لديهم من حكمه وملأوا كتبهم الأول بالوعود . وليس من الضروري أن يوا بها بكفي أنهم وعدوا في عبارة جميلة . ولا يهمن كثيرا شكل الوعد بالوعود والأدب الروماني مليء بالتمثيلات ، بلا إحدة . وبالذهشة وبالاحلام

ألا ترى أنهم خائفون لم سوف يجروء لم لا يحىء شيء ولأنهم هم
مع الأعداء وموحيدهم يهزل محمود حس بصف الكوخ

بشر عليه ألمع ما صنعت
فى قلبك الألمان يا شاعر
ولم ترق له الأعداء ما صفا
برح للصنى ، والجزر يا ماهر
صمت حوليه على عابد
محرابه فى فاهه داتر
بمعى عليه تحت جبح النوى
شبح القاتلى يومها الصاهر
ريشتكى بلواه رأد الصفى
حمامه المرحوم للذكر
سمارد فى الليل أنماصه
والنجم ، والنايح ، والعائر
بيكى سوافى الحقل ألتجانه
وما يكناه مرة شاعرا
والبللى للملاح فى ركبه
عريان يشكو صكة حائرا

واقرا ما يقوله عن زهرة الليل :

حين ذاب الطل فى كاسها
لؤلؤا يجرى على كف اقتناع
تعت حد الصفى ، وانستعت
كاسنمالم للليل فى عهد الرصاص
ويذب صغراء تعكى غانة
ذبلت نصرتها يوم السوادع

يا عروسا لم يربها يد
غير كف المبدع الفن ، الصناع
عقدت إكباتها من موسى
باعت الأوتار ، تبرى الصاع
مستعار من ضنى العشق ، ومن
لوحة الهجر ، ومن لون الوداع
يسعد الشاعر من فتنته
سجدة الفن زها حمدا وراع
علقت طيف الصبح ، وكثأت
لأصول لاح مغروق الصناع
ورث للشمس بغير شعرها
بمد ما أدخل أجهل القلاع
هدت حائبة الرأس لسي
نرمق المغرب بمصر واتباع
ملك صوفي تراهى حائعا
مطرق الرأس بمغرب القلاع !
ذلك ناع قبل ! فانتب عنه
أمل القلاع ، والجهد للصناع
بانت النصة صه ! وجهت
محمدا ، لم يرعه في مصر راع
هزت ربح الأسي كبرته
وطوت نصابه دبا الصراع
رقص العصر على أكتافه
وهوجات .. بين ذك والغصاع
وسطا فيؤس عليه ، فمدا
رورقا في يوم معطوم الصراع !
أما العلاءة حاملة الجرة فيصفا :
سارت إلى جدولها النافق
مير الكبرى في عظة العائق

وعرفت الشاعر محمود حسن إسماعيل في الجمعيات ، وكان صديقاً .
 وكنت أجد مبعاً ، ويجد هو أيضاً ، عندما ألقى شعره على مسامع منه .. وكان
 يطلب مني أن أمتحن في ذلك ..
 ومحمود حسن إسماعيل مثقف بطبعه . وشعره حزين . وديء قلعة .
 وهو يشعر ، أنه لم يزل يحطه من التفكير .. وكان ينهشه أن تراويه بشعرها
 الكثير من الناس - إلا اتعاد . وبعض قصائدها عماها محمد عبد الوهاب ، ولكن
 قصائد أخرى لم يزل عليها المطربون والمطربات . ولم أجد نه حقا في هذا
 الغضب .. شعره جميل ولكنه حزين قلتم الأكلان حول محمود حسن
 إسماعيل ؟ في المروب والشرق والرهو والعرشات والطيور ، فإنه لم يكن
 يستعمل في رسمها إلا اللون الأسود القاتم والأسود الفاتح والرمادي .
 وعندما نحن محمد عبد الوهاب أغنية للشاعر السوري برار فبني لتعجبها
 حجة الصميرة ، قل للنقاد أن الشاعر السوري هو أول من استعمل كلمة
 ، الصن ، في الشعر الحديث .. أي أنه شاعر يستعمل الكلمات الإيجابية ، ومع
 ذلك شعره جميل . وقابلني محمود حسن إسماعيل حزينا : ألم أنظم قصيدة
 عن ، الفنان الأحمر ، ؟ وكنت قد نسيت ذلك . ونشرت قصيدة محمود حسن
 إسماعيل التي جاءت في ديوانه ، أعاني الكوخ ، يقول :

يا نكي ناز ، ها أنتهي خلودي في مبرك
 لو تكن وردا ، هالهمة روعي لمبرك
 طرفة العفهلان يدي
 لو همة خلف منورك
 لسهت روعي طلوت
 ترقوى من فيص نورك
 تعملي نر بهسات
 موجة فوق ضورك
 أر جبالا من هاهنا
 ساهبا طي مبرك
 ليت يا ، فنان ، لصا
 لحت نوهو في حبرك !

كنت ذرا نـــــــــــــــــا لجنس الإحصان
يجرى فى شبرك !
بنم الحسن ويهوى
قائما بين عطورك
ويقول فى وصف المافقة :

سأنت .. فلا الزهر على عوده
لنقى عقود لطل من جبهه
حرساء ، لكن صونها صارخ
بديب قلب الصجر من جده
لها طنين النحل فى قرة
بهواء لم تبق على شهده
لها عيون دلفيات الكفا
بدمع كالسيل فى رفده
نقى تموج الناس من فمها
ودمعها باقى على عهدده
ويزدهى الزهر إنا ماجرى
سهلها لصفى على غده

ثم يصف الثور الذى يجر هذه المافقة :
ذؤوبه للتكوى على راف
فى الدل معرج على جده
دارت به للوى ، فما راعه
إلا صاء غال من رثده
اعصى .. وعاء القيس فى دله
لم يدر نحن لقطر من بعده
شدت حبال الدل فى رثه
وفت صرف الزهر فى كبده

والملك لا يشقى
عن ضربه العنق وعن كبد
كبوا، على أناسه سورة
من سورة الحديد على عبده
كانه القدر بزجي للورى
تسرا إلى مبد عن وجهه

وكان الشاعر محمود حسن إسماعيل عبداً عاشقاً لكل ما هو هذا
لوجود .. وحاول أن يظم في السياسة ، فصل صلاباً بعيداً . فقد كان مرعياً
على أن يقول .. ولعلك هبسي أنشط كل الذى قتله في السياسة ، حتى لو تكررت
فيه كلمة الحرية ألف مرة .. قبل هذه الكلمة جاءت أسماء وأغاب .. وعلى
أرعم من جمال البناء وروعة الأكل ، فإنها كلها مغموشة على جدران سجن
فعم أرغم الشاعر على أن يدخله وأن يعنى به .. لم يرغبه أحد . ولكن
الجو قد أرغمه على ذلك ..

أما شعره الصوفي فهو أيضاً مثل شعره السياسي : نوع من الهرب ..
فيشعر في السميات قد تضمنت به الس ، ولم يعد قادراً على أن يعضى في
شعره الرومانسى بمعنى ويعتد ويهكي شعراً جميلاً ..

وهو يردد كثيراً ما قتله الشاعر حافظ إبراهيم بلأساً من بلده وعن العند
ومن مهنة الأدب :

حطمت البراع فلا تصمى
وعنت الليال فلا تصمى
مبا أنت يا مصر دار الأديب
ولا أنت بلابلد القطيع

يقول محمود حسن إسماعيل :
ولى على الدهر قلب يئس أبداً
لهان II يصرخ مصاً من عرابيه

معذب ! كلما رأت مواضعه

بكيت إلى عر في دهر موسى

كلبه نبتك طاعت بعزله

سود القنوب فهاجت حزن ماضيه

سبحه عن نثار الذمع منظم

والروح ثورة هم في أعليه ؟

على المباح كنت يا قلبى نموت أنسى

فكيف لو شئت نحيها هي لياليه ؟

وحاول محمود جس لسماعيل كثيرا أن يردد هذه المعاني التي جاءت في

قصيدته عن ، الأتوية ، ولكنه لم يبلغ هذه الروعة التي بلغها في ثيابه يقول :

هي الحمرا ما سكبت في الدنان

ولا صبرت من رهيق العصب

ولا شعثت جامها فاعطت

عروسا مكالة بالحبيب

ولكنها من غير الجمال

ومن نوره قاهر المصعب

لها نكهة من جسون الشباب

وإصابه الهتج المصطب

ويقول :

أنا طمأنأ ! فهأنسى

حمر عبيك الشبهة

أنهتني سحرها الساسي

وروى شعريه

ومكبي روحك فسي

روحي بكأس الأبدية

فويل أن تغرب نفسي

بين أطباق العبية !

حمرة من هائلة
 السور بعينيك روية
 سمح الألام مني دينا
 بالآلهة مني روية
 ونسبتي مني عبرى
 وأيامي النيرة
 لك طمان هائي
 حمر عوبك الشهية
 قبل من عارب روحى
 في محبات العيرة !
 ويقول في وصف خصلة من شعرة الذهبى :
 كم نعتت لى قسى
 بين طهارة ذرة
 أهون العطر للبهية
 وأنا من كل شعرة
 وفي صنف وساجة ورومانسية وعصب يروى ما الذى أصاب هذه بركت
 الريف ثم ذهبت إلى المنية وراحت صعبة . يقول :

وإها على تدياى .. ما صحت
 بالحسن فى كيف الصبا العنى ؟
 فكنت بمصننه ؟ .. ولو عدلت
 فكنت بقلب الأثم الجاسى !
 فى الريف هج للورى زهرى
 وسرى بطهرى فى معانيه
 كعالم للمضمان ، لا أدرى
 من شعرة أو من معانيه
 عزاء كم لوعت مشاقا
 فليت حشانة قلبه الدامى !

ولكم موزون بعابد لافى
 وفتح الهدى بعافى السامى !
 ونزلت فى بلد شهدت له
 قدس الحجاب ممزق المنور
 مشيت للفضيلة من كواعبه
 مشى للتكسب بريقة الأثر
 يبرهن والأجسام عارية
 تغرى بحسن القدر والقاسم
 فضحت معاطفهن أردية
 كجبال الصياد .. نامة
 وشبابه غار .. قصاره
 من حبشه لهو وتجميل
 سلب الأتونة من عذاراه
 ومضى .. عليه العار ممدول !
 وجرت على حصى المقابر
 فوفقت فيها كنت أخشاه
 حبست بفتنتى القوارير
 وصحابة الشاكى ونجواه
 سرق الأتيم قناتى ومعنى ..
 ومضيت أنذب حظى الكاسى
 حيرى ! لروم القدر لى عواضا
 عن خسة الدنيا ، وأوصابى ..
 قابلى التراب لما يحنه
 من لوعة الآثام والعار
 فزلت .. ما أقضى وأرجسه !
 بيت القصور ، وعش لوزرى !
 أنقر فيه لمن يملوننى
 عرضى .. بما يلهى الطوى شهما

ويد تصافح من يكلمنى
 ويد تصون القلب أن يفعا !
 ورد جناه المرء من كفه
 واستاف منه الروح للقلب
 حتى إذا اضوع من شفه
 اللقاء مبتذلا على التروب
 ويقال فى حكم الهوى : سقطت !
 ونعم ! ولكن من خداعكم
 ولولا أذى الإنسان ما سقطت
 إثم الهوى عذراء .. ويحكم !

وكان كروح الشاعر محمود حسن إسماعيل قريبا من المقابر فى قرية
 « النبعة » .. واحدة من أوفى القرى المصرية العزينة للكنية . ولذلك
 فالموت والنعش والغريان واليوم مفردات لا يمل تكرارها فى كل قصائده
 بعد ذلك .. يصف الغروب فيقول :

مات التهار وهذى الشمس جازعة
 عليه تخطر فى دلمى الجلابيب
 كأنها نعش (خولو) مال منكنا
 على سزير بنوب النور مضطوب
 أهرامة الأفق ، يجرى فوق سلعله
 على نم من عيون الشرق مسكوب
 رايات مصر نهالت كى تشبهه
 بلاعج من أساها جد مشبوب !

ويقول فى وصف النعش :

بازورق الموت مانا
 دهالك من ذى الحياة :
 فرحت عجلائن تجرى
 لضجعة قى فلاء !

غادرت دنياك لم تحفل بضعفها
 حول الركاب ، ولا بالدمع للجوى
 يمشى اليناسى بكباد ممزقة
 من الجوى لورحيل للموكب السارى
 وللارامل صرخات لها ضرم
 تحت الاضلاع مشيوب من النار
 لاحت مناديلهن المود خافضة
 كأنما فصلت من حاللك القار
 كأنها فى سماء الحزن أغوية
 تنعى حياتك فى لهف وتذار
 يا حامل النش لا تعجل .. فإن لى
 من حيرة الموت أعبى بطنى أفكارى
 هذا الذى ضاقت الدنيا بمطعمه
 نصيبه كان منها عشر أثمار !!



ونسوى إن نـسـرت
 فى هاربات الحنوف
 جماعهم إليه فيها
 ومخلة القـسوف

ولم أعرف فى أبنا العربى الحديث شاعرا كان لديه الحماسة
 الثغوية مثل محمود حسن إسماعيل ، ولا أدبيا مثل مصطفى صادق
 الرافعى .. حتى لقد تخيلت أول الأمر أن الشاعر قد تأثر بالأديب العالم
 الشاعر الرافعى .. ولكن أغلب الظن أنهما يشربان من ماء واحد .. ومن
 الماء كل شيء حى ، زهرة القطن وزهرة البنفسج .. ومنه شجرة التفاح
 وشجرة الصبار .
 والرجلان عاشقان لجمال الطبيعة ، وعاشقان لمغربة اللغة
 العربية ..

ومحمود حسن اسماعيل يمثل شعره بالصورة الرقيقة الشديدة التعقيد
أيضا ولكنه ينفجر بالشعر أو يفيض بالمعنى .. يتدفق بالخيال .. وحتى
عندما يتكلم محمود حسن اسماعيل فهو بهتزاز .. فجسمه النحيل التحيل
لا يقوى على تحمل هذه المعاني التي تهبط عليه .. أو التي تتزاحم في
معه .. ولذلك كانت عباراته منقطعة ، ومعانيه مضخمة .. ولو أراد أن
يكون سهل العبارة فإنه لا يستطيع .. فالشعر لا ينساب منه كما ينساب
الماء من الحنفية ، أو كما ينزل المطر من السماء .. وإنما هو أمواج
وهدير وعواصف .. وهو قادر بموهبته العظيمة على أن يجعل لها هذه
الموسيقى القوية الحزينة ..

وليست لمحمود حسن اسماعيل قضية .. إنه شاعر يتفنى ، ثم يلتفت
حولها ينظر إلى عيون الذين يسمعون .. ومع الأسف الشديد لم يجد
كثيرين يبهروهم هذا الذي قال وهذا الذي أبدع ..

وهكذا انضم محمود حسن اسماعيل إلى عدد من الشعراء الذين مزوا
حاتم الأنبياء ، لم يلتفت إليهم أحد ، ولابد أنه في ذلك مثل الشعراء
المعترضين على أحمد باكثير : فقد كان أنبيا مفكرا شاعرا ومؤلفا مسرحيا
ورائدا للشعر الحر أيضا - ولا صدق له !